

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د)

التخصص : اللسانيات التطبيقية وآفاق الدرس اللغوي

العنوان

الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية- المرحلة الثانوية أنموذجاً-

من إعداد الطالب:

محمد بن حاج الطاهر

المناقشة بتاريخ 2022/07/14 من قبل اللجنة المكونة من:

رئيساً	جامعة: الشلف	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	أ. د/ يوسف بن نافلة
مشرفاً ومقرراً	جامعة: بومرداس	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	أ. د/ نور الدين لصير
ممتحناً	جامعة: الشلف	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	أ. د/ عيسى العزري
ممتحناً	جامعة: الشلف	الرتبة: أستاذ التعليم العالي	أ. د/ راضية بن عربية
ممتحناً	جامعة: بومرداس	الرتبة: أستاذ محاضر أ	د /عبد الرحمان بوزنون
ممتحناً	جامعة: الشلف	الرتبة: أستاذ محاضر أ	د / كمال الدين عطاء الله

الموسم الجامع 2021م-2022

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إهداء

لولا الله ثم تلك الطائفة الصالحة من الأحباب، والأساتذة، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف لبصير نور الدين، والأستاذ رئيس المشروع سعدي أحمد، ما كانت هذه الأطروحة التي بين أيدينا، ما أقولها تواضعا ولا مبالغة وإنما هي الحقيقة، فكثير من أفكارها وما بنيت عليه من أصول، ما كان لي أن أهتدي إليها، لولا إرشادهم وتحفيزهم ووقوفهم معنا في كثير من المواقف العلمية والإدارية والمعنوية.

كما لا أنسى أن أخص بالذكر الأم العزيزة التي لم تأل جهدا في النصح والدعاء والإرشاد، وكذا الزوجة الفاضلة الدكتورة رحمانى فقد عبّدت لي الطريق بالتشجيع والكتابة؟، وحملت معي من الهمّ ما حملت، كما لا أنسى رفاقي وأصدقائي كان فضلهم على هذا العمل كفضل أولئك، منهم الدكاترة والأساتذة و ما دون ذلك.

وإليهم جميعا أهدي هذا العمل وللوالد المتوّى - تغمده الله برحمته-، الذي هو ثمرة عونهم، أقولها شكرا من القلب واللسان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" رواه أبو داود.

فعندي الحب والدعاء الموصول بظهر الغيب وهما خير وأصلح.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله خالق الألسن واللغات، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه بالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح الخلق لسانا وأعرهم بيانا، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصارا وأعوانا أما بعد:

فاللغة الإنسانية من أعجب الظواهر التي اهتم بها، بواسطتها تتفاعل وتتواصل المجتمعات، تحمل في قوالبها وحروفها ورموزها مشحونات فكرية ثقافية، إذ هي أداة لاستكشاف ما وراء الألفاظ، وما تحمله ما بين السطور، وما كنزته الأذهان، وما تدين به الأمم والشعوب، وهي مرآة عاكسة للحضارات قوّة وركودا، وما تحمله فكرا وثقافة، علما وسؤددا، وما تحويه من قضايا ومشاكل ومعالم شتى.

طالما كانت اللغة من عوامل القوّة الفكرية والحضارية، ودور الوظائف التي تنشأ عنها، توجّب على أهلها الاهتمام بها، وجعلها حيّة في نفوس أبنائها، حاضرة في عقولها، متداولة مفعلة على ألسنتها، واللغة العربية من أهمّ الألسنة التي أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام، إنها لغة تعبدية، قياسية مرنة، ثريّة سلسلة، قادرة على الإشفاف والإفصاح بالإيجاز، نامية قابلة للتطور، تحوي قوالب العلوم والمعارف المتجددة والاصطلاح.

وفي ضوء هذه الخصائص نجد اللغة العربية قد تعرضت لسلسلة من الرزايا والنكبات على أيدي المستشرقين الحاقدين فرموها بكل عيب وقصور، ومما زادها بلاءً أفعالاً وأقوالاً لبعض الخاطئين من أبناء جلدتها الذين تأثروا ببعض الملابس والشبهات، فظلت اللغة العربية شاحخة صامدة، ومقاومة لكل الافتراءات الزائفة التي تُكاد لها قصدا وجهلا، ليلا ونهارا.

هؤلاء قد حاولوا بكل ما يملكون من طمس هويّة الأمة، بدك حصون العربية فعملوا على تجهيل أهلها وتغييبهم عنها، تارة بتشجيع العاميات، وإحياء اللهجات الإثنية، وتارة أخرى بتشجيع اللغات الأجنبية باسم العولمة والعالمية، فتأثرت بها نفوس حتى كادت الألسنة المستعربة أن تكون

أعجمية غير مفهومة في غير حدودها، لما تغلب عليها من التهجين واستحواذ الرطانة، والعجب من ذلك انتقال العدوى إلى أرباب المعارف ومنابعها، فلم يسلم منها لسان، مما شكّل ظاهرة لغوية تسمى "الازدواجية" في كثير من المصادر والمراجع، والتي يقصد بها حالة لغوية تعيش الصّراع والمنافسة، إحداهما أدبية مكتوبة، وأخرى عامية شفوية شائعة.

إنّ الدراسات التشخيصية لواقع اللغة العربية في هذا البلد- الجزائر - ما هو إلاّ عيّنة من مجموعة البلدان العربية التي تنذر بأزمة لغوية حادة، كما قيل أزمة مست جميع الطبقات والمستويات إبداعا ونقدا، واستخداما وتوثيقا، تنظيرا وتعلّما، نحوا وبلاغة، مما أدى إلى تدهور المستوى التعليمي لدى المتعلمين، ومن مظاهره تراجع أساليب الحديث والكتابة وفقدان الطلاقة اللغوية للسان يوما بعد يوم، وهذا ما نلمسه كثيرا في ألسنة المتخرجين، ونقف عليه عند شرائح كثيرة من المتعلّمين، فشاعت الركافة والتلّثم، وغابت الفصاحة وارتجالها .

ومن هذا المنطلق ارتأينا الكشف عن حقيقة تلك الظاهرة وأثرها على تعليمية اللغة العربية لدى التلاميذ بعدما كُلفنا بعنوان البحث الموسوم "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية-المرحلة الثانوية أّمودجا-".

وقد تضافرت مجموعة من الأسباب والمحفزات التي دفعتنا للقيام بهذا البحث بين ذاتية وأخرى موضوعية، فالذواغ الذاتية تكمن في تلك الغيرة المنافحة، والتي تتحلّى بها كل نفس صادقة الانتماء، كما تمثّلت في إحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب، في حين تمثّلت الأسباب الموضوعية في بيان أهمية اللغة وأثرها على المجتمع والنفوس، ودورها في إصلاح وبناء الحضارات.

في هذا السّياق نودّ الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المهمة المتعلقة بالازدواجية وما يحوم حولها، ومن ضمن هذه الأسئلة ما يلي:

- ما آثار الازدواجية على تعليمية اللغة العربية؟ وما انعكاساتها على سلوك المتعلّمين؟
- ما العلاقة بينها وبين الثنائية؟ متى نصف المجتمع بأنّه ثنائيّ اللغة أو ازدواجيّ اللغة؟

- هل العادة اللغوية المتمثلة في العامية التي يعيشها المتعلم تشكل مانعا في تحصيله للغة العربية الفصحى؟ ما آثار طغيانها على اللغة العربية الفصحى؟ ما الحلول المقترحة للتضييق من دائرتها أو التخلص منها؟

أما الأهداف التي ترمي إليها هذه الدراسة فهي على النحو التالي:

- الكشف عن واقع اللغة العربية الفصحى ومدى معاناتها وصمودها أمام العاميات ودعاتها.
- تهدف إلى إظهار مكانة اللغة العربية وتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة عنها.
- لفتُ نظر الباحثين حول الإشكال الحقيقي لمثل هذه الدراسات.
- تحديد متطلبات النهوض بالفصحى والحد من ظاهرة العاميات، وتوجيهها إلى ساحاتها الحقيقية.
- كما تهدف إلى إعادة بناء ثقة الأمة بموروثها اللغوي، ولفت نظرها إلى أهمية هذه اللغة وإلى ضرورة تعلّمها، وإتقانها، وتعليمها للناشئة، وتبنيها لغة للعلم والثقافة والمعرفة، وأنها صالحة للتداول بين الناس.

وتكمن أهمية هذا البحث في تقديمه لتصورٍ شاملٍ عن هذه الظاهرة اللسانية التي غرزت أظافرها في المجتمعات العربية، واقتراح بعض الحلول الناجعة لها استنادا للنظريات والموروثات العربية.

إنّ طبيعة هذه الدّراسة تفرض علينا الانتقال بين مناهج بحثية مختلفة لتحقيق مطالب الموضوع، ابتداءً بمنهج الوصفي الذي يتخلله المنهج التحليلي، وذلك لوصف الظاهرة كما هي وتحليلها في الوقت نفسه، كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي وتحليل النتائج المتحصل عليها عن طريق استمارة الاستبيان، كما لم نهمل الاستعانة بمنهج المقارنة إذا اقتضى الموقف ترجيح بين توجه ومسلك آخر، ولا نجد حرجا في استخدام المنهج التاريخي لتحديد المعالم الكبرى التي مرّت بها اللغة العربية عبر الزمان والمكان، ومدى تأثرها بالمستجدات والمعتقدات.

وفي سبيل تحقيق متطلبات هذا البحث اقتضى أن يتوزع على أربعة فصول، وتليها خاتمة تتضمن أهم وأبرز النتائج التي وقفنا عليها، وقد جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول وسمناه بـ: **مراحل التاريخية للغة العربية ومنزلتها**، حيث تضمّن لحةً تاريخية عن الأحداث التي مرّت بها اللغة العربية بصفة دقيقة وموجزة منذ أواخر العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، ثم تحدثنا عن الوضع اللساني بالجزائر، ودور اللوي الفرانكفوني في محاولة توجيهه، بعد ذلك ذكرنا وظائف اللغة، ومنزلتها عند الأمم والمجتمعات عامة، وعند الأمة الإسلامية للغة العربية خاصة.

أما الفصل الثاني فقد عنوانه بـ: **مصطلحات الدراسة وتحديد المفاهيم**، وقد تضمّن على ذكر أهم المصطلحات وشرحها مع شيء من التحليل والنقد، ومن ذلك: اللغة العربية الفصحى، العامية، اللهجة، والثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية، والأحادية والتعددية اللغوية، والتداخل اللغوي، لتكون نبراسا وسراجا منيرا يُستهدى به في تحديد المفاهيم، وختمنا هذا الفصل بتعدّد المصطلحات اللسانية لهذه الظاهرة اللغوية.

وجاء الفصل الثالث موسوما بـ: **الثنائية والازدواجية اللغويتان**، وتمّ البحث في هذا المجال حول خصائص وعوامل وجود هذين الظاهرتين بشيء من التفصيل، ثم تطرقنا للحديث عن التّمايز بين الظاهرتين مظهرا إشكال المنافسة الموجودة بينهما استعمالا دالا ومدلولا، وختمنا هذا المبحث بالحديث عن الصّراعات الفكرية واللسانية في الازدواجية، وما ترتّب عن ذلك من وجود طبقات اجتماعية متخاصمة، فهي عنوان الصّراع الاجتماعي داخل المجتمعات الواحدة.

أما الفصل الرابع فوسمته بـ: **آثار الازدواجية على المهارات اللغوية في الطور الثانوي**، حيث تضمّن تمهيدا وبعض المفاهيم الضرورية للإجراء التطبيقي، الذي تمثّل في تحليل الاستبانة الموجهة لتلاميذ السنة الثانية والثالثة من الشّعب العلمية والأدبية، وكذا الاستبانة الموجهة لأساتذة اللغة العربية، ثم ذكرنا نتائج هذه الدراسة، وختمنا الأطروحة بتوصيات، وخاتمة ضمنيتها أهم النتائج العلمية التي انتهى إليها البحث.

الدراسات السابقة:

بعد محاولة استقراء الدراسات العلمية موضوع إشكالية بحثنا، وقفنا على بعض الأعمال ذات الصلة بالدراسة الحالية، موزعة بين رسالة علمية، وبين مقال منشور في مجلة محكمة، والتي تمثلت فيما يأتي:

- رسالة دكتوراه (2016) لصاحبها " حنان عواريب " الموسومة بـ: " أثر التعددية اللغوية في التعبير الشفوي والكتابي لدى متعلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية -مدينة ورقلة عينة- " بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، حيث تطرقت الباحثة إلى بيان الظواهر اللغوية التي تنظوي تحت التعددية اللغوية كالازدواجية والثنائية اللغويتان، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أنّ للتعددية اللغوية وما ينضوي تحتها من الظواهر اللسانية أثارا سلبية، التي تمس كلّ الجوانب، منها الاجتماعية وعلى رأسها المجال الثقافي والتعليمي للمجتمع، وذلك لوقوفها ميدانيا على مظاهرها الجلية في السنة متعلمي الطور الثانوي، ولم يسلم منها لا المستوى التركيبي، ولا المستوى المفرداتي وما يتعلّق به.

- أطروحة دكتوراه (2018) لمؤلفها " بن علة بختة " والمعنونة بـ: " التداخل اللغوي وإشكالية التواصل في الوسط التربوي " بجامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، وقد اختارت الباحثة مصطلح التداخل اللغوي للتعبير عن التعددية اللسانية، وظاهرة التهجين في الوسط التربوي الجزائري، وتمت الدراسة الميدانية من خلال اصطفاؤها بعض الثانويات من شرق وغرب الجزائر، واعتمدت على الاستبانة وتوزيعها على الأساتذة ، وعيّنة من المتعلمين، لاستقراء المعلومات وتحليلها وتوصلت الباحثة إلى أنّ التداخل اللغوي والذي يشمل التعددية والتهجين لعائق في تحقيق عملية التواصل السوي بالوسط التربوي الجزائري.

- دراسة الدكتور إبراهيم صالح الفلاي (1996): في مؤلّف له الموسوم بـ " ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق " هدفت هذه الدراسة إلى مناقشة ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية تتعلق بالاجتماع معتمدا في ذلك على مفاهيم وتصوّرات فيرغيسون، وفيشمن، وفاسولد، عارضا بعض الآراء المؤيدة والمعارضة لتلك الأعلام الثلاثة خالصا إلى عدم الاختلاف الكبير بين المفردات المستخدمة في العمومية وتلك المستخدمة في الفصحى معللا بعدة أسباب.

- دراسة راجي زغلول (2002): المعنونة بـ " ازدواجية اللغة: نظرة في حاضر اللغة العربية والتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية " هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم ازدواجية اللغة وتحديد بعض الإشكالات أثناء العملية التعليمية وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي، وقد خلصت الدراسة إلى أن الازدواجية اللغوية تظهر في وجود نمطين لغويين من العربية أو أكثر متعايشة جنبا إلى جنب، كما توصل إلى أن آثار هذه الظاهرة اللغوية قد لا تشكل خطرا بقدر ما قورنت بآثار الإشكالات اللغوية الأخرى.

- دراسة إبراهيم كايد محمود (2002): جاءت في مقال مطوّل له تحت مُسمّى " الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية " وسعت إلى كشف حقيقة هاتين الظاهرتين متناولا أثرهما على اللغة العربية والمجتمع والفرد، وقد توصل إلى أنّ الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية كليهما خصم عنيد للفصحى، يعمل على هدمها والتخلص منها، كما أنّها تؤثر سلبا في شخصية الفرد وتفكيك المجتمع.

كانت هذه الدراسات مرجعية معرفية ومنهجية ومنطلقا أساسا لهذا العمل العلمي، فقد سهلت لي السبيل المعرفي، وأنارت لي الطريق المنهجي للقيام بدراسة وصفية تطبيقية لظاهرة ازدواجية اللغة، وأثرها على تعليمية اللغة بالمرحلة الثانوية كنموذج ومعلم، اعتمادا على مقارنة لسانية واجتماعية وتربوية، وأخص بالذكر تلك الدراسات التي كانت نابعة من صميم أبناء المجتمع الجزائري ضمن الملتقيات الدولية والوطنية، أو ضمن إعدادات المجلس الأعلى للغة العربية التي أثّرت هذا البحث، ومن تلك المؤلفات وأظهرها لا على سبيل الحصر:

- الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهديب، أعمال الندوة الدولية 2007، منشورات المجلس.

- اللغة العربية بين التهجين والتهديب " الأسباب والعلاج " إعداد المجلس الأعلى للغة العربية 2010.

- التعدد اللساني واللغة الجامعة، أعمال ندوة دولية 2014، المجلس الأعلى للغة العربية.

- ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، أعمال ملتقى وطني المشترك بين جامعة باتنا والمجلس الأعلى.

أما الدراسات التي تناولت قضايا عامة لها صلة غير مباشرة بإشكالية البحث فأخذت منها وتعاملت معها في السياق الذي تقتضيه هذه الدراسة، كالمؤلفات الجامعة لمختلف مستويات الدرس اللغوي مثل الخصائص لابن جني، المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي، وقضايا لسانية وحضارية للدكتور منذر العياشي، واللغة العربية في العصر الحديث للدكتور نهاد الموسى، واللسان والإنسان لحسن ظاظا، واللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية للدكتور أحمد سعدي، بالإضافة إلى بعض المراجع الفرعية التي أثبتناها خلال بحثنا، وكذا في فهرس المصادر والمراجع.

أمّا عن الصعوبات فإنّ أيّ بحث علمي لا يخلو منها، ومن العوائق التي تجاوزناها بفضل الله منها:

- تشابك الموضوع وتداخله مع ظواهر لغوية أخرى.

- تكرار المعلومات والأفكار في جلّ البحوث والأعمال اللغوية إلى درجة التطابق في الموضوعات والعناوين، والتحليل والنتائج، والإحالات والمصادر.

وبعد فهذا جهدي المقل، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا المضمار، ولا يسعني في هذه اللحظة إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف نور الدين بصير، واللجنة الموقرة والمخوّلة لها مناقشة هذه الرسالة للمتاعب التي يتجهّمونها في سبيل تقويمها وتقييمها لتكون في رفوف المسالك العلمية المأمونة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الباحث

محمد بن حاج

الطاهر

شلف: 2022/05/05

الفصل الأول :

مراحل تاريخ اللغة العربية ومنزلتها

أولاً: لمحة تاريخية عن أحداث اللغة العربية

ثانياً: الوضعية اللسانية بالجزائر والفكر اللوبي الفرانكفوني

ثالثاً: مكانة اللغة ومنزلتها لدى المجتمعات

رابعاً: وظائف اللغة

خامساً: خصائص الانفرادية للغة العربية

أولاً: لمحة تاريخية عن أحداث اللغة العربية

لا بدّ من توطئة تاريخية حول اللغة العربية ومراحلها الكبرى ، ويستدعي ذلك توضيح نشأتها وكيفية تبلورها، ثم الوقوف على المنعطفات التي كانت سببا في زيغ ألسنة أبنائها وتحوّلها، إلا أنّ مراحلها الأولى من المجالات التي تكتنفها الصّعوبة والغموض، ومناطق ذلك يكمن في تاريخ العرب العريق، إذ هو قدم النشأة يعود إلى عصر سحيق، حيث "ليس في مقدور الباحث أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربيّة، لأنّ التاريخ لم يسايرها...وما هو موجود من نصوص ونقوش فهو نزر يسير لا يكاد يروي غليل الباحثين عن أصولها، ولا يكشف بجلاء عن أطوارها"¹.

وقد يعود سبب ذلك إلى طبيعة اللغة العربية حيث أنّها لم تكن لغة مكتوبة، بل كانت لغة منطوقة، لذلك نجد كثيرا من الباحثين يحتجّون بهذا التعليل، ومنهم المستشرق كارل بروكلمان يؤكّد أنّ العرب قبل الإسلام لم يخلّدوا لغتهم على الحجارة، وإنما خلّدت عن طريق السّماع².

ويرى شوقي ضيف أنّ "ليس من السّهل تحديد الزمن الذي اتخذت فيه لغتنا العربية شكلها النهائي الذي تصوّره الفصحى الجاهلية، وهو شكل كامل التّضح سواء من حيث الإعراب والتّصريف والاشتقاق"³، وبلغت في نموّها حدا يقارب الكمال في القرن السادس ميلادي⁴.

لذا سأقتصر على المعلوم والمقصود والمفيد في بحثنا هذا، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لنا ما كسبنا*، فالغاية الحقيقية للسان العربي الفصيح فهمه ، وإدراك معانيه، وتوظيف وظائفه .

¹ - عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللّغة العربيّة بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، إشراف: الأستاذ الدكتور/بكري أحمد الحاج، 2010م، ص35.

² - ينظر: بروكلمان كارل، فقه اللغات السامية، تر:رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، 1397هـ، ص29.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص117.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص120.

* أي ليس كبير فائدة أن نستغرق في البحث حول نشأة اللغة العربية وطفولتها وتطوّرها في مراحلها الأولى لغياب مصادرها.

1. اللغة العربية قبيل الإسلام

مما لا ريب فيه أنّ اللغة العربية موعلة في القدم، ولا يعرف علماء اللغات ما يكفي عن نشأتها وطفولتها وتطورها في مراحلها الأولى، غير أنّهم يُجمعون على أنّها من اللغات القديمة، وأنّها فرع من فروع اللغات السامية الأم، لأنّها احتفظت بخصائص وعناصر قديمة ترجع إلى السامية* الأم أكثر ممّا احتفظت به الساميات الأخرى¹، كالبابلية-الآشورية-والعبرية، والآرامية (ومنها السريانية)، والكنعانية، والحبشية، وقد انقرضت هذه اللغات، وهذه المفاهيم من المعالم اللغوية مُتَّفَق عليها ابتداءً، لا يختلف فيها اثنان.

لقد نشأت اللغة العربيّة في أقدم مواطن الجزيريين، وما وصلنا من آثارها يعود إلى مراحل متأخرة من التاريخ، أي أنّ اللغة العربيّة وآدابها التي نعرفها اليوم في شعرها ونثرها مرّت بأطوار شتى "مذ كان التطور والتغيّر سنّة في الوجود فإنّ تاريخ الأدب لم يرسخ على حالة واحدة في مدى هذه القرون الطوال التي انقضت في عمره، بل تقلّب على شتى حالات من ضيق واتّساع وانحطاط وازدهار"².

* هذا الاصطلاح غير دقيق ولا صحيح من الناحية العلمية، بل الصحيح الذي ينبغي أن تسمّى به هذه اللغات هو اللغات الجزيريّة، وهي مجموعة اللغات التي نطقت بها شعوب كانت تسكن الجزيرة العربية، مثل اللغة الأكديّة، والبابلية، والآشورية، والعربية، والآرامية، والفينيقية، والحبشية، والعبرية، ثم هاجرت من الجزيرة إلى العراق، ودول أخرى مجاورة له، طلباً للخصب ورغد العيش، فتسميتها (اللغات السامية) إذن لا وجه لها، ولا يعضدها دليل يُعتد به... ينظر: د. كاصد الزبيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2003، ص137.

ويقول عباس محمود العقاد: "أما الذي نؤثره ونستند إلى آثاره المعقولة، فهو تغليب كلمة العربية على كلمة السامية على اختلاف مدلولاتها..."، ينظر: د.علي القاسمي، العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس 2008. ص202.

يقول المؤرخ العراقي أحمد سوسة: "إنّ الحضارة التي سميت بالسامية خطأ إنما هي حضارة عربية، ومصدر طاقاتها جزيرة العرب لا غيرها"، ويبيّن أنّ هذا المصطلح من ابتكار المستشرق النمساوي اليهودي شلوتزر ينظر: أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص19.

¹ - ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1992، ص33.

² - رثيف خوري، التعريف في الأدب العربي، لجنة التأليف المدرسي، بيروت، لبنان، ط1، 1951، ص43.

ويذكر عمر توفيق سفرافا عن تطورها شيئاً من التفصيل قائلاً أن: "اللغة العربية التي عرفناها في الشعر الجاهلي ونثره والتي نعرفها اليوم في كتب الأدب ونصوصه مرّت بأطوار عديدة، غابت مراحلها الأولى عنّا، ولكن مؤرخي العربية اتفقوا على أنّ العرب عرفوا من أقدم عصورهم لغتين الأولى: لغة الجنوب أو اللّغة القحطانية، والثانية لغة الشمال أو اللّغة العدنانية، وكان بين هاتين اللغتين فروق كبيرة ثم تقاربتا تحت تأثير عوامل كثيرة كالحروب والتجارة، والأسواق الأديبة كسوق "عكاظ" قرب الطائف، وذي الحجاز ومجّة قرب مكة، فمن الطبيعي أن تتغلّب اللّغة العدنانية بسيادتها على اللّغة القحطانية وسائر اللّغات واللّهجات العربية الأخرى وأصبحت المعروفة بأنّها اللغة العربية الفصحى التي تجدها في القرآن والمعاجم اللّغوية وشعر العرب ونثرهم".¹

فهو يشير إلى أنّ اللّغة العربية التي أنشئ بها الأدب العربي القديم ومازال ينشأ بها الأدب العربي الحديث إنّما اللّغة التي ظهرت في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربيّة، كما نستشف من كلامه أنّها بلغت الكمال قبل نزول القرآن الكريم.

كثير من الباحثين والدارسين يؤكّدون أنّ اللّغة في أواخر العصر الجاهلي ارتقت رقيّاً كبيراً، وتطوّرت جميع لهجاتها التي تتكلّم بها القبائل المختلفة، ونشأت لهجة أدبية راقية لأنّها أخذت من هذه اللّهجات جميعاً²، بسبب العامل الاقتصادي، وقد تكون عوامل أخرى كذلك ساهمت في رقيّها كالعامل الديني المتمثل في الديانة الإبراهيمية التي عُرفت بها يثرب قبل نزول القرآن.

حيث "اختلفت لهجات اللّغة العربيّة باختلاف القبائل والبطون كتميم وربيعة ومضر، وقيس، وهذيل، وغيرها، وأوفى هذه اللّهجات هي لهجة قريش، ...، ولموقع مكّة كان له غالب الأثر البالغ في

¹ - ينظر: أ.نادية مرابط، علوم اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2011، ص17.

² - ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1، مكتبة مصر، ط4، 1988، ص13.

توحيد اللّغة وذوبان اللّهجات الأخرى في لغة قريش فمكّة محطّة للقوافل المختلفة التي تأتي من هنا وهناك...¹.

وعليه أصبحت هناك لغة أدبية عامة هي الفصحى، ينظم بها شعراء العرب جميعا شعرهم، إذ لا يختلف فيه أنّ العربية ليست بدعا من اللّغات في نشأتها وتطوّرها وتوحدّها، لأنّ العرب كانت قبائل في شتى البقاع منتشرة في البيداء، وكانت لهم لهجات مختلفة حسب تنوّع بيئاتهم، وتعدّد ألوان حياتهم وثقافتهم، ولا ريب أنّ ذلك كان له أثره في استقلال بعض هذه اللهجات، واتصال بعضها بغيرها، ثمّ كُتِبَ لبعض هذه اللهجات أن تحيا، ولبعضها الآخر أن تموت نتيجة أسباب عدة، ثمّ ظهرت لغة عامة تحدّث بها العرب جميعا في محافلهم وأسواقهم، ولما نزل القرآن الكريم عمل على شدّ أزر هذه اللغة الموحدة واستمرار حياتها راسخة البنيان عالية الذرى.²

إنّ النّاظر في هذه الأقوال على اختلاف تحليلاتها يؤدي بنا إلى الجزم القاطع بوجود عربية فصحي موحدة تامة البناء قبيل مجيء الإسلام، وهذا الرأي لم ينفرد به الباحثون العرب، بل قال به كثير من المستشرقين، منهم المستشرق الفرنسي إرنست رينان يثبت للعربية شأنًا وهو مستغرب مندهش لبلورتها قائلا: "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، وإنّ من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرّحل"³.

1 - محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص37.

2 - ينظر: د.عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ-1993م، ص5.

3 - ينظر: محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو-، الرباط، المغرب، 2016، ص154.

مطّردة، لو كان في ألسنتهم اعوجاجٌ لاتخذوا لذلك قواعد، واستنبطوا لذلك أحكاما، كما كانوا ينتقدون الأبيات والقصائد الشعرية في ملتقياتهم وأسواقهم اللغوية، وبهذا يُردّ قول القائل: "إنّ العربي كان إذا عاد إلى بيته عاد إلى لهجته الدّارجة، هذه اللّهجات لم تكن في أغلب الظنّ معربة إعراب لغة قريش، وكان الإعراب في هذه اللّهجات بسيطا وهي تذكرنا على كل حال باللّهجات العربية الحديثة"¹.

لقد جانب الصواب صاحب هذا القول، وأتى بقول لم يُن على البرهان والحجّة، وإنّما هو الظن والقياس الفاسد، ولقد وجدنا الباحث اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح يفنّد الزعم القائل أنّ اللغة الأدبية التي جاء بها القرآن وشعر بها الشعراء لم تكن لغة تخاطب وهو رأي إبراهيم أنيس².

إنّ تلك الدعوة تفتقر إلى دليل، لاسيّما في المسائل التي تمسّ الخصائص والجوهر لأي مجتمع، فلا ينبغي أن تُبنى على الظنّ أو أغلبه، المسلمّ به عند ذوي الألباب في مثل هذه المسائل إثبات الأدلة المحكمة وإلا لا جدوى من الخوض فيها "من الثّابت-رغم ادعاء قلة أنّ اللّغة العادية بين العرب لم تكن معربة- أنّهم كانوا ينطقون لغتهم معربة، وأكبر الأدلّة على ذلك القرآن الكريم الذي نزل بلسانهم، □□□□□□□□□□ يوسف [2]

و □□□□□□□□□□ الشعراء [195]

إنّ القرآن نزل معربا إذ الإعراب من خصائصه، وفي تركه تحقيقٌ لمطيّة اللبس كما في قوله تعالى: □□□□□□□□□□ فاطر [28]...ولهذا السّبب لجأ علماء العربيّة بعد

1 - أ.نادية مرابط، علوم اللغة العربية، مرجع سابق، ص46.

2 - ينظر: أ. لخضر قدور قطاوي، ثنائية الأصل والفرع في تعليم النحو العربي من منظور النظرية الخليلية الحديثة، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص239.

ضعف السليقة واضطراب الألسنة وتفشي اللحن إلى وضع القواعد النحوية ولاسيما حركات الإعراب لضبط اللغة فتظل مؤدية دورها ووظيفتها الطبيعية¹.

والحقيقة أنّ الإعراب ظاهرة مُسلم بها لا تحتاج إلى نقاش، لأنها خاصية من خصائص اللغة العربية فلا تزول إلا بانقراضها، وهو "من العلوم الجليلة التي اختصت بها الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، و به يُعرف الخبر الذي هو فصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول..."².

وقد توصل الباحث حذيفة عزيزي أنّ الحال التي كانت عليها اللغة العربية في العصر الجاهلي قبل ظهور الإسلام يدور حول العناصر التالية³:

- كانت هناك عدّة لهجات سائدة، وكانت تتميز كلّ واحدة منها بخصائص تميّزها.
- كان العرب يتكلمون سليقة.
- كان للأسواق دور كبير في ازدهار الصنعة اللفظية.
- كانت قريش سيّدة القبائل وكانت تنتقي أجود الكلام من خلال رحلاتها التجارية ومن خلال الوفود التي كانت تفد إلى مكة.
- كان أغلب الكلام يتمّ مشافهة، وكانت الكتابة قليلة، وكان أغلب العرب أميين لا يعرفون القراءة والكتابة.

¹ - ينظر: أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص68.

² - جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج1، شرح وتعليق لمجموعة من الباحثين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1986، ص327.

³ - حذيفة عزيزي، اللغة العربية في المجال الاقتصادي بين الوظيفة والإبداعية- حقل الإشهار نموذجاً-، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية، جامعة حسينية بن بوعلوي -شلف-، الجزائر، إشراف: أحمد سعدي، السنة الجامعية 2021/2020، ص79،80.

- كان العرب أهل فصاحة وبيان، وكان الشعر فيهم بمثابة سلاحا فتّاكاً، إذا نبغ فيهم الشاعر أقاموا الأفراح والحفلات احتفاءً بشاعرهم.

2. اللغة العربية أثناء صدر الإسلام

من المتفق عليه خلال نزول القرآن وظهور الإسلام في مفتح القرن السابع الميلادي، أصبحت العربيّة الشماليّة العدنانيّة هي اللّغة الغالبة على العرب قاطبة، ولم تكن اللّغة موحّدة في أوّل الأمر، بل كانت مفرّقة على لهجات تلوّكها ألسنة القبائل، فكل قبيلة لها لهجتها الّتي تميّزها عن غيرها إما صوتياً كالإمالة والتّهجيع، وإما بالانفراد ببعض المفردات والأساليب وغيرها من المستويات اللّغوية، فضاقت دائرة الفروق بين هذه اللّهجات بنزول القرآن وظهور الإسلام، وغلبت على اللّغة الشماليّة لغة قبيلة قريش خاصة، لأنّها اللّغة التي نزل بها التّنزيل في مجمله، والّتي صارت مداراً للغة العربيّة الفصحى بدون منازع.

غير أنّ بمحيء الإسلام زاد الله من تطوّر هذه اللّغة، وقد كان نزول القرآن بالعربيّة حدثاً هزّ أركان الأرض وأعطى للعرب من السيّادة والسّبق ما لم يعطه شعبا من الشعوب ولا أمة من الأمم¹، يقول طه حسين في هذا الصدد: "القرآن الكريم هو الذي وّحد اللغة العربيّة الأدبية بعد أن كانت تختلف لهجاتها باختلاف بعض القبائل، وفضل القرآن إثر نزوله هو أنه جعل لغته لغة أدبية للعرب جميعاً، ثم غير العرب من الأمم التي خضعت لسلطان الأمة العربيّة بعد الفتح، فالقرآن إذن لم يكتف بقصر اللّهجات القبليّة على أن تظل لغة التخاطب العادي دون أن يكون لها تأثير قليل أو كثير في اللغة الأدبية العامّة... وأتاح للغة العربيّة أن تستأثر بألسنة الناس وأقلامهم"²، فجعل الأمم الدّاخلية في دين الإسلام تتسابق إلى تعلّم العربيّة، إذ هي لسان القرآن الكريم.

¹ - ينظر: عزة حسن غراب، المعاجم العربيّة رحلة في الجذور، التطور، الهوية، مكتبة نانسي، دمياط، 2005، ط1، ص05.

² - محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربيّة، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1437هـ - 2016م، ص122.

حتى المستشرقين يؤكّدون هذه المزيّة، ولا يمكن لأحد إخفاؤها، والتّجاهل بها، يقول بروكلمان: "وقد انتشرت اللغة العربية عن طريق القرآن الكريم انتشارا واسعا، كما لم تنتشر أيّة لغة أخرى من لغات العالم،...، ولهذا تفوّقت العربية تفوّقا كبيرا على كل اللغات التي كان يتكلّمها المسلمون"¹.

لذا كان نزول القرآن الكريم بهذه اللغة مؤسساً لمرحلة جديدة من التطور التاريخي لها، حيث توسّعت رقعتها الجغرافية واتسمت بالصبغة العالمية، وكثرت ألفاظها، وتكاثر عدد متكلّميها باستمرار. اللّغة في صدر الإسلام هي امتداد بدون منازع لما كان عليه العصر الجاهلي الأخير، إلّا أنّها زادت قوّة إلى قوّتها بنموّ ألفاظها، كلفظة العقيدة، والعقل، والحكمة، والشرف، والغيب، والإخبارات، والحشو، والمجد، والمساجلة، والمحاباة، والأفن، والبكيء، كانت في الأصل تدل على أمور حسية²، ثم توسّعت مدلولاتها كلفظة الصّلاة والزّكاة، والكفر، فنجد مثلا كلمة الكفر كانت تطلق قبل ظهور الإسلام على الليل والبحر، والوادي العظيم والتّهر الكبير، والسّحاب المظلم والقبر والتّراب، والزّارع، والدّرع وذلك أنّ كل هذه المسمّيات تغطي وتستر شيئا يقول ابن منظور: "وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه"³، وهذا بخلاف مصطلح الكفر المتداول بين علماء الإسلام.

في هذه الفترة بالذات توسّعت دائرة المعاني، حيث أصبح لكثير من الألفاظ معنى لغوي، ومعنى شرعي، كمصطلح الصّلاة المتداول بيننا الذي كان يطلق على الدعاء، ولفظة الزّكاة التي كانت تدل على النمو، ومثل هذه الألفاظ كثيرة في كتب الفقه والأصول والتفسير لا يمكن إحصاؤها حاملة لمدلولات لغوية ومدلولات شرعية، تترتب عليها أحكام واعتقادات كثيرة.

¹ - بروكلمان كارل، فقه اللغات السامية، مرجع سابق، ص30.

² - ينظر: مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية: اللغة هوية، ابن النلم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2020، ص74.

³ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، ص145.

مما لا ريب فيه أنّ اللغة العربية توسّعت في صدر الإسلام، وبلغت أوجّها بدخول ألفاظ جديدة، وأساليب حديثة زادت من دائرتها، وهذه المرحلة كسابقتها لم يعرفوا عن العامية شيئا لا في منطوق القول، ولا في الرّسم، ومن ادّعى غير ذلك فعليه إثبات الدليل المحكم الصحيح.

والجدير بالإشارة التنبيه عن قول القائل ومجانبة للصواب، عند تقريره للغة أنّها: "لم تحتفظ في تطورها وارتقائها بالأصل الذي وُجدت به، بل نجدها دائمة التفرّع والتشعب إلى لهجات ولغات مختلفة، كما أنّ هذا الارتقاء ناتج أيضا عن تطوّر في أعضاء النطق الإنسانية إلى جانب الاحتكاك الحتمي بين اللغات المختلفة"¹، إنّما يصدق هذا القول على العاميات، أو على اللغة التي كانت قبل نزول القرآن الكريم، لأنّ بنزوله آلت اللغة إلى الثبات والاستقرار لفظا وصوتا، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذا المنحى قائلا: "إنّ اللغة ما هي سوى مظهر من مظاهر حياة الشعوب، والذي يتتبع تاريخ العربية الفصحى يستطيع أن يدرك أنّها كانت تتغيّر وتتطوّر في ألفاظها وأساليب تعبيرها حتى بعد أن جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وخلع عليها نوعا من الثبات جعل تطورها محدودا"².

ومن خلال العنصرين السابقين يمكننا القول:

استمرارية صفاء اللّغة إلى صدر الإسلام الأوّل، ودليلنا أنّ العرب الأقحاح لم يضعوا القواعد لعدم وجود مقتضى ذلك في تلك الفترة، كتفشي اللّحن والغلط، وإن كانت بعض النوازل التي تقتضيها طبيعة من خالطوا الحضرم، أو ممن دخلوا في الإسلام من العجم، حيث كانت نزرا قليلا لا تعكّر صفو بحر اللّغة، ومن الطبيعي " ما كانت الجزيرة العربية لتخلو ممن قد يلكن في لغته أو يلحن فيها، خاصة ونحن نعلم أن عددا من الموالي أو من غير العرب الذين كانوا يعيشون بينهم، من أمثال (صهيب الرومي)، و(سلمان الفارسي)، و(بلال الحبشي)... وغيرهم، غير أنّ ما قد يقع من اللّكنة

¹ - إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية والإدارية، مج3، السعودية، ع1، مارس2002، ص54.

² - محمد فريد أبو حديد، موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، مصر، ع7، 1953، ص6.

واللحن كان نادرا قليلا لا يشكل خطرا، ولا يستدعي الخوف على سلامة العربية وفصاحتها التي كانت مفخرة من مفاخر العرب، وهكذا ظلت لغة العرب تجري على ألسنتهم عذبة صافية في عصري الجاهلي و صدر الإسلام¹.

تلك الحقيقة اللغوية التي كانت عليها في عصري الجاهلي و صدر الإسلام الأول، فلم تتأثر لغتهم بغبار العُجْمَة إذ "لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه إرسالا"²، وإن عرفت بعض الظواهر اللسانية التي لا تغير من جوهر اللغة وماهيتها شيئا، كالمعرب*.

3. المستويات اللغوية وطبيعتها في العصرين السابقين

إنّ واقع البحث والدّراسة يؤكّدان أنّ الوضع اللغوي في العصر الجاهلي لم يهيئ بالقدر الكافي لحصول مستويات لغوية تقلّ شأنًا عن لغة الأصل، كما تشهدا لغة المجتمع اليوم لأنّ نمطي اللغة اللذين استخدمهما الجاهليون معربان "فقد كانوا يستخدمون في لقاءاتهم التي يتواصلون بها في مواسم خاصة معروفة كمواسم الحج، والتجارة، وأسواق عكاظ، وذي المحجة، وذي الحجاز لغة راقية، يقولون بها الشعر ويخطبون، وينافر بعضهم بعضا، ويستعملونها ليتفاهموا بها، حتى في أحاديثهم العادية أثناء تلك اللقاءات، فإذا رجعوا إلى قبائلهم استعملوا نمطا أقل رقا وأدنى مرتبة، مع كون النمطين معربين"³.

1 - أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، مرجع سابق، ص75.

2- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، القاهرة، ط2، 1984، ص11.

* قال السيوطي في معرفة المعرب: "وهو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها" قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها تقول: عربته العرب وأعربته أيضا، ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مرجع سابق، ج1، ص268.

3 - ينظر: مهى محمد العتوم، الازدواجية في الأدب، نماذج شعرية تطبيقية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج4، الأردن، عدد1، 2007، ص168.

إنّ الرأي الذي نميل إليه في هذه المسألة أنّه من المستحسن عدم إطلاق لفظ المستويات اللغوية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وذلك لاعتبار اللهجات وإنزالها منزلة اللغة نفسها، وإن كانت بعضها أعلى من بعض لعدة اعتبارات قد تكون ذاتية أو موضوعية.

ومن العجب أن تجد من يستدلّ بقول ابن هشام على وجود مستويات أدنى عند العرب حتى يثبتون ظاهرة لغوية، لا تمت لهم بصلة لا من قريب ولا من بعيد، وذلك عندما قال: "كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات"¹، فأين وجه الاستدلال؟ إلاّ أنّه ليّ لأعناق النصوص، وحملها ما لا تحتمل، ويمكن تخريج القول - كثرت الروايات في بعض الأبيات - على أوجه منها:

- رواية بعض الأبيات بروايات مختلفة ولا يجمعها المعنى، ولا يمكن الترجيح بينها، فمرده إلى قبح الراوي من كذب أو اختلاطه لاسيما في أواخر عمره.

- رواية بعض الأبيات أو بعض ألفاظها بروايات مختلفة، قد يكون مردّ ذلك من سوء حفظ الراوي وضبطه.

- رواية بعض الأبيات أو بعض ألفاظها بروايات مختلفة، قد يكون تفسيراً أو توضيحاً من الراوي، ولاسيما إذا نسي وهو مدرك للمعنى.

- رواية بعض الأبيات أو بعض ألفاظها بروايات مختلفة، قد يكون من باب التنوع بين اللهجات، لا من باب الاختلاف، ويجوز في اللهجات ما لا يجوز في غيرها، وقد نزل بها القرآن الكريم مُقرا لها.

الذي نستشفه من نزول القرآن وقراءاته أنّها تنصّ على وجود اللهجات المتنوعة واعتبارها، وبالتالي لا مسوغ لوجود العاميات، وإثبات ظاهرة ازدواجية كما يعتقد بعض الباحثين، وقد اتخذوا

¹ - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مرجع سابق، ص261.

اللّهجات حجّة وبرهاناً وسندا لاعتقادهم، كقول أحدهم: " إنّ الازدواجية اللّغوية قديمة، فمن خلال مراجعة مصادر التّراث، نجد أنّ نصوص الاحتجاج، القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشّريف، والأثر والشعر العربي والنثر مليئة بالاستعمال اللهجي الذي اقتحم اللغة الأدبية العالية الراقية"¹، وهذا احتجاج مرفوض كما لا يخفى علينا وذلك لأمر منها:

سيلزم صاحب هذا المسلك بوجود الازدواجية في القرآن الكريم ، وهذا لا يقوله عاقل، لأنّ ألفاظ القرآن أفصح كلام عربي على الإطلاق، ويليه كلام النبي صلى الله عليه وسلم بدون منازع، ومعلوم أنّ الازدواجية مبنية على وجود اللغة الراقية، واللغة الوضيعة، وهذا مُنَزَّهٌ عن كتاب الله، و مُنَزَّهٌ عن كلام نبيّنا صلى الله عليه وسلم، فبطلت حجّيتهم ولم يعتبر استدلالهم.

وزيادة بيان أنّ اللّهجات-اللغات- الجاهليّة على اختلافها كلّها حجّة عند جهايزة اللّغة، وقد أجمعوا عليها، فلا يُعتدّ بمن خالفهم من بعض المحدثين، لأنّ الإجماع سابق عليهم فلا يُلتفت إلى أقوالهم، وقد قرئ القرآن على سبعة أحرف ، وفي رواية على عشرة، مراعاة لاختلاف ألسنة العرب ويشير أحد الاختصاصيين في اللّهجات العربيّة إلى أنّ " القرآن الكريم مصدر خصب للّهجات لا يكاد يوازيه في ذلك أيّ كتاب من كتب العربيّة، ذلك لأنّه لم يقتصر على لهجة قريش، وإن كان لها الغلبة فيه، بل ضمّ إليها لهجات قبائل أخرى كجرهم وخنعم ومذحج وكندة، وكانت قراءات شاذة لم تتوافر لها صحّة القراءة، لكنّها عُدّت بعد ذلك مصدرا من مصادر اللّغة العربيّة لأثما دليل على لهجات القبائل"².

¹ - أحمد هاشم السامرائي، الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى واللهجات الحديثة، تم الاطلاع عليه: 2021-12-10
<https://icls2016.medi.u.edu.my/sites/2017/03>.

² - ينظر: د. سمر روجي الفيصل، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث،، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2009، ص7.

ويقول ابن جني في الخصائص: "للغات على اختلافها كلها حجّة، ألا ترى أن لغة الحجاز في إعمال ما، ولغة تميم في تركه، كل منها يقبله القياس، فليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنّها ليست أحقّ بذلك من الأخرى، ولكنّ غاية ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أنّ أقوى القياسين أقبل لها وأشدّ نسبا بها، فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف،... فالواجب في مثل ذلك-وجود أكثر من لهجة-استعمال ما هو أقوى وأشيع، ومع ذلك لو استعمله إنسان لم يكن مخطئاً لكلام العرب..."¹، نستشف من كلامه أنّ اللغات كلها حجّة، وإنّ تفاوت بعضها عن بعض في الاستعمال والاستدلال.

اللغات وألسنة العرب لم يقع الخلاف بين مدلولاتها وقوالبها، وإنّما وقع محموده الذي لا يترتب عنه الصدع والشرخ، كحدوث التمايز في الحركات أو إبدال بعض الحروف أو الهمز والإدراج والتلين، إذ التمايز لم يمسّ البنية والجذور، إلّا ما جاء عفويا واعتباطا من باب التنوع، لا من باب التضاد والاختلاف .

عندما كانت اللهجات المصاحبة للفصحى، لم يكن اللغويون الأوائل وأئمة اللغة يسمونها لهجات، وإنّما كانوا يسمونها لغات، وهي عندهم حجة وإن كانت شاذة، والدليل على ذلك إجابة أبي عمرو بن العلاء عن سؤال من قال له: "ماذا تفعل إذا خالفتك العرب وهم حجّة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات"².

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مرجع سابق، ص258.

² - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، القاهرة، ط2، 1984، ص39.

وكذلك نجد ابن فارس يؤكّد هذا المذهب قائلاً: "لغة العرب يحتج بها فيما اختلف فيه"¹، ويقول ابن هشام في شرح الشواهد: "كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فُطر عليها، ومن هاهنا كثرت الروايات في بعض الأبيات"².

نفهم من قول ابن هشام، وقول من سبقوه من نحارير العربية أنّ للعرب لهجات، وكلّ يتكلم بها على مقتضى فطرتهم وجبليتهم التي فُطروا عليها، وجميعها للحجة مقبولة، وهذا ما نحى إليه الباحث اللغوي نهاد الموسى قائلاً: "...إذ نطق العرب بلهجاتهم المكتسبة، التي كانت متبادلة الوضوح، تلتقي على مشترك غالب، يمثّل اللسان العربي، وكانت تلك اللهجات على اختلافها-في بعض السمات الخاصة-حجة أي كانت فصيحة صحيحة، وعليها أقيمت العربية الفصحى التاريخية على النحو الذي انتهى إلينا"³.

وعليه لا وجود للعامة في ساحتهم اللهجية، مما يلزم ثبوت الصفاء اللغوي في عصري الجاهلي و صدر الإسلام، حتى وإن فرضنا وجود مستويين كما يزعم المخالف، فهما فصيحان، وليس مدار الحديث عنهما لثبوت صفة الفصاحة لكلا المستويين، وقد أشار إلى هذا المفهوم صاحب النظرية الخليلية الحديثة عبد الرحمان الحاج صالح قائلاً: "إنّ كلا المستويين كانا فصيحاً مرضياً عنه، إذ لم يكن إلّا وجهها في أداء العربية لا يختلف أحدهما عن الآخر من حيث البنية النحوية الصرفية خلافاً لما نحن عليه اليوم، إذ قد زاعت لغة التخاطب العفوي عن كلا الوجهين الإجلالي ولاسترسالي الفصيحين بخروجهما عن أصول العربية الإعرابية والتصريفية والتركيبية في أغلب أحوالها"⁴.

1 - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مرجع سابق، ص258.

2 - المرجع نفسه، ص261.

3 - نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث-قيم الثبوت وقوى التحول-، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 2007م، ص137.

4 - عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، بحث قدّم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام1990م، ونشر في محاضر هذا المجمع عام 1992، ص75.

4. اللغة العربية في الفترة الأموية والعباسية

بعد أن تمكنت العرب في الجزيرة العربية وأطرافها بنزول القرآن، ثم خرجوا منها تحقيقاً للطلب رافعين راية هذا الدين باللّسان العربي المبين، فطفقت رقعة البلاد تتسع شيئاً فشيئاً، كما استقبلوا عدداً كثيراً ممن دخلوا الإسلام من فرس وروم وقبط، وحسب القانون الكوني للغات لا بد أن تتأثر اللّغات باحتكاك بعضها ببعض، حيث بدأت الألسنة العربيّة تلين، وبدأ اللّحن يتفشى، إلا أنّ اللّغة التي كانت سائدة آنذاك في العصر الأموي اللغة العربية، وصارت اللغة الأولى للعديد من الشعوب الإسلاميّة، وهذا بعد الفتوحات الإسلاميّة، ومما يلاحظ في هذه الفترة هو اضمحلال السليقة العربيّة نسبياً، وظهور بعض اللحن على الألسنة، ممّا ولّد خوفاً على القرآن الكريم، وظهرت على إثر ذلك علوم اللغة حفاظاً على القرآن الكريم¹، وفي العموم أنّ لغتهم كانت شبيهة بلغة العصر الجاهلي وصدّر الإسلام لحد كبير وذلك يعود لسببين أساسيين في نظرنا:

- فإسفة الأمويين ونفطنهم:

حيث يعود إلى نفطن هذا الجيل لخطورة اللحن وما يترتب عليه، وكان أول من أدلى بدلوه في هذا المضمار وأعمل فكره فيه أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، ونصر بن عاصم (89هـ)، وعبد الرحمان بن هرمز (117هـ) فوضعوا للنحو أبواباً وأصلوا له أصولاً، وفي التاريخ حوادث كثيرة تبين مدى اهتمام هذا الجيل بصفاء لغة القرآن، ومنها ما يروى عن أبي الأسود الدؤلي أنّه جاء إلى زياد بالبصرة فقال: "إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم أتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يقيمون به كلامهم؟..."².

- تفاني الأمويين في خدمة اللغة العربية وأصحابها:

1 - ينظر: عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، مرجع سابق، ص 40.

2 - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص 22.

يعود إلى عدم توسّع الرقعة الجغرافية للمسلمين كثيرا، والأهم من ذلك تعصبهم لكل ما هو عربي لأنّ "في العصر الأموي مع ما تميّز به هذا العصر من حب وتفاخر وتعصّب للجنس واللغة والوجود والكيان العربي، لا نفرق بين اللغة في هذا العصر وبينها في العصر الجاهلي، سوى أن أحبّ الجاهليون لغتهم فحرصوا عليها، أما بني أمية فأجبروا المجتمع على حبّ اللغة والتعصّب البدوي منها على حساب الحضري كما هو حالهم في التعصّب لكل ما هو عربي خالص"¹.

وفي أواخر العهد الأموي اتسعت مجالات استخدام اللغة العربية على أفاق التأليف العلمي، بعد أن كان تراثا حكرا على شعر وأمثال تُروى على ألسنة الرواة².

ثم جاءت مرحلة أكثر توسعا وانفتاحا على الأمم الأعجمية، ويظهر ذلك جليا في زمن العباسيين إذ زاد الاختلاط بالمصاهرة والمجاورة فأصيب اللسان العربي ببصمة اللهجة الأعجمية، وذلك لاهتمامهم بمسلك الترجمة فشكلت منعظا جليا لظاهرة التأثير والتأثير، لأنّ ظهور حركة الترجمة مع بداية العصر العباسي كانت من أعظم الأمور خطرا في مجال التبعية والتأثر في تاريخ اللغة العربية ولاسيما في نهايته "أصبحت اللغة العربية نظرا للتطور الذي أصاب المجتمع بحاجة إلى تطوير وتهذيب وتوسيع وضبط، خصوصا بعد أن استقرّ العرب في الأقطار التي فتحوها، وخالطوا الأعاجم واحتكوا بهم... فكان من أثر ذلك أن تأثرت بالمفردات والتراكيب الأعجمية"³.

ويشير الباحث جورج الكفوري إلى أنّ المخالطة الناجمة عن الفتوحات كانت سببا في ظهور العامية حيث يقول: "إنّ مخالطة العرب للأعاجم، بعد الفتوحات أحدثت اللغة العامية، لأنّ الأعجمي يصعب عليه أن يتلقّن بالتعلّم ما ينطق به العربي عن سليقة وتلقين طبع، وأنّه لا يُستبعد أن يكون

¹ - عزة حسن غراب، المعاجم العربية رحلة في الجذور، التطور، الهوية، مرجع سابق، ص42.

² - المرجع نفسه، ص41.

³ - مصطفى صادق الرفاعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط3، 1981، ص285.

أول من تكلم بالعامة، هو أول أعجمي نطق العربية¹، إلا أنه من العدل والإنصاف أن الفتوحات أحدثت ألفاظاً وعبارات قد تكون عامية، ولم تحدث لغة عامية منافسة للفصحى، حيث لم تتشكل بعد، وإن كانت بدايتها سبباً في توسيع هذه الظاهرة.

من الطبيعي أن تتوسع المظاهر اللسانية اللازمة للاحتكاك والتي لا مفر منها كاللحن والدخيل إلا أن هذه المظاهر وشبهها وجدت جهابذة من العلماء بالمرصاد من أمثال سيبويه (ت180هـ) والكسائي (ت189هـ)، وابن السكيت (ت244هـ)، وابن قتيبة (ت276هـ)، وثلعب (ت291هـ)، والزبيدي الأندلسي (ت379هـ)، وابن جني (ت392هـ)، وابن مكّي الصقلي (ت501هـ)، والحريري (ت516هـ)، واللخمي الأندلسي (ت577هـ)، وغيرهم كثير حيث خدموا هذه اللغة وتفانوا في الحفاظ عليها.

ومن صور مجاهدة اللحن وأشباهه في بدايات الدولة العباسية، ما روي عن الإمام الأصمعي (ت206هـ) أنه سمع رجلاً يدعو: (يا ذو الجلال والإكرام)، فقال له: منذ كم تدعو؟ قال: منذ سبع سنين دأباً، فلم أر إجابة، فقال الأصمعي ما اسمك؟ قال: ليث، فأنشأ الأصمعي ينشد:²

يُنَادِي رَبَّهُ بِاللَّحْنِ لَيْثٌ ***** لِدَاكِ إِذَا دَعَاهُ فَلَا يُجِيبُ

ثمّ صحح له خطأه، فقال: "قل يا ذا الجلال والإكرام"، بل نجد الإمام قد ذهب مذهباً أشدّ رأياً في باب اللحن محذراً مرديده من عاقبة اللحن قائلاً: "أخوف ما أخوف على طالب العلم إذا لم

¹ - جورج كفوري، اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، رابطة القدماء في الكلية العلمانية الفرنسية، بيروت، 1948، ص42.

² - شهاب الدين محمد الإبيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، تح: محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط5، 1429هـ-2008م، ص689.

يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت¹.

ونجد عبد الكريم بكري في مقاله - واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان - يذكر لنا صورا من ذلك: "إن المتتبع لمراحل التطور والتمدد الذي عرفته العربية، يجد أنّها قد سلكت مسلكا مكنها من أن تظلّ محتفظة بمكوّناتها وخصائصها الصوتية ونظامها التواصلي، فلقد حرص الناطقون العرب على أن يعدّلوا في الكلمات الداخلة إلى لغتهم بما يتناسب مع أصوات لغتهم كالباء المهموسة (p) والفاء المجهورة (v) والجيم الخالية من التعطيش (G)"².

وذكر ابن فارس صورا أخرى في فقه اللغة قائلا: "حدثني علي بن أحمد الصباحي قال: سمعت ابن دريد يقول: حروف لا تتكلم العرب بها إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، وذلك كالحروف الذي بين الباء والفاء مثل بور إذا اضطروا قالوا: فور"³ فابن دريد يؤكّد أنّ العرب لا تستعمل الدخيل إلا بشروط منها: الضرورة، والاستحالة على الأصوات العربية .

ونجد الجواليقي يتحدّث عن المعرب ويؤكد ما ذهب إليه ابن دريد في هذا الباب قائلا بأنّ: "العرب كثيرا ما يجتزئون على الأسماء الأعجمية فيغيرونها بالإبدال، قالوا: إسماعيل، وأصله إثمائل، فأبدلوا لقب المخرج"⁴.

قد يقول القائل إنّ هناك قسم من الأسماء تركتها العرب كما هي، وتخرج ذلك أنّها ألحقت بأوزان عربيّة كلفظة كُرْكُم ألحق بقمم وببلبل ولؤلؤ، وقس على ذلك.

1 - ينظر: محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة، مرجع سابق، ص 86-87.

2 - ينظر: د. عبد الكريم بكري، واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب "الأسباب والعلاج"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 131.

3 - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، مرجع سابق، ص 272.

4 - المرجع نفسه، ص 273.

وإنّما ذكرنا هذه النصوص لنبين أنّ فحول العرب كانت بالمرصاد للظواهر اللسانية الضارة، فلم يتركوا هذه الألفاظ تسيطر على الألسنة العربيّة حرّة طليقة، بل قيدوها بضوابط وقيود عربيّة، فهي عجميّة باعتبار الأصل عربيّة باعتبار الحال.

والجدير بالذكر أنّ اللحن والتشويه اللذين كانا يهددين العربيّة إنّما ظهرت مظاهره وبوادره في أهل المدر (الحضر) وليس في أهل الوبر (البدو) وهذا ما نفهمه ضمناً من قول ابن جني (ت392): "وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها وتلقي ما يرد عنها"¹، حيث يرى أنّ أهل المدر أُصيبوا باضطراب الألسنة، ويفترض لو أُصيب أهل البادية مثلما أُصيب أهل المدر لا يحتجّ بكلامهم، ولا يُلتفت إليه.

5. الإرهاصات الأولية للغة العامية

ولما كثرت الفتوحات الإسلامية بدأ اضطراب الألسنة يدبّ دُبّاً في ساحتها، وطفقت دائرة الفصاحة تتصاغر لتباعد الزّمان عن الجاهلية وصدر الإسلام، بداية بظهور ظاهرة اللحن، والتساهل في شأنه على كثير من الألسنة، وأشار أحمد بن فارس (المتوفى سنة 395هـ) إلى هذه الصورة قائلاً: "وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبون أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب، فأما الآن فقد تجوّزوا حتّى إنّ المحدث يحدّث فيلحن، والفقهاء يؤلف فيلحن"²، إلّا أنّ هذا اللحن المتساهل في شأنه الذي أشار إليه ابن فارس - في نظرنا - قد يكون صادراً من ألسنة أعجمية، لأنّ كثيراً من المحدثين والفقهاء واللغويين كانوا من العجم، ولا غرو من اللحن إذا صُدر من مثل هؤلاء.

¹ - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1952، ص5.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، مرجع سابق، ص35.

من جهة أخرى أنّ هذا اللحن كانت نسبة استشرائه تتفاوت من مكان إلى مكان، وقد أشار إلى هذا التفاوت الزبيدي الأندلسي الأشبيلي (316هـ-379هـ) قائلاً: "ورأيت كثيراً من اللحن الذي نسبه إلى أهل المشرق، قد سلمت عامتنا من موافقته، ونطقت بوجه الصواب فيه"¹.

وقد وجدنا أحد الرحالين والجغرافيين المسمّى بـ"البشارى" (336هـ-385هـ) يؤكّد هذا الاتجاه، حيث أشار إلى ظهور هذا الصّدع والشّرخ الذي أصاب اللسان العربي في أواسط القرن الرابع في مواضع دون غيرها قائلاً: "وستكلم في كلّ إقليم بلسانهم، وناظر على طريقتهم، ونضرب من أمثالهم...، فإنّ كنا في غير الأقاليم مثل هذه الأبواب تكلمنا بلغة الشام لأنّها إقليمي الذي به نشأت، وناظرت على طريقة القاضي أبي الحسين القزويني لأنّه أوّل إمام عليه درست، ألا ترى إلى بلاغتنا في إقليم المشرق لأنهم أصح الناس عربية لأنهم تكلفوها تكلفاً، وتعلّموها تلقّناً، ثم إلى ركافة كلامنا في مصر والمغرب، وقبحه في ناحية البطائح لأنّه لسان القوم"².

كما نجد كذلك في نصف الأوّل من القرن الخامس محمد بن عبد الله بن محمد الأزدي العماني (ت426هـ) في مقدمة معجمه يتحدث عن هذه الرزية التي أصابت أهل الصنعة قائلاً ومنوّهاً: "إنه لما كان الغالب على أبناء صنعتنا (يقصد مهنة الطب) اللحن والغلط، وقد تفشت فيهم العجمة والشّطط، عزمت على أن أكتب كتاباً يجمع بين اللّغة العربية والطب، مسعفا للطبيب الراغب في تعريب لسانه، ولوازم صحته، وآلات مهنته... إلى أن يقول: بلغنا عن أطباء عصرنا، وصيادلته وعطاريه، وأهل الجراحة والتشريح والكحالين ما بلغنا من خروجهم على لغة العرب، وتفضيلهم كلام العجم يتمادحون بذلك فيما بينهم، إظهار لقدرة لا تستحق الإظهار، وعجمة لا تستوجب الافتخار، فجهدت جهدي أن أعيد الأعجمي إلى رسوم العرب"³.

¹ - د. رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2000م، ص226.

² - المقدسي محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المديولي، القاهرة، ط3، 1411هـ-1991م، ص32.

³ - ينظر: د. عبد الكريم بكري، واقعا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان، اللغة العربية بين التهجين والتهديب "الأسباب والعلاج"، مرجع سابق، ص134.

وكذلك نجد ابن مكي الصقلي (501هـ) يشخص هذا الوهن اللساني في اللغة العربية من خلال تركيزه على جزيرته قائلاً: " فلما تمت الحجّة، ووضحت المحجّة، هجم الفساد على اللسان، وخالطت الإساءة الإحسان، ودخلت لغة العرب، فلم تنزل كل يوم تنهدم أركانها، وتموت فرسانها حتى أستبيح حرّيمها وهجّن صميمها وعفت آثارها، وطُفئت أنوارها، وصار كثيراً من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون، وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون، فرما سخر المخطئ من المصيب...¹."

فهذه أدلة كافية في تصوير هذه الظاهرة اللغوية من الخطأ واللحن وفشوّه في مناطق دون غيرها، بل وصحبتها مظاهر غير محمودة، كميول النفس إلى اللغة الأجنبية والتّباهي بها، مثلما ذكر لنا ابن منظور مؤكّداً في مقدمة معجمه (لسان العرب)، أنّه إنّما وضع هذا المعجم وقاية وعصمة من هذه الظواهر قائلاً: " وذلك لما رأيتّه قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللّحن معهوداً، وصار النّطق بالعربيّة من المعايب معدوداً، وتنافس النّاس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتناصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفرحون، وصنعتّه كما صنع الفلكيّ نوحٌ وقومُه منه يسخرون²". وقد نستشف من الأقوال الآنفة الذكر ما يلي:

- إصابة الألسنة في هذه الأزمنة باللّحن المعتر، واستشرائه في مواضع دون غيرها.
- إعجاب وافتتان ألسنة ذوي الصّنعَة والثّقافة بلسان الغير.
- تصدي أصحاب الغيرة من العلماء لهذه الظواهر، وحرصهم على نقاء اللسان العربي.

¹ - ينظر: د.عبد الجليل مرتاض، ازدهار اللغة العربية بين لسانيات التراث وعلم اللغة الحديث، ازدهار اللغة العربية- الآليات والتحديات-، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، ص38.

² - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص8.

- تصعيد للحركة اللغوية حيث شهدت الساحة العربية والإسلامية دراسات في شتى المجالات العلمية ، وعلى رأسها المجال اللغوي وبخاصة في القرن السابع الهجري والثامن.
- عبارة " فساد اللسان " الموجودة في بطون كتب العلماء الأقدمين لا يستلزم منها وجود اللغة العامية، ولا متضمنة لها، ولعل هذه الشبهة هي التي حملت بعض الباحثين للاعتقاد بأنّ ظهور العاميات كانت في القرون الأولى، وإنما كانت هذه العبارة وأمثالها ينبغي أن تحمل على وجود الإرهاصات الأولية للحن ، وهذا ما نلمسه في بطون كثير من أمهات الكتب التي تتحدّث عن ظاهرة اللحن والغلط، وقد أشرنا إلى بعضها في مواطنها .
- بمثل هذه الأقوال التي ذكرناها آنفا دفعت بعض الباحثين يذهبون إلى تشكّل العامية بمفهومها الحديث كان منذ القرن الخامس أو قبله بقليل، مثلما ذهب محمد التونجي حينما تطرق إلى تعريف العامية قائلاً عنها بأنّها: " هي اللغة التي خلفت الفصحى مع توالي السنين وازدياد اللحن، واختلاط الألسنة وفساد اللغة في البادية والحاضرة منذ القرن الخامس هجري أو أقل بقليل " ¹.
- يمكن القول أنّ الشكوى من المظاهر القادحة للسان العربي كانت موجودة نسبياً، كما تفاوتت قوّة خطورتها، من جيل إلى جيل، والانتقال من مرحلة اجتناب اللحن والتحاشي، إلى مرحلة التساهل وتجوّز اللحن، إلى أنّ ازداد الأمر سوءاً وصار اللحن وكلام العجم في اللسان من الافتخار، إلا أنّ العلماء الجهابذة وقفوا لها بالمرصاد وضيّقوا من دائرتها.
- مع مرور الزمن، وذهاب عصر الخلفاء والملوك وولادة العرب، وصارت ملوك بلاد العرب من الأعاجم والمماليك لا يمتّون للعربية بصلة، إلا البغض والكره الدفين، فطراً على اللسان ما طراً من التغيرات والضعف، والانحراف.

¹ - محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999، ص614.

حيث بدأ هذا اللسان يتراجع شيئاً فشيئاً عن منابع الفصيحة، وهذا أمر لازمٌ إذا تحكّم العجم في زمام الأمور، وبزوال سطوتها من أيدي العرب والمسلمين بدأت تتشكل بدايات معالم العامية بمفهومها الحديث، يقول ابن خلدون في هذا المسلك: "ولما تملك العجم... وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة"¹، فابن خلدون قد تنبّه إلى وجود سببين من الأسباب الرئيسة لظهور الفساد اللساني العربي وهما:

* السبب الأول يتمثل في تحوّل السّلطة والمنعة من أيدي العرب.

* السبب الثاني يتمثل في وجود الاختلاط.

وإنّ أمر هذا الرجل لعجيبٌ فقد أصاب كثيرا من مواطن أسباب الداء، كما وُفق في مواضع كثيرة للتصورات العلاجية في مثل هذه المعضلات الاجتماعية.

وقد تحدّث في موضع آخر عن حقيقة الاختلاط مبينا كيفية حدوث عملية التأثير التي تصيب صاحب اللسان، وما يقع من تغيير للملكة واستحداثها، وقد سمى هذا الأثر الذي أصاب اللسان وما حدث للملكة بالفساد اللساني، قائلا: "إنّه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أنّ الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة المخالفين للعرب من غيرهم، ويسمع كصفات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي"².

¹ - ينظر: عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط2، 1988م، ص 36.

² - ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، مكتبة الهداية، ط1، 2004، ص378.

بإمكانك أن تدقق النظر في مقوله: "...وكانت (ناقصة) عن (الأولى)، وهذا معنى فساد اللسان العربي"، ماذا يقول عن لغتنا المهجينة لو كان بين أيدينا اليوم؟

وهكذا ظهر اختلال النظام الداخلي للغة بعدما كان مقصورا على النظام الخارجي في معظمه، ولاسيما في القرون الأولى من العصر العباسي، وبدأ يستفحل شيئا فشيئا حتى ظهرت العامية-بمفهومها الحديث- مكشّرة على أنيابها في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري، ويشير إلى هذا عبد الكريم بكري في مقاله - واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان- إذ يقول: "ولعلّ من أشدّ ما عرفته العربيّة من عنت في متنها وبنيتها هو وقوع جانب كبير من العالم العربي تحت الحكم العثماني منذ أوائل القرن السادس عشر فلقد طغت العجميّة على العربية في تلك الفترة فاضطرت تراكييها وشوّهت أسالييها و لم تسلم من هذه الآفات حتّى لغة الدّواوين والدّراسات الإداريّة"¹.

بناءً على ما سبق يتبين لنا أنّ الصّواب جانب من يزعم أنّ اللغة العامية الحديثة ترجع في جذورها إلى بدايات الفتوحات الإسلامية، حين دخلت أمم كثيرة من غير العرب في الإسلام، وإتّما يصدق هذا القول على ظاهرة اللحن، ولا يصح إطلاقه على الإرهاصات الأولى لوجود العامية الحديثة، وإتّما كانت بذورها الأولى بداية من منسلخ القرن السابع ، وإن كان هذا الأمر نسبيا. إنّ وميض العامية لم يتشكّل إلّا في هذه الفترة حيث كانت اللغة عموما قريبة من دائرة اللّغة الفصيحة و دليلنا -نحسبه قويا- ما ذكره ابن خلدون في مقدمته متحدثا وواصفا لغة عصره فيقول: " لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر ولغة حمير، وذلك أنا نجدها في بيان المقاصد،

¹ - ينظر: د.عبد الكريم بكري، واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب "الأسباب والعلاج"، مرجع سابق، ص132.

والوفاء بالدلالة على سَنَن اللسان المضري- لغة قريش- ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدلّ على خصوصيات المقاصد¹.

يتحلّى من كلامه أنّ لغة عصره كانت مقتفيّة سَنَن اللسان المضري، مشتركة معه في جميع خصائصها إلا في خاصيّة واحدة أصيبت بالاضطراب، وهي دلالة بعض الحركات كالرّفْع والنّصب، واستبدلوه بقرائن لفظيّة، أو مقاميّة لتعيين المدلول والمقصود من تلك الألفاظ وهذا ظاهر من نصّه منطوقا ومفهوما.

لا ينبغي أن نستشفّ من كلام ابن خلدون وجود العاميّة ونجعلها مرجعا ومطيّة لإثبات ظاهرة لغويّة - لا تمتّ بصلة مع الظاهرة اللغوية التي نعيشها ويعيشها الوطن العربي- ونحمّل النصّ مالا يحتمل، كفعل بعض الباحثين في تخريج كلام ابن خلدون وغيره من المتقدّمين على وجود الازدواجية، تقول إحدى الباحثات في المجال اللغوي بعد سياقها لنص ابن خلدون الذي ذكرته سابقا: "... إذ يتبدّى لغة العوام في عهد ابن خلدون، بما يمثّل لهجة جديدة نتجت عن اللّغة الأم أو اللّغة الرسميّة، يكشف عن نفسه ازدواج لغوي في اللّغة العربيّة في أيّامه"².

وهذا استنباط لا يستقيم ولا يصح على إثبات الازدواجية، ولا على فساد اللّغة، بل يصحّ ذلك على عدم مراعاة أواخر الكلم وضبطها، ولا يعتبره عيبا، ما لم يخلّ بالمعنى، يقول في موضع آخر من كتابه مؤكدا هذا التحليل والتّخريج الذي ذهبنا إليه: "... حيث يزعمون أنّ البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأنّ اللّسان العربي فسد، اعتبارا بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه، فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى، والتّعبير عن المقاصد والتّعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد"³، وبهذا التّخريج يزول الغموض والالتباس،

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، مرجع سابق، ص379.

² - مسعودة خلاف شكور، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ب/قسم الآداب والفلسفة، الجزائر، العدد10، جوان 2013م، ص19.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، مرجع سابق، ص380.

لأنّ صاحب القول نفسه يقرّر ويؤكد في كلام محكم أنّ اللسان العربي في عصره لم يصبه الفساد، بل وقع الاضطراب في خاصية من خصائصه، ولا يضر ذلك مادامت مدلولات الألفاظ دالة .

اعتمادا على ما سبق يمكننا الاعتقاد أنّ اللغة بدأت تتعد عن الدائرة اللغوية الأمّ شيئا فشيئا، والفينة بعد الفينة حتى أوشكت أن تكون أجنبية عنها كمثل الفرنسية عن الإنجليزية، لأنّهما كثيرا ما يتشابهان في الكتابة والنطق، ومع هذا اعتبرت لغتان مستقلتان.

كما تؤكد هذا الاتجاه أحداث تاريخية واقعية لا يمكن إنكارها البتة، مثلما حدث للجزائر وأشقاؤها العرب، حيث يذكر لنا الدكتور نويوات شيئا عن هاته الأحداث في مقالته -الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر- مُصوّرا لنا الواقع اللغوي وذروة انعطافه قائلا: "في منسلخ القرن السابع الهجري ظهر العثمانيون بآسيا الصغرى وأجلوا عنها السلاجقة وفتحوا القسطنطينية وبعض البلاد الأوروبية... وخلعوا المتوكّل على الله فكان بذلك آخر الخلفاء العباسيين، وأحلوا العراق والحجاز واليمن وتونس والجزائر، وجعلوا التركيّة اللّغة الرسميّة بعد اعتمادهم في أوّل أمرهم على العربيّة وعلى العلم العربي، فانحطّت الفصحى على عهدهم انحطاطا لم يسبق له مثيل وخيم الركود على العقول العربيّة وانتشرت الأميّة انتشارا مشؤوما، وخلا الجوّ للعاميات فصالت صولتها، ولما خرج المسلمون من الأندلس بعد ثمانية قرون من احتلالها وبعد انحلال سياسي اجتماعي شامل نزحوا إلى المغرب الإسلامي بلغة دارجة تكثر فيها الكلمات والصيغ الأعجميّة، وعنهم أخذنا هذه اللّغة الهجينة التي تمثّلها أزجال ابن قرمان وأضرابه، وجاء الاستعمار الغربي فزاد في الطّين بلّة"¹.

فهو يشير إلى مرحلة كبرى ضاقت فيها دائرة الفصاحة إلى حد بعيد، واتّسعت رقعة العاميات بمفهومها اللساني الحديث، حتى وصلت إلى أوجها وذروتها العظمى بمجيء الاستعمار

1 - د. مختار نويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعامياتها بالجزائر "المعالم الكبرى"، الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008م، ص130.

الغربي وتكريسه لمبادئ اللهجات العامية، وتُعتبر في نظرنا اللبنة الأساسية لتشكيل هذه الظاهرة التي نحن بصدد دراستها.

ثم يرى أنّ اللغة العربية مرّت على طورين اثنين قائلاً: "ما سبق يبين لنا، بما لا يتطرق إليه الشك، أن اللغة العربية تطوّرت في اتجاهين:

تطورت في كنف القرآن والشريعة الإسلامية فحافظت على سماتها البارزة في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية، وواكبت العصور التي مرّت بها بكل ما أوتيت من ثراء وعبقريّة، واستوعبت حضارات الأقدمين...، وحافظت في مجملها على معاييرها ومقاييسها...، وتطورت تطوّراً طبيعياً حرّاً فقدت فيه الكثير من مميّزاتها وتعدّدت لهجاتها وكادت تكون لغات متباعدة تباعد الفرنسية عن الإسبانية والإيطالية وأصلها واحد... وقد تكون المادة عربية أصابها من التحريف ما يجنب عن الباحث أصلها الحقيقي"¹.

وقد وقفنا كذلك على قول للدكتور صالح بلعيد يبيّن التطوّرات التاريخية التي مرّت بها اللغة العربية الفصحى، وسنذكره للاستئناس وتدعيماً لما ذهبنا إليه، حيث يقول: "ويمكن اختصار هذا العنصر في أنّ العربية منذ العصر الجاهلي عرفت التطوّرات التالية:

أ- ظهرت عربية العصر الجاهلي فصيحة وقد زكّاهها القرآن بنزول كلام الله بها.

ب- عرفت العربية في صدر الإسلام دخول ألفاظ وأساليب جديدة، زادت من توسيعها وتسهيلها.

ج- عرفت في العصر العباسي تطوّراً في المفاهيم وتسهيلاً في قضايا النحو.

د- عرفت انحداراً في عصر الضعف، ودخلتها الابتهالات وسفاسف الألفاظ.

¹ - د. مختار نويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعامياتها بالجزائر "المعالم الكبرى"، الفصحى وعاميتها مرجع سابق، ص 131.

هـ- احتكّت بقوة في العصر الحاضر باللهجات، وباللغات الأجنبية، وبكثير من المؤثرات، فلم تعرف تلك الفصاحة التي وجدت في أنماطها الأولى.

و- عرفت الاحتكاك القوي بوسائل الإعلام الذي أمدها بأساليب لم تعرفها في السابق، وتولّت أنماط مزيج بين العاميات واللغات الأجنبية.

ز- ظهرت دعوات لتيسير العربية من قبل الجامع، والبدء بتيسير نحوها.

ط- ظهرت فكرة إيجاد علاقة بين العاميات واللغة الفصحى عن طريق التقريب بينهما¹.

الذي يترجح عندنا أنّ اختلال النظام الداخلي والنظام الخارجي للغة العربية طفقت معاملة وحدوده تظهر جليا وتتكسّر في عصري التركي والاسطنبول الأوربي، وإن كانت بوادره تعود إلى زمن قبل ذلك، لأنّ اللغة العربية لم تسلم من تأثير الألسنة زمن الفتوحات كما أشرنا سابقا، وإن كان ذلك التأثير على اللغة مثله كمثل الغبار على الزجاج² فرغم أنّ اللغة العربية انتصرت على اللغات الأخرى إلا أنّها لم تخرج سالمة من التحريف في ألسنة المتكلمين لأنّ عاداتهم الصوتية والنطقية السابقة تؤثر في نطقهم اللغة العربية².

لذلك فإنّ أغلب الدراسات تتجه إلى اعتبار أنّ البذور الحقيقية للازدواجية اللغوية تعود إلى عصور الفتوحات الإسلامية، فعندما اختلط العرب بغيرهم من الممالك المفتوحة والأمصار تناوشوا الممالك المفتوحة فناوشتهم بتأثير لهجي لم يكن لهم محيد عنه³، ثمّ طغى الانزياح اللغوي لما اختلت الموازين السياسية والدينية، وهذا لا يختلف فيه كثير من الباحثين، إلا من شدّد أو كان صاحب تقليد.

1 - د. صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟ الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص 172.

2 - حكيم رحوم، لغة الجزائر عقدة أم قدوة، اللغة العربية بين التهذيب والتهجين، المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص 336.

3 - يُنظر: نجاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، مرجع سابق، ص 86.

لما ظهرت هذه الظاهرة اللسانية -العامية- وطفقت تتبلور وتستقل شيئاً فشيئاً عن منبعها الأصيل، بفعل عوامل داخلية وخارجية، حتى كادت أن تكون قسيمة لمنبعها وصار لها أنصار يشيدون بها وينافحون عنها، ويحاولون التععيد لها وفرضها في المجالات التعليمية، وأخذت حيزاً لا بأس به في الساحة البحثية من مؤتمرات وندوات ولقاءات ومؤلفات ومنشورات، فشكلت بذلك منافسة قوية بينها وبين قسيمتها اللغة الفصيحة، فاعتُبر إشكالا من أهم الإشكالات اللغوية التي تواجه الوطن العربي من النواحي الاجتماعية والنفسية والتربوية، وقد أطلقت على هذه الظاهرة مع قسيمتها الفصيحة أكثر من مصطلح لساني، تارة أطلق عليها بظاهرة الازدواجية اللغوية، وتارة بالتنائية اللغوية، ومرة بالازدواجية اللسانية، وستتطرق إلى إشكالية هذا المصطلح وسبب تنوع اختلاف ألفاظه في الفصل الثاني.

وصفوة القول حول هذه النبذة السريعة للمراحل التاريخية التي مرت بها اللغة العربية منذ تبلورها في أواخر العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، يمكن تحديدها بالأحداث والتحويلات الكبرى مع صعوبة تحديد المفاصلة بينها إلا نسبياً، وهي على النحو التالي:

- مرحلة التنوع اللغوي وبلوغ أوجه وصفائه في العصر الجاهلي قبيل الإسلام.
- مرحلة الاستقرار والنمو اللغوي ونقائه وتطوره ضمن أصولها.
- وجود اللغة الفصيحة وانتشارها مع شيء من الدخن في كثير من البلدان المفتوحة في العصر الأموي والقرون الأولى من العصر العباسي.
- نقطة بداية التحوّل والانعطاف المتمثلة في ظهور الصدع والشرخ على ألسنة أبنائها، وإن كان نسبياً حيث يختلف من منطقة إلى منطقة، وينعدم في بقعة ويظهر في بقعة أخرى بحسب العوامل والدوافع، وتتراوح هذه الفترة في تقديرنا ما بين أواسط القرن الرابع ونهاية القرن السادس.

- مرحلة الاضطهاد اللغوي الذي تمثّل في عصر الاستعمار والاستبداد بشقّي أشكاله، وتجلّى بشكل كبير في أيام التحوّل التّركي والاستيطان الأوربي، ممّا ساهم في تحقيق وفرض الاحتكاك والعدوى.

- مرحلة تنكّر الأبناء للغة العربية، والتهاون في تفعيلها، فوصلت حالتها إلى ما هي عليه اليوم من التّهجين المنبوذ، المهجّنة من عدّة لغات فلا تكاد تفهم حتّى من بني جلدتها، والرّزية الكبرى أنّ هذا التّهجين المنبوذ يختلف باختلاف جغرافية الأوطان العربيّة فكلّ عاميته المهجّنة وبنسب مختلفة.

ثانيا: الوضعية اللّسانية بالجزائر والفكر اللّوي الفرانكفوني

تعدّ الجزائر من الفضاءات اللغوية التي تتداخل فيها أشكال من الأداء والاستعمالات اللسانية المتمثلة في خليط من اللغات واللهجات، "فإنّنا نجد في محيطنا التعدد اللغوي، حيث تشكل الرباعية اللغوية محيطا كبيرا في العاصمة، وفي كثير من ولايات الشرق، والجنوب نجد ثنائية جماعية ونجد ثلاثية لغوية جماعية في الولايات الوسط، وهذا يشكل أحيانا عائقا من عوائق التّحكم في اللغة الرسمية"¹، وقد اتّخذت اللغة الفصحى تقنينا لغة رسمية لها، ومن ثمّ تليها اللغة الفرنسية من حيث المنافسة في الاستعمال، ثمّ العاميات والأمازيغيات بتنوّعاتها.

إنّ علاقة هذه اللغات واللهجات بعضها ببعض لا تأخذ صورة واحدة في الثّبات والاستقرار، وإنّما تتميّز بظاهري التنافس والتّعايش حسب طبيعة اللغة وأهلها، كاللغة الفرنسية واللغة العربية إذ يمثل هذا الرّوج اللغوي مظهرا من مظاهر الصّراع وشكلا من أشكال حرب اللغات بين الفرانكفونيين وأنصار الفصيحة منذ أمد بعيد تعود إلى عام 1830م أو أكثر، كما هو الحال بين اللغة العربية الفصحى والعاميات حيث يمثّل صورة من صور الحروب اللغوية الحديثة المفروضة على الأمة العربية المغلوبة، والتي بلغت أوجّها بعد القرن العشرين.

1 - د. صالح بلعيد، سوء إتقان اللغة العربية- رأي في المسألة - إتقان العربية في التعليم، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4 و5 محرم 1424 الموافق ل 9-10 أبريل، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، يونيو 2000، ص31.

على مدى الفترات التاريخية لاسيما حقبة الاستعمار، وحقبة ما بعد الاستعمار، كانت اللغة العربية الفصحى هي الوجهة المقصودة لتغييبها عن الأذهان والإفهام بشكل قاطع لا رجعة فيه، وإن كان هذا السلوك العدائي عُرف في صدر الإسلام، إلا أنّ العداء اللغوي بأشكاله بلغ ذروة السّنام في عصر الاستعمار، حيث "بذل الاستعمار الفرنسي قُصارى جهده لطمس اللغة العربية، ومحو معالمها بين أفراد الشعب الجزائري، فاعترض عليه التاريخ وحيب آماله، وحاول أن يفرض البدائل بدءاً باللغة الفرنسية وانتهاءً بإحلال اللهجات محل اللغة الفصحى وبين الطرفين كان يخطط لإحياء اللغة البربرية بين أبناء الأصل البربري لا إكراماً لها أو انتصاراً معها وإنما إمعاناً في طمس اللغة العربية"¹.

وإنّما أردنا من هذا المبحث إثبات قوى خفية من وراء الظلام والسّواد تعرقل المسار اللغوي الذي ينبغي أن يتحلّى به أيّ بلد أو أيّ كيان مستقل ذا سيادة، كما هو الحال في كثير من البلاد العربية مع عربيّتهم وما تعانیه من هذه القوى الظلامية الغاشمة حيث "كلّما ارتفعت أصوات مطالبة بإحلال العربية محل الفرنسية في كثير من القطاعات إلا وأقامت الفرانكفونية القيامة، وجيشّت العواطف، والمعاول للنيل من العربية أساساً"².

ستثبت بالأدلة والحجج التي لا يتطرق إليها الشك أن الصّراع اللّساني بين أنصار الفصيحة والشّرذمة الفرانكفونية في بلاد المغرب العربي وعلى رأسها الجزائر، تعود إلى "المؤامرة الاستعمارية الفرانكفونية التي لا تزال تقف إلى اليوم عائقاً وتمثّل تحدياً قوياً أمام أيّ تطوّر للغة العربية"³، والتي كانت ولا زالت سبباً من الأسباب القوية لظهور ظواهر لغوية غير مرغوب فيها.

وقد أشار الباحث عبد المالك مرتاض إلى خطورة هذا التبييت حول اللّغة العربية مع تفاؤله المستقبلي لزوال هذه الطّغمة الحاكمة عليها قائلاً: "وأمام هذا التبييت المبيت للغة الضّاد لا يسع المرء

1 - د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص57-58.

2 - مبارك حنون، الوضع اللغوي بالمغرب في أفق العولمة، مجلة فكر ونقد، العدد24، السنة الثالثة، 1999، ص111-117.

3 - أ.د. محمد زرمان، راهن اللغة العربية وسبل ترقيتها، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج1، مرجع سابق، ص45.

إلا أن يتساءل فعلا وحقا عن مستقبل العربية في الجزائر، لولا ما نعتقد من أن هؤلاء المتعصبين للفرنسية لغة المستعمر القريب... وستنتهي هذه النزعة الشريرة بانتهاء أعمارهم¹.

بالرغم من أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الجزائر منذ دستور 1963م، إلا أن الواقع اللغوي التداولي والاستعمالي يوحى غير هذا، حتى وإن التمسنا حضورها في بعض المواطن والمواضع، فإن نصيبها ضئيل بالنسبة للتضحية التي قُدمت من أجلها وسُخّرت، وبالنسبة للدساتير والمواثيق والمراسيم التي صُدرت من أجلها، وكذا بالنسبة للفترة الزمنية التي استغرقتها مقارنة مع مثيلاتها من اللغات المستقلة من الاستعمار، كاللغة الفيتنامية فإنها حققت استقلال الأرض، واستقلال الذات و الفكر انطلاقا من وصية قائدها هوشي مينه لأبناء شعبه: "حافظوا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم"².

إذا ما أمعنا النظر لوجدنا أن الثورة الجزائرية قد حققت استقلال الأرض، وتركت الذات والأفكار مستعمرة فرنسية من خلال هيمنة لغة المستعمر على الساحة الجزائرية بارتكاب أخف الضررين، حيث أصبحت تضايق اللغة الفصيحة في عقر دارها، فلم يقتصر استعمالها على الجانب الشفوي بين الأفراد، بل تعدى وجودها إلى مجالات عملية أخرى.

من خلال الاستقراء نجد أن اللغة الفرنسية قد استحوذت على ميادين استراتيجيه ذات سلطة ونفوذ فكري وثقافي، ومن أبرز مواطنه التعليم العالي في أقسامه العلمية، والبيولوجية، والتكنولوجية، وإدارة الأعمال، ومجالات الاقتصاد، حيث تركت واقعا لغويا متجذرا "ذا بنيات إدارية وأنظمة تعليمية

¹ - عبد الملك مرتاض، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين في المؤسسات التعليمية في الجمهورية الجزائرية: الواقع والتحديات واستشراف المستقبل، الموسم الثقافي الثالث والعشرون، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 2005م، ص323.

² - د.عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص125.

ومؤسسات اقتصادية تسود فيها اللغة الفرنسية سيادة مطلقة¹، فصارت بذلك لغة طيّعة الاستعمال بالنسبة للإداريين، والتّحّب الثقافيّة، والسياسية، وصنّاع الرّأي العام، وفي كثير من مؤسسات الدّولة والمؤسسات الخاصة، وبهذه الإجراءات الفعلية والتّصورات المثالية لمنزلتها أصبحت الفرنسية "تُعدّ لغة شبه رسمية في الجزائر رغم عدم وجود أيّ ذكر لها في أيّ منشور من منشور الدّولة"².

إنّ الفرنسية غرزت مخالباها بالجزائر واستشرت ثقافتها، مع أنّها لا تمتلك سندا تشريعيّا ترتكز عليه، ولا يرتبط وجودها بأقلّيّة عرقية، ولا إثنية، ولا مرجعية دينية، ومن جانب آخر أنّها ليست عضوا في المنظمة الفرانكفونية* (francophonie) شأن كثير من الدّول الإفريقية وبعض الدّول العربية، كيف تكون الجزائر لو تحققت هذه العوامل والثّغرات؟

مّا زاد الأمر تعقيدا وخطورة على الفصيحة استثناء العاميات وتدعيمها في غير مواطنها على أسنة بني جلدتها، حيث اقتحمت مجالات الإعلام، وتخلّلت بعضا من الإبداعات كالمسرح وشيئا من القصص والرّوايات، بل اخترقت السّاحات التعليمية والبحثية، وقد أشار أحد الباحثين إلى الفصحى وما تعانيه في ساحتها مع أبنائها قائلا: "فإنّه من الواضح أيضا أنّها لا تُستعمل بطريقة جيّدة وسليمة حتى داخل المؤسسات التّعليمية، فظاهرة استعمال العامية في شرح المحاضرات والدّروس من قبل الأساتذة، وفي إجابات التّلاميذ ومناقشتهم أمر ملفت للانتباه"³.

1 - جليبير غرانغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2011، ص12.

2 - ينظر: محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، مرجع سابق، ص69.

* الفرانكفونية(francophonie) منظمة لغوية حكومية دولية(Organisation Internationale de la francophonie)

تأسست يوم 20 مارس 1970 تضم الدول الناطقة باللغة الفرنسية، وتُعدّ مهمتها الأساسية ترويج اللغة الفرنسية وحمايتها في العالم، وتظم المنظمة إلى غاية ديسمبر 2014م: 80 بلدا وحكومة: 57 عضوا و23 مراقبا، والبلدان العربية ذات العضوية بمهده المنظمة هي: مصر، لبنان، تونس، المغرب. ينظر: د. إبراهيم براهيم، السوق اللغوية في الجزائر -تحديات الاستثمار اللغوي ورهاناته-، ازدهار اللغة بين الماضي والحاضر، ج2، ص163.

3 - د. عز الدين صحراوي، واقع اللغة العربية في المنظومة التعليمية بين الاستعمال والإهمال، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، أعمال الملتقى 17-18 مايو 2017، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص103.

كما نجد كذلك عبد السلام مسدي يؤكد على هذه البلية التي ستساهم في ضياع هويتنا اللغوية مبينا أنّ اللغات الأجنبية لم تعد هي العدوّ الأوّل للغة العربية، وإتّما الذي حلّ محلّه في هذا العداء الشرس النافذ، والذي في مستطاعه أن يُجهز على العربية فيذهب بريجها، هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى، إنّنا ما فتئنا نفسح الأبواب للعاميات تغزو الحقول التي تحيا بفضلها العربية حيث:

- غزت العاميات منابرنا الإعلامية السمعية والبصرية وسكتنا.
- غزت العاميات حواراتنا الثقافية وسكتنا.
- غزت العاميات مجالسنا الفكرية، ثم تسللت إلى فصول التدريس ومدارج الجامعات، وها نحن نصمت متبرمين أو منحذلين¹.

وهذا ممّا لا شك فيه يُعتبر من العوامل التي ساهمت في ضعف مستوى الخطاب العام، وعملت على تهجين اللّغة حتى صارت كما قيل لا شرقية ولا غربية، أو هي شرقية غربية أو غربية محضة في بعض المواطن، حتى قيل عن الجزائري ووضعه اللّساني "إذا رأيت خطابا لحمته عربية وسداه فرنسي فاعلم أنّ صاحبه جزائري"².

بناء على ما سبق يتبين لنا أنّ الوضع اللغوي الجزائري بظواهره اللغوية المتنوّعة ليس متماثلا ولا متجانسا مع مبدأ الهوية العربية والإسلامية المنشودة من طرف أبنائه، ولا متماثلا في السّاحات على الألسنة من مختلف الجهات، حيث تتسلّط "الدّارجات الجزائرية وتهيمن على السّوق الشّفوية،

1 - د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، مرجع سابق، ص 20.

2 - ينظر: د مختار نويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعامياتها بالجزائر "المعالم الكبرى"، الفصحى وعاميتها، مرجع سابق، ص 135.

وتحقق توصالاً بين المجموعات اللغوية المختلفة، فالعربية الفصيحة واللغة الفرنسية لا تستعملها إلا طبقة من المثقفين، الأمازيغية أمازيغيات وهي شتات لها مناطقها النافذة"¹.

فصاحب هذا القول يرى أنّ الوضع اللغوي في الجزائر يتوزع على النحو التالي:

- اللغات ذات الانتشار الواسع: العاميات أو الدارجات الجزائرية العربية.
- اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية.
- اللغات المحلية: الأمازيغية بمختلف تآدياتها ولهجاتها.

إلا أنّنا من خلال الواقع، نلاحظ أنّ اللغة الفصيحة تحظى بالمقام الأخير من ناحية التداول والاستعمال والمنزلة، وهذا ما أكّده الدكتور أحمد بناني قائلاً: "حيث نلاحظ أن استعمال الفرنسية يمس أكثر المقامات، وتأتي الدارجات في المرتبة الثانية، والعربية الفصحى في المرتبة الثالثة، وأما المحليات فلكل منها أوضاعها"².

إذا الفرنسية تحظى دون شك بمنزلة تفوق منزلة اللغة العربية وخاصة في بابي التجارة والاقتصاد، والدراسات الجامعية العلمية، مما شكّلت ازدواجية -ثنائية- عقائدية عملت على جعل أحد أطرافها -الفرنسية- أعلى المقامات وأوسع المجالات، والطرف الآخر -اللغة الفصيحة- في أدنى المقامات وأضيق المجالات، وهذا ما حدّر منه أحمد طالب الإبراهيمي قائلاً: "فإذا كان المقصود بذلك هو الازدواجية العقائدية التي تتخذ اللغة العربية أداة للتعامل بين العوام والجماهير الشعبية، وتجعل من

¹ - د. صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة العربية، العدد التاسع، خريف 2002، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 137، وينظر: د. صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص 58.

² - د. أحمد بناني، الازدواجية اللغوية في الواقع الجزائري، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد الثامن، ديسمبر 2002، ص 112.

اللغة الفرنسية لغة المدرسة والنخبة المثقفة، فإننا لا نرضى بذلك لأنّ هذه الازدواجية لا تستند إلى دليل من المنطق القويم والعقل السليم"¹.

لا زالت اللغة الفرنسية أداة للتعلم والبحث العلمي، ولا تزال آثارها حتى في المراحل الابتدائية كما تظهر في مادة الرياضيات، وطريقة كتابتها، كما صارت لكثير من الأسر والطبقات مطية للثقافة والحضارة، ووسيلة للحصول على المكانة الاجتماعية، "لقد ظلت اللغة الفرنسية أداة للعمل ووسيلة للتواصل اليومي في بعض الأسر المثقفة -بزعمهم- كما بقيت ولمدة طويلة لغة التعليم"².

من أجل هذا الوضع التي حظيت به الفرنسية أكد كثير من الباحثين على "أنّ الجزائر خدمت اللغة الفرنسية في أقل من ثلث قرن بما لم تقم به فرنسا في قرن ونصف وبتفوق هائل في النوعية"³.

وهذا ما أشار إليه مختار الغوث مؤكداً أنّ جزائر الاستقلال جدّت في نشر الفرنسية والتمكين لها محتجا بمقولة للمؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله: "...ولكن نكاد نكون بلا هوية، وقد فرنسنا أنفسنا أكثر ممّا فرنسنا الفرنسيين وفي كل يوم نزداد ارتقاء في أحضان فرنسة والفرانكفونية، وربما كنا أكثر اعتزازا بالإسلام والعروبة والجزائر أيام الاستعمار من أيام الاستقلال"⁴، وذلك أنّ اللغة العربية قد كان لها من المكانة والشرف والتعظيم لدى كل فئات مجتمعاتنا أيام الاستعمار أضعاف ما لها منه الآن بعد عقود من دولة الاستقلال.

إلا أنّ كثيرا من أبناء الجزائر بعد الاستقلال اجتهدوا لاستعادة الذات اللغوية، وكان التعريب من أولى الاهتمامات الذي أخذ قسطا وافرا من الجهد، ولقد ابتلي بلاء حسنا لما لقيه من عقبات

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص162.

2 - حفيظة تزروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، كلية لسانيات تطبيقية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2003، ص45.

3 - عميمور محي الدين، الجزائر القنبلة اللغوية العنقودية، مجلة العربي، ع115، الجزائر، 2001م، ص60.

4 - مختار الغوث، اللغة والهوية، مرجع سابق، ص98.

وعوائق صعبة، وبخاصة في مجال التعليم والدراسات العليا العلمية، لما له من أهمية عظيمة لأيّ أمة أرادت مواكبة التطور، والمضي في مسار الحضارات واقتنائها.

وهذا ما أكدته الأبحاث التاريخية على أنّ الحكومات الجزائرية سعت بكل جهد إلى "إعادة الاعتبار للغة العربية يجعلها لغة البلاد الرسمية في التعليم والإدارة والإعلام وغيرها من القطاعات، إلا أنّ اللّوي الفرانكفوني الذي كان يتمتع بنفوذ واسع في مراكز القرار - ولا يزال جاثماً على صدورنا-، وقف بالمرصاد لكل هذه الجهود وعمل على عرقلتها وتحجيم أثرها، والإبقاء على لغة المستعمر هي السائدة في المؤسسات الرسمية وفي الشارع وجعلها تحاصر العربية في كل المجالات مع ترسيخ القناعة في نفوس الأجيال الجزائرية الناشئة بأنّ الفرنسية هي لغة العلوم والتّقنية والحضارة... وأنّ العربية تفتقد لكل هذه الميزات والعمل على تهميش الإطارات المعرّبة"¹.

ومن أبرز المنجزات المادّية التي قدّمت من أبناء جلدتها لأجل خدمتها وتطوّرها، تأسيس المعاهد والمؤسسات العلمية، كالمختبرات والمراكز البحثية الموكلة بدراسة اللغة العربية، والعمل على ازدهارها، منها المؤسسات اللّغوية الوطنية الرسمية والتي تمثّلت في:

- الجمع الجزائري للغة العربية سنة 1986م.
- مركز البحوث العلمية والتّقنية لترقية اللغة العربية سنة 1991م.
- المجلس الأعلى للغة العربية 1998م.

إلا أنّ هذه المؤسّسات وشبهها لم تستطع الصّمود أمام المد اللّوي الفرانكفوني وقبضته إلى يومنا هذا، لما تفتقده من السّلطة التنفيذية وقوّة القرار، فاقصر نشاط هذه المؤسّسات على التّأليف والإرشاد والتّوجيه، والتّصدي لبعض الشّبّهات وردّها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

¹ - ينظر: أد. محمد زمران، راهن اللغة العربية في الجزائر وسبل ترقيتها، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر¹، مرجع سابق، ص47.

وسأذكر بعض الأحداث التي تبين لنا مدى سيطرة اللّوي الفرانكفوني على مفاصل هذه الأُمَّة العربية ، وعلى لسانها، رغم الاحتشاد المتين للنصوص التشريعية كما ذكرنا آنفا، حيث ظل بمكره في صراع متأجج مع أنصار الهويّة العربية منتظرا أيّ انعطاف سياسي، أو أيّ ثغرة من الثغرات الاجتماعية كي يظهر مجددا بأفكاره وشبهاته السّامة وخاصة في دول المغرب العربي وعلى رأسهم الجزائر ، ومن تلك الأحداث:

في عام 1991 صدر قانون تعميم استعمال اللّغة العربية، وتبعاً لهذا القانون أنشئ المجلس الأعلى للغة العربية، إلا أنّ الفكر اللّوي الفرانكفوني سعى بكل جهد إلى إجهاض هذا القانون ونجح في مهامه إذ بقيت بنوده حبرا على ورق، وفي عام 1997م رفع الرئيس قرار التّجميد عنه، فتحرك النواب الفرنسيون في البرلمان الأوربي - لحبّهم الشّديد للشّعب الجزائري! - الذي أصدر في نوفمبر من العام نفسه بيانا بواسطة اللّجنة الفرعية لحقوق الإنسان، والذي يعكس العداء الواضح للّغة العربية وأهلها، وتحريض أبناء جلدتها ضد لغتهم ومما جاء فيه: "إنّ سياسة التّعريب جاءت نتيجة عمل فوج في ميثاق 1976م، وإنّ اللّغة العربية التي فُرضت على المجتمع الجزائري هي اللّغة الفصحى، وهي لغة مصطنعة بعيدة عن المجتمع، وعن العربية التي يتكلّمها الشّارع الجزائري، فالعربية الفصحى فُرضت عنوة في التّعليم والقضاء، وقد ألحق تعليم الفصحى الضّرر بالفكر، ومكّن الفكر الأصولي الظّلامي الدّيني من الانتشار، وأدخل الحركة الإسلامية إلى البلاد"¹.

وكان هذا الاستنفار والاستنكار من البرلمان الفرنسي وتجسيده بواسطة لجنته الفرعية لحقوق الإنسان كفيلا بتجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية للمرة الثانية، وإعادة إدراجه في رفوف المنسيات، ويؤكد الدكتور عثمان سعدي رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية أن وضعها في

¹ - وفاء مرزوق، محنة التعريب في الجزائر، مسيرة نصف قرن.

الجزائر مُزّر لا يُنبئ عن خير، ممثلاً بالإدارة الفرنسية، وأوضح أنّ المحيط الجزائري منذ عام 2000 طغت عليه الفرنسية، وأن المتجول في شوارع مدينة الجزائر لا يشعر أنّه في بلد مستقل، وعبر عن امتعاضه لتجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية بدون مرسوم¹.

حيث أنّ اللّوي الفرانكفوني لم يدخر جهداً في محاولة طمس مقومات الهوية العربية والإسلامية وعلى رأسها اللّغة العربية لأنّه رأى بأنّها "من أهمّ دعائم الوحدة العربية باعتبارها لغة الدّين والتّاريخ المشترك والتّراث العريق، وطريقة التّعبير عن الآلام والآمال المشتركة، فأراد القضاء عليها، وإحلال اللغة الأجنبية محلّها"²، أو إحلال أيّ لغة غيرها، حتى ولو كانت من العاميات، ما دامت تحدث انفصاما ما بين الأمة والهوية التي تنشدها.

أما الحادثة الثانية فهي ليست من الماضي البعيد كسابقتهما، والخبر انتشر في الصحف والمواقع الالكترونية كالنار في الهشيم، بل هذه الحادثة لا تدل إلا على وجود خلايا محمّلة بالفكر الفرانكفوني ومشحونة بسياسة المستدمر، فتظهر أحيانا وتختفي أحيانا حسب طبيعة المجتمع الثقافي تفككا وتماسكا، كما برزت هذه الخلايا جلية للعيان في عام (2015م) تحت غطاء إصلاح المنظومة التربوية التي كان معظم أعضاء لجنّتها من عتاة الفرانكفونية وأقطابها الكبار³.

والحادثة التي أفاضت الكأس التصريحات من بعض الجهات حول استعمال اللغة "العامية" في التدريس خلال المراحل الأولى من التعليم الابتدائي تحت دوافع بيداغوجية بحتة، كالتّصريح لصحيفة الوطن أن "استخدام اللغة الأم (الدارجة) في التعليم يسمح بتنمية أجزاء مهمة في المخ"⁴.

1 - ينظر: بوعلام غمراسة، عثمان سعدي: لوي فرانكفوني وراء تجميد قانون استعمال العربية في الجزائر، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة 03 صفر 1430هـ، 30 يناير 2009، العدد 11021.

2 - سميح أبو مغلي، في فقه اللغة وقضايا العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص157.

3 - ينظر: الحبيب مباركي، نورية بن غبريط وزيرة تنطلق من الأنثروبولوجيا لفهم أثر التدين على الناس، <https://alarab.co.uk.2017/10/14>

4 - ينظر: جدل سياسي في الجزائر بعد اقتراح بتدريس العامية.

ولم تحظ هذه التصريحات إلا بالرفض المطلق، وأمواج من الغضب من جميع الطبقات الدينية والسياسية والثقافية.

حيث نددت جمعية علماء المسلمين على لسان رئيسها محمد قسوم أنّ اعتماد اللهجة العامية بدل اللغة العربية الفصحى أمر غير مقبول تماما، وهو محاولة لتكسير الهوية، والوحدة الوطنية، كما استنكرت كثير من الزوايا كالزاوية القاسمية واعتبروا أنّ ذلك خيانة لأمانة الشهداء والهوية العربية والأمازيغية، وقالوا أنّ العربية الفصحى لا تصدم الأطفال... بل تصدم سوى من رضعوا الفرنسية مع حليب أمهاتهم، كما استغربت مجموعات سياسية في بيان مشترك لها ووصفت هذا القرار بالسابقة الخطيرة في تاريخ التعليم في الجزائر.¹

وأكد رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية الدكتور عثمان سعيد أنّه سبق للجمعية أن أصدرت بيانا بعنوان "سطوة اللّوي الفرنكفوني تمتدّ إلى المدرسة قلعة الوطنية" ويقرر أنّ فكر اللّوي الفرنكفوني بالجزائري عمل منذ الاستقلال على رفع شعارات وحجج المستعمرين الفرنسيين، إنّ حجة استعمال العامية "كاللغة الأم" لتسهيل تعلم العربية ما هي إلا مغالطة خبيثة، كما تُعدّ محاولة لزرع الشك في وضع اللغة الفصحى في المنظومة التربوية الجزائرية وأنها دعوة لإيقاظ الفتنة وإشغالها.²

ويصرح البروفيسور المغربي محمد الحناش ل "الشروق" أنّ الدعوة إلى اعتماد العامية في التعليم باطلّة علميا وبيداغوجيا، وإنّ مستوى التلاميذ لا علاقة له بالفصحى، بل هو مشكل ناجم عن مناهج التدريس، كما أشار إلى أنّ هذه الدعاوى صارت موضوعة العصر في دنيا الدول التي عانت من ويلات الفرانكفونية التي ترى أداها اللّغوية تنحدر يوما بعد يوم.³

<http://www.alhaya.ps/ar/Article/4190/%D8%AC%D8%AF%D9%84>

¹ - ينظر: حمزة عساس، الزوايا تثور ضد بن غبريط للتدريس بالدارجة

<https://www.ennaharonline.com/2p=417662>.

² - ينظر: <https://www.elbilad.net/Article/detail?id=41816>

³ - ينظر: الشروق أونلاين 2015/08/22.

كما نجد أيضا كاتباً آخر في الجريدة نفسها يشنع على عملاء الاستعمار ويحذّر من مغبة تلك التصريحات الخطيرة وتفعيلها قائلًا: "إننا إزاء ردّة فعل لغوية خطيرة ستضرب العربية في العمق، وستظهر آثارها الكارثية قريباً إذا وجدت طريقها إلى التّطبيق"¹.

يمكننا القول استناداً على هذه الأحداث التي ذكرناها، وما ترتّب عنها من مظاهر الصّراع اللّغوي، لأدلّ دليل على خطورة فكر اللّوي الفرانكفوني بالمغرب العربي، ولا ريب أنّّه "لا يزال قويا ومؤثراً وناظراً يعمل سرا وجهراً على ترسيخ الفرنسية بكل ما أوتي من قوّة وجهد، ويجارب العربية من كل الجبهات"².

نخلص إلى أنّ اللغة العربية في الجزائر تعيش حالة من الحصار الخانق المضروب حولها من عدة جهات منذ الاستقلال إلى اليوم، فهي رهينة مؤامرة استعمارية فرانكفونية محبوكة بعناية، كما أنّها ضحية بعض أبنائها الذين خذلوها³، وقد قيل على لسان أحد المستشرقين -وقد صدق- ليس على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للعربية، ولا على وجه الأرض أمة تسعى بوعي أو بغير وعي في تدمير لغتها كالعرب⁴.

ثالثاً: مكانة اللغة ومنزلتها لدى المجتمعات

إنّ قضية اللغة بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة، هي من أهم قضايا الساعة على صعيد الفكر العربي، لأنّ اللغة من أوجب الواجبات الوجدانية التي بواسطتها يتم وعي الإنسان للأشياء، ثم

¹ - حسين لقرع، لغة "الباطيمة وكرزازاتوموبيل"، جريدة صوت الأحرار، ص 05.

² - أ.د محمد زمران، راهن اللغة العربية في الجزائر وسبل ترفيتها، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج 1، مرجع سابق، ص 50.

³ - المرجع نفسه، ص 59.

⁴ - ينظر: مختار الغوث، اللغة هويّة، مرجع سابق، ص 148.

للذات، وبالتالي فلا فكر ولا علم بدون لغة، ولا دين ولا حضارة بدون لغة¹، وإلا كان الذلُّ والصَّغَارُ على من فرّط في لغته - لغة ماضيه وتراثه - ولم يُنزل لغة غيره بقدر الضرورة اللازمة.

قد أدرك كثير من العلماء والمفكرين والباحثين القدماء منهم والمحدثين مكانة اللّغة ومنزلتها في تحقيق الملامح والمؤشرات التي تستوجب القوّة والحضارة والشخصية، كما أدركوا خطورة ما يترتب عن موتها أو ضعفها، لذا كان من الضروري تعظيم اللغة بحفظ مكانتها، والسّعي في خدمتها، والتّفاني في استعمالها، و البحث عن السُّبُل لاستشرائها، وعن كيفية تغلغلها في أعماق أبنائها، وهذا التّصور بنفسه وعينه هو الذي يدخل في صميم السياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي التي تهتمّ به وتفعله الأمم المتطوّرة.

من المهم أن نفسر لماذا هو ضروري أن نستقرئ الأمثلة والشواهد على منزلة اللغة وبخاصة اللغة العربية التي تكالبت عليها الأعداء، حتى إنّها لم تسلم من بعض بني جلدتها، لذلك ارتأينا أن نسوق كثيرا من الأقوال التوعوية والمختلفة من شتى الأجناس والمشارب الفكرية والعقائدية، وأحسن تعليل وقفنا عليه لمثل هذا المنحى هو تعليل لعبد السلام المسدي حين أطنب في ذكر الشواهد حول العرب والانتحار اللغوي قائلا: "إننا نفعل ذلك ونطنب فيه لأنّ الطرف الذي نحاوره ليس "الآخر"، فذاك الآخر لم يعد يتكلم أو يداري، إنه تجاوز مرحلة الكيد بالدسائس، إنّه يجاهره بأنه يمارس استحقاقات الغلبة ومشروعية الانتصار حسب مكاييله الجديدة...، إنّ الطرف الذي نحاوره، ونجادله، وربما نخاصمه في الحوار والمجادلة، هو "الأنا"...، التي من فرط انغماسها في الزمن الفيزيائي تعشى بصائرهما عن رؤية الزمن الحضاري فتعيد عن مهاداتها وتطفئ بيدها شموع الرغبة في الوجود"².

1. منزلة اللغة عموما ونظرة العلماء والباحثين إليها

¹ - ينظر: وليد محمد مراد، المسار الجديد في علم اللغة العام، مطبعة الكواكب دمشق، ط1، 1986، ص40.

² - د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، مرجع سابق، ص88-89.

إليك هذه الأقوال التي تُظهر قداسيّة اللّغة ومنزلتها عموماً عند أصحابها عربهم وعجمهم مع شيء من التعليق ، لا بصفتها لغة قوم معيّنين فحسب، وإنما بصفتها لسانا تستعمله كلّ المجتمعات، حيث بيّنوا أنّها:

- جُنة ووقاية من أيّ استدمار واستبداد أجنبي، يقول في هذا الصدد مصطفى صادق الرّفاعي: "ما ذلّت لغة شعب إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم بعظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أمّا الأوّل، فحبس لغتهم في لغته سجننا مؤبداً، وأمّا الثّاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محو ونسياناً، وأمّا الثّالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع"¹.

فمن ضيّع لغته ولغة قومه فقد أعرى مطايا أمّته لأعدائها، ومكّنّها من برائين لاستبداد والاستعباد، لأنّها بذلك ستفقد كثيراً من صوّر تاريخها، ورواسب ماضيها، فتتجرّد خطوة خطوة من كلّ عز ومن كلّ حرية واستقلال، وفي ذلك يقول يوهان غو تليب فيخته (J.G.fichte) أستاذ الفلسفة بجامعة برلين: "إنّ الذي يفقد لغته يمزق الخيط الذي يصله بالأجداد، ويفقد معها حلاقات ماضيّه، ويشعر بفجوة عميقة حقيقية في تطوّره، ينقطع عن أصله، كجلمود صخر انفصل عن الصخرة الأم، وحطّه السيل من عل، فجرفه وقذف به بعيداً إلى أعماق الدّوبان، والانحواء، واللاوجود، لأنّ اللغة الأصليّة هي الحياة، والتي تمدّ بالحياة، ولأنّ الأمم المغلوبة تفقد لغتها تندمج وتذوب في جنس اللغة الغالبة"².

¹ - مصطفى صادق الرّفاعي، وحي القلم، راجعه: د.درويش الجويدي، ج3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص29.

² - ينظر: محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، مرجع سابق، ص191.

إذا اللغة من الحصون المانعة لتوغل المستدمر، ووسيلة من وسائل محاربتة ، وهذا ما يصوره لنا الأديب الفرنسي ألفونس دودي (Daudet) قائلاً: "عندما يستعبد شعب، فإذا حافظ على لغته، فكأنه يملك مفتاح سجنه"¹، ويؤكد هذا التصور الباحث ساطع الحصرى بقوله: "إنّ الأمة المحكومة التي تحافظ على لغتها، تشبه السجين الذي يمسك بيده مفتاح سجنه"².

كما يبيّن أحد الباحثين اللغويين أنّ الاحتلال اللغوي أخطر بكثير من الاحتلال الأرضي، لأنّ اللغة روح الأمة وسرّ وجودها، قائلاً أنّ اللغة: "في دلالتها العميقة في الأمة وجودها، وسرّ حياتها، ومدى فعاليتها في الوجود، وما ذلّت لغة أمة إلاّ ذلّت الأمة وانحطت، وما اعتزت اللغة إلاّ اعتزت الأمة وارتقت، وعظم شأنها بين الأمم، والاحتلال اللغوي أخطر على الأمة من الاحتلال الأرضي، لأنّ الاحتلال اللغوي معناه في عمق دلالاته احتلال الفكر والوجدان"³.

فقد تقرّر عند كلّ حر وعاقل لبيب أنّه لا وجود للاستقلال الحقيقي دون الاستقلالية التامة للأراضي واللسان: "أيما توجد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها"⁴.

- اللغة رابطة اجتماعية عند اللغويين وغيرهم من الباحثين الغربيين، لما لها من علاقة عميقة ومتينة بين عالم الأفكار وعالم المحسوسات، بل يذهب إلى أبعد من هذا يوهان غو تليب فينخته (J.G.fichte) بأنّها الجبل الوحيد الذي يربط بينهما، حيث يقول: "اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلا مترابطة خاضعا للقوانين، إنّها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم

1 - المرجع نفسه، ص37، و ينظر: محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟..ومتى تموت؟ دار نضضة مصر للنشر، طبعة يناير2016، ص187.

2 - محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟..ومتى تموت؟ مرجع سابق، ص187.

3 - محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية، مرجع سابق، ص38.

4 - ينظر: محمد شفيع القوصي، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربي والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 1437هـ- 2016م، ص25.

الأذهان"¹، ويقول هادي نحر: "كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه تلعب فيه اللغة دورا ذا أهمية أساسية باعتبارها من أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع، وهي رمز لحياتهم المشتركة وضمنان لها"². بل هذه الرابطة قد تتعدى أعضاء مجتمع واحد بعينه، إلى الربط بين جيل وجيل، وبين جيل ومرجعية معتقداته كما هو حال المسلمين الحقيقيين، لذا أيّ تفريط في اللسان كسر لهيكل تماسك المجتمع، وقطع للحبل الواصل بين حاضر الأمة وماضيها.

- عنوانُ الحضارة ورمزُ للهويّة، فإذا قلت: اللغة الإنجليزية، أو اللغة الصينية، أو اللغة العربية، فلا شك أنّ السامع يتشكل في ذهنه تصوّرا مقرونا بالإيجاب أو السلب، وفي هذا المعنى يقول الكاتب محمود السيّد: "تؤدي اللغة للفرد وظائف متعدّدة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، وإنّ أهمية اللغة لا ترجع إلى كونها وسيلة للتخاطب والتواصل بين الجماعات والأفراد أو بين الفرد وذاته فقط، وإنّما ترجع إلى كونها رمزا للهويّة التي تميّز شعبا عن شعب، وتطبع حضارته ودرجة حضوره في مسرح الوجود والحياة، وصولا إلى الاستدلال على ما في أعماق النفس وتصورات الذهن"³.

- تساهم في بناء الإمبراطوريات والدول، وصياغة وإنشاء المجتمعات، حيث يُروى أنّه في سنة (1492) قام العالم اللّغوي الإسباني "أنطونيو دي نيريخا" (ANTONIO DE NEBRIJA) بوضع كتاب في نحو الإسبانية وصفها بمناسبة اكتشاف أمريكا، وقدمه إلى الملكة "إزابيلا" (ISABELLA) لأوّل مرّة في تاريخ اللّغات الأوروبية، اندهشت الملكة، ثمّ سألته: وما فائدة هذا الشيء؟

¹ - المرجع نفسه، ص72.

² - هادي نحر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، ط1، 1988م، ص19.

³ - ينظر: السيد محمود، طرائق تعليم اللغة للأطفال، مجلة الممارسات اللغوية، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، عدد 1، 2010م، ص26.

فأجاب: يا صاحبة الجلالة: "إنّ اللّغة هي الأداة الفعّالة في بناء الإمبراطوريات"¹.

ووجدنا الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري يؤكّد هذا الاتجاه مستشهدا بواقع الأمم قائلا :
"وقد شهدت التجارب التاريخية عبر العصور ارتباط اللغة القوي، ودورها المتميّز، ببناء الأمم، وكيف أنّ اللغة تترجم قوّة الأمّة، وأنّ إضعافها يهزّ كيانها"².

- قوالب محمّلة بمشحونات فكرية وثقافية، وبالتالي فلا فكر ولا علم بدون لغة، ولا دين ولا حضارة بدون لغة، لذا تعتبر من أهم قضايا الساعة على صعيد الفكر الدولي، يرى الباحثان عباس المصري وعماد أبو الحسن أنّ: "اللغة من أكبر مقوّمات الثقافة وأعظم مرتكزاتها ومكوناتها الأساسية، ولا يتصوّر وجود ثقافة دون اللغة، أو خارج اللغة، ومهما قيل عن العلاقة بين اللغة والثقافة، فإنها . اللغة . تظلّ مخزنا للثقافة"³، وثمة تلازم بين الفكر واللغة فمن لا عقل له ولا فكر فلا لغة سليمة لديه، ولا سبيل إلى اعتباره جزءا ملتحما بالكل الذي هو المجتمع⁴.

ويقول عبد العزيز محمد حسن مؤكّدا إنّ: "اللغة أساس وحدة الأمة، ومستودع حضاراتها، ومرآة فكرها، فهي نشاط الفكر وصداه الذي يتردد في آفاق المجتمع ورحاب النفس، وهي القدر المشترك من الحياة النفسية بين أبناء الأمة الواحدة، في إطارها يتم تفاعل الأفكار، وفي نظام رموزها يتم التعبير عن التنظيم الكامل لحياة الحضارات وأنماط أفكارها"⁵، لا ريب ولا شك أنّ إحياء الفكر وبناء الحضارات لا يكون ذلك إلّا بلسان الأمّة ولغتها.

1 - محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟..ومتى تموت؟، مرجع سابق، ص71.

2 - د.عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغويّة في البلاد العربيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، سبتمبر 2013، ص3.

3 - عباس المصري وعماد أبو الحسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، مجلة المجمع، ع8، 2014، ص56.

4 - السيد محمود، طرائق تعليم اللغة للأطفال، المرجع نفسه، ص26.

5 - عبد العزيز محمد حسن، في تطور اللغة العربية، بحوث مجتمعية في الأصول والألفاظ والأساليب، مكتبة الآداب، الكويت، 2007، ص48.

- تؤثر على القلوب والعقول وتستميلها، لأنها تحدث في الأمة المتحدثة بها أثرا عميقا لا حد له يمتد إلى تفكيرها وإرادتها، وعواطفها وتصوّراتها، كما يسري إلى أعماق أعماقها، حتى تصرفاتها تصبح مشروطة بهذا التأثير¹، لذلك نجد أحمد حقي الحلبي يقول: "وهذا ما يفسّر لنا حرص الدولة الاستعمارية على نشر لغتها لأنها تكتسب بهذا الغزو اللغوي قلوبا وميولا"².

يتجلّى لنا من هذه الأقوال منزلة اللغة بصفة عامة، إنّها رمز وجود الأمة، والعامل المؤثر في السلوك البشري، والمحدّد الوحيد للدائرة التفكيرية والبناء الذهني، والحضاري، فبقدر الاهتمام بأصالة اللغة، والمحافظة عليها، تعود بمنزلتها ومكانتها على أصحابها، وقد صدق من قال " لا حياة لأمة دون لغة" إنّه شعار أطلقه المفكر اليهودي "أليعازر بن يهودا" مع بداية فكرة الدولة القوميّة لليهود³.

2. منزلة اللغة العربية وشرف قدرها عند الباحثين والعلماء

هذا المبحث يتضمّن مكانة اللغة العربية خصوصا، وأكتفي ببعض الأقاويل التي تنصّ على عظم منزلتها، وشرف قدرها، بشيء من التعليق متى اقتضى الأمر، وإليك ابتداءً أقوال علماء الغرب عنها، وما يعتقدون حولها:

يقر يوهان فك الألماني أنّ للغة العربية قوّة جامعة للأمة الإسلامية والعربية، وبقاؤها ببقاء الإسلام، يقول في هذا الصدد: "إنّ العربيّة الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنّها قامت في جميع البلدان العربيّة وما عاداها من الأقاليم المحيط الإسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدينة، ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنّه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم

¹ - ينظر: محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية، مرجع سابق، ص 191.

² - أحمد حقي الحلبي، اللغة العربية وطرائق تدريسها، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 363.

³ - ينظر: محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟ مرجع سابق، ص 189.

تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدينة الإسلامية ما بقيت هناك مدينة إسلامية¹.

وتقول المستشرقة الألمانية الدكتورة " زيغريد هونكة " متعجبة من سحر بيان هذه اللغة، وأثره على استمالة ألسنة الأمم إلى اللسان العربي قائلة : " كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف، حتى إن اللغة القبطية مثلا ماتت تماما"²، كما يؤكّد على قوّة جمالها كارل ل. نلينو بقوله: "اللغة العربية تفوق سائر لغات العالم رونقا وغنى ويعجز اللسان عن وصف محاسنها"³.

ونجد الباحثة الصينية يون أون يونغ تبين مكانة اللغة العربية مقارنة باللغات الأخرى المتداولة في المجتمعات ومحافلها ومؤتمراتها قائلة: "إنّ اللغة العربية من أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم... إضافة إلى كونها كإحدى اللغات الرسمية الست لمنظمة الأمم المتحدة وعدد من الهيئات العالمية، مما يدلّ على مدى أهميّة اللغة العربية باعتبارها من أهم لغات الحضارة والثقافة والدبلوماسية في العالم أجمع"⁴.

كما نقف على قول لجاك بيرك الفرنسي يُظهر فيه أهميتها ودورها في صد العدوان الفرنسي، حيث يعتبرها من: " أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل

1 - ينظر: أ.نادية مرابط، علوم اللّغة العربيّة، مرجع سابق، ص53.

2 - أ.د. زغودة ذياب مروش، الأرابيش وأثرها على اللغة العربية الفصحى، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج1، مرجع سابق، ص132-133.

3 - المرجع نفسه، ص53.

4 - د.يون أون يونغ، أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- من وجهان علم اللغة الاجتماعي-، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بغداد، العراق، العدد201، سنة1433هـ-2012م، ص92.

اللغة العربية الفصحى بالذات هي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، وكانت عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية"¹.

أمّا أقوال علماء العرب والمسلمين في شرف لغتهم، وعظم منزلتها، ووجوب تعلّمها و تحصيلها والاهتمام بها، والذبّ عن حوضها لا تعدّ ولا تحصى، وسأذكر شيئاً منها لكثير منهم مع مختلف تخصصاتهم وتوجهاتهم العلمية ليتحقّق ذلك التّصوّر في أذهان أبنائها:

1.2. نظرة علماء الدين والفقهاء

يذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى أنّ اللسان العربي يفضل ألسنة الأمم الأخرى لتفرده بخصائص تميّزه عن غيره مستشهداً بآيات من الذكر الحكيم، كما أثبت وجود الأفضلية عقلاً عن طريق إثبات العلاقة بين التابع والمتبوع قائلاً: " فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي، ولا يجوز -والله أعلم- أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع لسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم إتباع دينه، وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه:

الشعراء [192-195]

والرعد [37]

والشورى [7]

والزخرف [3]

والزمر [28]"²

¹ - ينظر: أ.نادية مرابط، علوم اللّغة العربيّة، مرجع سابق، ص53.

² - محمد بن إدريس الشافعي، الأم، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ج1، طبعة الوفاء، ص19.

أما الإمام الثعالبي فإنه يرى أنّ هناك تلازم مطرد بين مكانة اللغة ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمحبتهما تقتضي محبة اللغة العربية والتفاني في خدمتها، حيث يقول: "... فإنّ من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحبّ النبيّ العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللّغة العربيّة التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها... والإقبال على تفهمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التّفقه في الدّين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثمّ هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب»¹.

فجمهور العلماء من المذاهب يرون تعظيم اللغة العربية، لأنّ تعظيمها تعظيم لشعائر الله.

ويذهب البشير الإبراهيمي إلى أنّ العربيّ أولى أن يحافظ على لغته لاعتبارها مستودعا له قائلا: "لغة الأّمة هي ترجمان الأّمة وخزانة أسرارها... لغة العرب قطعة من وجود العرب... فإذا حافظ الزنجيّ على رطانته ولم يبيع بها بديلا، وحافظ الصّيني على زمزمته فلم يرض عنها تحويلا، فالعربيّ أولى بذلك وأحقّ"².

2.2. نظرة علماء الفكر

لا تختلف نظرة المفكرين الإسلاميين عن مذهب علماء الدين والفقهاء، إلّا أنّ هؤلاء المفكرين يُضفون عليها الصبغة القومية، يقول الشيخ القرضاوي: "اللغة العربية هي السند الأوّل للدّين والتّراث والعبادة، وهي تجمع الأّمة وتقربّ بينها وتعمل على إزالة ما يزال من فجوات وفوارق"³، ويبيّن الشيخ الغزالي في كتابه حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربيّ، أنّ الإسلام أضفى على اللغة العربية

¹ - أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص22.

² - الشيخ البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلام، الجزائر، ط1، 1997م، ص281.

³ - يوسف القرضاوي، لغتنا الجميلة والإعلام، <https://www.al-qaradawi.net/node/3443>

قداسة جعلت الحفاظ عليها من الدين، وجعل من أخطأ "في اللغة العربية نقص في المنزلة وخذش في المقدرة، وإن الإصرار على هذا الخطأ معصية لله، وإيهان لعري الإسلام"¹.

3.2. نظرة علماء اللغة واللسانيين المحدثين العرب

أما من ناحية اتساقها وسحرها يصفها ابن جني قائلاً: "إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق والدقة، ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر"².

ونجد الأديب المصري طه حسين يغلظ القول لمثقفي العرب المتهاونين في شأن لسانهم، حيث يعتبر الجهلة باللغة العربية خدش في المروءة قائلاً: "إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً"³.

أما من علماء اللسان نجد عبد السلام المسدي أهمية اللسان العربي ودوره في تماسك المجتمع وبناء الحضارات: "لقد اتفق العرب جميعاً - منذ ربع قرن - على أن التفريط في اللسان القومي تفريط في الهوية وكسر لهيكل تماسك المجتمع ووحدته"⁴، ويقول في موضع آخر: "إن اللغة العربية جوهر الفكر وماهيتها، وفي نظر علماء الاجتماع أهم عامل مساعد على نشأة الحضارة الإنسانية"⁵.

ويستظهر علي عبد الواحد وافي بعض الآراء التي تذهب إلى أن كثيراً من الألسنة الحية والميتة يعود أصلها إلى اللغة العربية كقوله: "لقد ذهب الشيخ محمد أحمد مظهر إلى أن اللغة العربية هي أم

1 - محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، دار نضرة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط3، 2005م، ص94.

2 - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية، ط2، 1952، ص47.

3 - إبراهيم زيد الكيلاني، اللغة العربية وهوية الأمة، خزانة اللغة والأدب، الإصدار: 68، 2007/09، <http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=307>

4 - د. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، مرجع سابق، ص135.

5 - عبد السلام المسدي، اللسانيات في خدمة اللغة العربية، المطبعة المصرية، تونس، دط، 1983، ص9.

اللغات الإنسانية جميعها، وكتب في ذلك عدّة مقالات شهرية في مجلّة الديانات التي تصدر في الهند باللغة الإنجليزية... ثم أخذ يستعرض أصول طائفة من اللغات الحية والميتة مبيناً إنشعابها من أصول اللغة العربية"¹.

وقد بلغ الاهتمام باللغة العربية والاعتزاز بها حد التّعصب، كما نقف عليه عند بعض الشعراء، ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني قائلاً*:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

وقول البحتري:

نَحْنُ أَبْنَاءُ يَعْزُبُ أَعْرَبُ النَّاسِ سِ لِسَانًا وَأَنْضَرُ النَّاسِ عُودًا²

ويقول أبو الطيب المتنبي³:

وَيِهِمْ فَخْرٌ كُلٌّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ دَ وَعَوَّدُ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

¹ - د.علي عبد الواحد وفي، فقه اللغة، دار النهضة، مصر، ط3، 2004م، ص13.

* - ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، ج1، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، 1363هـ-1944م، ص214.

² - ديوان البحتري، دار المعارف، مصر، 2009م، ص595.

³ - ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ-1983م، ص21.

ولقد ذكرنا هذه الأقوال للاستئناس فقط، وقد تنفع بعض الأصناف من الناس، وإلا فقول الرسول صلى الله عليه وسلم الثابت عنه، وقول صحابته رضوان عليهم في شرف اللغة لكافية وشفافية لصدور الباحثين المسلمين، ومن هذه الأقوال:

● رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم " أحبوا العرب لثلاث: لأنني عربي، والقرآن عربي، ولغة أهل الجنة عربية"¹، ووجه الاستدلال في هذا الحديث أنّ العلل التي ذكرها لمحبة العرب، أنّ القرآن أنزل باللغة العربية كما أنّها لغة أهل الجنة، والخصوصية تدل على منزلة ما في المخصوص عليه كما هو معلوم.

● روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا العربية تُحرزوا المروءة"²، بل وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه "أن مُر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام ومُرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق"³.

إنّ هذه الأقوال التي تخصّ اللغة العربية يوحي أصحابها بأنّها لغة مميّزة عن غيرها شئنا أم أبينّا، وإن كنّا نسلمّ ابتداءً أن لا تفاضل بين لغة وأخرى بحدّ ذاتها، لأنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة تخضع لسُنن الوضع والاستعمال والإهمال، والإنسان خاضع لها طوعاً أو كرهاً، لذا لا توجد لغة متقدّمة لذاتها أو متخلّفة لذاتها، لغة فاضلة بذاتها وأخرى مذمومة، لغة سهلة بإطلاق وأخرى صعبة بإطلاق.

إنّما الاعتقاد أنّ السّهولة والصّعوبة إضافيتان غير ملازمان لها، كما أنّ التقدّم والتخلّف صفتان لا تلتزمان إلاّ أصحابها، ومعلوم ضرورة أنّ اللغة تكتسب قوّتها ومكانتها بممارسات داخلية كعملية التّداول واتساع رقعتها وقد قيل: "وفضل لغة على أخرى يرجع في قسط كبير إلى اتساع

¹ - محمد عبد الشافي القوسي، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق، ص24.

² - ينظر: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الفاضل، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1995، ص4.

³ - ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1971م، ص31.

تداولها وكثرة المتخاطبين بها"¹، أو تكتسب ذلك من قوى خارجية بعيدة عن ذاتها كارتباطها بعوامل اقتصادية، أو معرفية ثقافية، أو قوة إلهية من إله حق لا معقب لحكمه.

وقد أكدت معظم البحوث التي أجريت في هذا المضمار على أنّ عوامل تفوق لغة أو لهجة عن غيرها يعود في معظمها إلى الثقافة والحضارة والنّفوذ والسّلطان²، أو لارتباطها بأسباب دينية صرفة، ومن وقف على هذه العوامل بطلّ التّعجب الذي ينتابهم من ظاهرة التميّز اللغوي الذي تتحلّى به المجتمعات قاطبة، ولذلك نجد "أنّ كلّ شعب من الشعوب يعتقد أنّ لسانه أفضل الألسنة، ويميل إلى اعتبار أيّ لسان آخر عاجزا عن الكلام"³.

وإذا بحثنا عن عيّنات اجتماعية التي تتحلّى بالتّباهي اللغوي وإقصاء للألسنة الأخرى، لوجدنا الكثير منّ يتميّن بهذا السلوك، ومن ذلك⁴:

قال لويس لا بورير عن الفرنسية: "نحن الفرنسيين نتّبع تسلسل نظام التفكير في أقوالنا كلها، وهو نظام الطبيعة".

وقال أنطوان دي ريفالور كذلك عنها: "قد يكون المبهم إنجليزية، أو إيطالية، أو يونانية، أو لاتينية، ولا يكون فرنسية، فما ليس بواضح ليس بفرنسي".

قال أوتو جيسبرسن عن الإنجليزية: "الإنجليزية تفوق الفرنسية في أمور كثيرة، منها منطقيتها، وأنها منهجية، وحيوية، ورسمية، ومترنة، ولا تهتم بالأناقة، وإنما يهّمها الانتظام المنطقي".

¹ - إبراهيم مذكور، الفكر واللغة، مجلة مجمع اللغة العربية، ع8، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1953م، ص11.

² - ينظر: أ.سيدي محمد بلقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، العدد الثاني، 2017، ص139.

³ - فرديناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش، ومحمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، 1985م، ص286.

⁴ - ينظر: مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية، اللغة الهويّة، مرجع سابق، ص36-37.

كما نجد هذا السلوك عند الغربيين من رجال الدين حيث أعلنت كنيسة روما بكندا أنّ الولاء اللغوي هو شأن من شؤون الإيمان، تطبيقاً للشعار المشهور بينهم من يفقد لغته يفقد إيمانه¹، وهذه أدلة كافية على إثبات هذا السلوك لدى النخب الفكرية لدى المجتمعات.

لذا سنصاب بالاستغراب والاندهاش من المنكرين لهذا الميول الفطري، كيف لا وهي فطرة جُبل عليها الإنسان عامّة، فلم الإنكار؟ وقد أثبت أحد الباحثين العرب أنّ التحيز اللغوي صفة معلومة مشهورة، ومتجددة مستمرة في البشر قائلًا: " كما أنّ وجوده ليس مقصوراً على فترة تاريخية معيّنة ولا هو مقصور على متكلمي لغة واحدة، بل هو ظاهرة موجودة في كل المجتمعات وفي كل اللغات وفي كل العصور"².

ومن جهة أخرى أنّ اللغة ليست مقتصرة على وظيفة التواصل حتى نحجر عقولنا، ونجردها من الميول والتحيز، إنّ اللغة في حقيقتها تواصل وتعارف، كما أنّها نمط حياة اجتماعية وحاملة لمشحونات فكرية، وسياسية، ودينية، وكثيراً من الجوانب الأخلاقية، والعاطفية³.

كما يتبيّن لنا مجانبة الصواب لكلّ من اعتقد قول القائل: " أنّه ثبت علمياً أنّ الاعتقادات والتفسيرات التي تنتج عنه- التحيز اللغوي- ليست صحيحة، فينبغي تخلص دراسة اللغة العربية منها، كما لا يمكن للبحث اللساني في اللغة العربية أن يتقدّم إلّا بالتخلي عنها، ومقاربة اللغة العربية بوصفها لغة إنسانية تتّصف بما تتّصف به اللغات الإنسانية الأخرى، ويجري عليها من السنن ما يجري على غيرها"⁴.

1 - فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد، تر:د. أحمد عوض، مراجعة:عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، 2000، ص 114.

2 - أ.د. حمزة بن قبالان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، كتاب الرياض، العدد125، 2004م، ص10.

3 - ينظر: ناصر بن عبد الله غالي، تحويل الشفرة ازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية، وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي: تويتر نموذجاً، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد7، الجزائر، العدد1، 2019م، ص65.

4 - أ.د. حمزة بن قبالان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، مرجع سابق، ص10.

رابعاً: وظائف اللغة

وظائف اللغة في حياة الأفراد والمجتمعات لا يجهلها أحد، حيث تتعدد بتعدد مطالب الحياة، وقد يتوقف عددها بحسب المعتقدات، فالذي يعبد إلهها نجد وظائف لغته تختلف عن وظائف لغة الملحد الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات والماديات، وهذا بيّن لا يحتاج إلى احتجاج وبرهان، وفي عرضنا لهذا العنصر يتضح لنا ما نصبوا إليه.

علما أن الكثير من الباحثين العرب المحدثين قد تأثروا- كالعادة- بأنواع الوظائف اللغوية التي سطرّها الدارسون الغربيون، ولم يخرجوا عن حماها، وإن جددوا مبناها.

من الذين تأثروا بهم كثيرا، واستشهدوا بكلامهم في هذا المنحى جاكيبسون فقد جعل للغة وظائفاً ستة:¹

أ- وظيفة إخبارية: أو إعلامية (Expression) مجردة ومهمة للسان في ذلك هو نقل المعلومات الموضوعية لا غير.

ب- وظيفة بيانية: والغرض من هذا هو التعبير عن مختلف المشاعر، وله في ذلك عدة طرق.

ت- وظيفة خطابية (conative): أو الشعرية (Poétique) والغرض منها في ذلك ردود أفعال وجدانية معينة عند السامع.

ث- وظيفة توصيلية أو الانتباهية (phatique): ومهمته في هذا إثارة الإستماع أي التأكيد من أن السامع لم تقطع صلته بالمتكلم أو الإعلام بنهاية الحديث.

¹ -د.تواقي بن تواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص50.

ج- وظيفة تحقيقية (*métalanguage*): للسان نفسه وتتمثل في البحث بالكلام عن الكلام وحالة تحقيق أحد المتحدثين، أنّ الكلام أو الكلمة التي سمعها من آخر تدل عنده على ما قصد بالفعل.

ح- وظيفة جمالية (*esthétique*): وغايتها بلاغة العبارة ورونقها وطلاوتها أي جمالها، وللسان من الإمكانيات البلاغية ما لا يقل عن الإمكانيات الجمالية التي تملكها الوسائل التبليغية الأخرى.

في حين نجد هاليداي ينظر إليها بنظرة أكثر توسعا وشمولية، إذ يقول في هذا الصدد موضحا "أن الناس ينجزون بلغتهم أشياء كثيرة أي أنهم يتوقعون أن ينجزوا بالكلام والكتابة والاستماع والقراءة عددا كبيرا من الأهداف المختلفة والأغراض المتباينة"¹، حيث يبين أن وظائف اللغة التي تكمن في أهدافها وأغراضها المتنوعة تتوسع بتوسع المهارات اللغوية، لذا تكون نظرتة أعم من نظرة جاكيبسون للوظائف.

كما نجد حاتم صالح الضامن في معرض حديثه عن وظائف اللغة قد أعاب القول على من اقتصر وظائفها على التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب، مؤكداً أن لها وظائف أخرى تجمعها هذه الثلاثة:²

1- الوظيفة الاجتماعية: أنّ اللغة تبلور الخبرات البشرية وتجارب الأمم في كلام مفهوم يمكن أن يستفيد منه الآخرون، وتدون التراث الثقافي، وتحتفظ به جيلا بعد جيل، كما أنها تساعد الفرد على تعديل سلوكه كي يتلاءم مع المجتمع فهي تزوده بالعبارات المناسبة لكل مقام.

¹ - م.أ.ك: هاليداي، وظائف اللغة، تر: أحمد محمود نحلة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، العدد 54، ديسمبر 2002، ص105.

² - د. حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، العراق 1360 هـ سنة 1989م، ص133-134.

2- الوظيفة النفسية: فاللغة خير وسيلة للتحليل فبواسطة اللغة يستطيع الفرد أن يحلل أية فكرة إلى أجزائها حيث يرى العالم النفسي الشهير ثور ندايك أن وظيفة اللغة النفسية ليست في التحليل والتركيب بقدر ما هي في أحداث استجابات لدى الأفراد، فاللغة إنما هي أداة تستعملها لإثارة أفكار وعواطف لدى الآخرين، فهي إذن خاضعة لقانون المنبه والاستجابة علما بأن المنبه في مجال اللغة هو الكلمات والاستجابة هي السلوك اللغوي الناتج عنها.

3- الوظيفة الفكرية: أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات بالفكرة والقدرة على التصور والتخيّل والتحليل والتركيب... واللغة في الحقيقة لا غنى للإنسان عنها فهي الوسيلة لإبراز الفكر من حيّز الكتمان إلى حيّز التصريح، وهي أيضا عماد التفكير الصامت والتأمل ولولاها لما استطاع الإنسان أن يسير غور الحقائق حينما يسלט عليها أضواء فكره.

قد يُخالف في هذا التصنيف لإهماله وظيفة ضرورية كما أهملها جلّ الباحثين والتي تتمثل في الوظيفة التعبّدية، وهي غاية يسموا إليها كثيرا من الخلف، بغض النظر عن المعبود إن كان معبودا حقا أو معبودا باطلا، ولقد وقفنا من خلال بحثنا على هاته الوظيفة للباحث محمود السعران في كتابة اللغة والمجتمع، وإن أشار إليها تحت المسمى السلوك الجماعي ممثلا لها باللغة المستعملة في الاجتماعات الدينية كالصلاة والدعاء وقراءة القرآن¹.

يتضح لنا من خلال هذا العرض أن الفرد يستخدم اللغة تعبيرا عن نفسه ومشاعره وأفكاره، كما يستخدم في الوقت نفسه بهدف الاتصال بغيره من أفراد مجتمعه، كما يستعملها زلفا وتقربا إلى معبوده، فاللغة وظائفها حية متطورة متوقفة على الاعتقاد وتطوّر الحياة.

وأشير إلى أنّ مراتب الوظائف تختلف من مكان إلى مكان، ومن فترة إلى فترة كالوظيفة الاجتماعية الإعلامية واتخاذها أداة وأساسا للدعاية، فالخطب والمقالات والنشرات والإذاعة كلها

¹ - ينظر: محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1963م، ص18-19.

وسائل لغوية للدعاية التي أصبح لها شأن خطير في الحياة الإنسانية¹، وكذا لا تقل عنها أهمية الوظيفة التعبدية في عصرنا الحالي.

خامساً: خصائص الانفرادية للغة العربية

بناء على ما سبق ذكره أنّ احترام لغة الأم ليس تعصّباً ولا حميّة قومية، وإنّما هو صدق الانتماء الذي يتحلّى به كل فرد سويّ، حيث يعمل على ترسيخ اللغة في نفوس أبنائها، وارتقائها والدّود عنها، والاعتزاز بها، وإتقانها، إضافة إلى تلك الفطرة التي جبل عليها الإنسان، وبغض النظر عن وجود- صدق الانتماء لهذه اللغة - نجد اللغة العربيّة أنّها قد انفردت عن غيرها من اللّغات بأشياء وسميات فضلاً عن الترادف ، والفصاحة، والاشتقاق، والتعريب، والتخفيف...، وإليك بعضها:

● اهتمام متحدثيها بتسلسل متصل سواء كانوا عرباً أم عجماً جيلاً عن جيل بهذه اللغة من جميع النواحي الشكلية واللفظية والدلالية، ليس لهم نظير في هذا المضمار، يقول أحد باحثي العرب منصور بن محمد الغامدي: "ولقد اهتم متحدثو العربية بلغتهم، فحافظوا على خصائصها الدلالية والنحوية والصوتية، وبلغ هذا الاهتمام ذروته مع ظهور الرسالة المحمدية ونزول القرآن الكريم، فوضعت دراسات تفصيلية عن أصوات اللغة العربية بعد أربعة قرون من ظهورها، أدت هذه الدراسات إلى حفظ السمات الرئيسة لأصواتها، فرغم ما اعترى أصوات العربية من تغيرات تتجلّى في الأصوات القائمة في اللهجات العربية الآن، إلا أننا ما نزال نملك ما كتب عن الأصوات العربية قبل أكثر من ألف ومائتي سنة"².

¹ - ينظر: د. جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، ط13، 1433هـ/2012م، ص9.

² - منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، السعودية، ط1، 1421هـ/2001م، ص83.

وأنّ محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التّسبيح والتّشهد وغير ذلك"¹.

● كونها أداة اتصال وتواصل نوعي وأقصد به أنّها تمثل نقطة الالتقاء بين العرب وشعوب وأجناس كثيرة في هذه المعمورة ولعلّ الشيخ البشير الإبراهيمي يشير إلى هذه الميزة بقوله: "أيها الإخوان: إنّ هذا فضل لغتكم على المدنية الإنسانية، وفضلها على الأمم العربية، فإننا نعني الأمم الإسلامية كلها لأنها أصبحت عربية بحكم الإسلام ولغة الإسلام"².

● اعتبارها من أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بعقيدة الأمة وهويّتها وشخصيتها وهذا معتقد ذوي العقول، ومن ذلك قول بيير روسي في كتابه مدينة إزيس: "إنّ الإسلام قد جعل من اللغة لغة التّعبير العالميّة التي لا مثيل لها، لغة إنسانيّة قوميّة في دوامها واستمرارها"³.

● تعد لغة قديمة متواصلة تواصلًا زمنيًا وفكريًا، ويُعتبر "هذا التواصل من أهم خصائصها، ولولاه لانقطع الحاضر عن الماضي، وأصبحت اللغة طلاسُم يُعنى بفكها علماء الأثار"⁴.

● حاملّة لأسمى المعاني في أوجز الكلمات وأوضح وأدق المعاني، وأن يحتاج غيرها إليها، ولا تحتاج إلى غيرها⁵، والعرب أقدر على هذا النوع من البيان من غيرهم من الأمم التي لا تخلو

1 - محمد بن ادريس الشافعي، الأم، مرجع سابق، ص19.

2 - ينظر: وليد محمد مراد، المسار الجديد في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص40.

3 - اللغة العربيّة وتحديات القرن الواحد والعشرين، المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، مطبعة المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، تونس، 1996، ص1.

4 - أ.سيدي محمد بلقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، العدد الثاني، 2017، ص138.

5 - ينظر: محمد عبد الشافي القوسي، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق، ص59.

بلاغتها من شيء منه، وقد تصل العبارة من القصر إلى حدّ الإيماء والإشارة مع اشتغالها على المعنى ووفائها بالعرض كالمثل والحكمة، وقلما تكون لغة من لغات العالم كالعربية في هذين¹.

● سعة المفردات حيث لا توجد لغة على وجه الأرض يحوي قاموسها ما يحويه المعجم العربي من المفردات وهذه حقيقة واقعة شهد بها جحافل المستشرقين، فاللغة العربية هي لغة الغنى والثراء، وقد قال الإمام الشافعي: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا"²، وما نتج عن هذه السعة دقة التعبير، حيث استوعب العرب كل ما أحاط بهم فأطلقوا عليه اسما يميّزه عن غيره، فالسيف الصارم ليس كالحسام والمهند، والقعود ليس كالجلوس، والقيام ليس كالوقوف.

● ثبات المعاني والمباني ويتجلى ذلك في ثباتي أصولها عبر الزمن الممتد، ويفهم الآخر فيها ما كتب الأوّل، فما قاله امرؤ القيس، والنابغة، وعنترة، يفهمه الطلاب والتلاميذ جملة، على حين لا يفهم الإنجليزي المعاصر كثيرا ما كتبه شكسبير قبل بضع مئات من السنين، فصار من يدرس الإنجليزية الحديثة لا يفهم الإنجليزية الوسيطة، فاحتاج إلى الترجمة ليفهمها، أمّا العرب فهم يقرؤون ما كتب منذ قرون ويفهمونه، بل يشعرون به، ويشعرون مشاعر قائله الأوّل³، وإن كان هذا الفهم نسبيا يتفاوت من شخص إلى شخص حسب تضرّعه، واغترافه من هذه اللغة، بخلاف الأمم والمجتمعات غير العربية حكما أو حقيقة.

مثلما وُجد الفرنسيون المعاصرون لا يعرفون شيئا عن أدبهم القديم الذي يعود إلى ما قبل عشرة قرون إلاّ من كان منهم متخصصا في اللغة اللاتينية، بينما لا يتعذر علينا فهم الأدب القديم الذي يعود إلى أبعد من ذلك بقرون⁴.

1 - جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، مرجع سابق، ص 17.

2 - المرجع نفسه، ص 61.

3 - محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق، ص 63.

4 - المرجع نفسه، ص 93.

حتى وإن كانت اللغة العربية ينطبق ويجري عليها ما يجري على لغات بني البشر، إلا أنها لو افتقرت لتلك الخصائص فإنها تكفيها ميزة أو ميزتين لاعتزاز بها، والدفاع عنها، والاجتهاد في صونها، والتمكين لها، حيث " تتميز اللغة العربية بميزتين أساسيتين لا نعتقد أن هناك لغة تشاركها في ذلك: فالأولى كونها لغة القرآن الكريم، وهذا هو سر خلودها إلى الأبد، والثانية: أنها تصل الحاضر بالماضي البعيد الذي تمتد جذوره في أعماق التاريخ"¹، لذا لا يمكن قياسها جملة وتفصيلا مع اللغات الأخرى.

ويؤكد أحد الباحثين هذا الحكم الذي انفردت به اللغة العربية قائلا: "وتلزم الإشارة هنا إلى أنّ العربية في هذا المسار تختلف عن سواها من اللغات، بارتباطها بكتاب مقدّس هو القرآن الكريم، فما يمكن تطبقه على غيرها، ينبغي ألا ينسحب عليها"².

نستشف ممّا سبق من جميع الدلالات كالاقتضاء، والاستلزام، والنصيّة، والمنطوق والمفهوم، أنّها تميّزت بعدّة مزايا وصفات التي لا يمكن أن تتحلّى بها أيّ لغة من اللغات، ممّا جعلها وجهة تُقصد بالخدمة والتفاني في الدفاع عنها، أو وجهة للمحاربة والكيّد لها.

كما نتوصل إلى أنّ أصول اللغة العربية لا تتأثر بالقوانين الطبيعية الفيزيائية الذي تثبته نظرية التموج اللساني، ولا تضمحل قدرتها على الوجود ولا تندثر بفعل الزمن وانتكاس الأهل والصّحب، حيث أثبتت جامعة برمنجهام " Bermengham " البريطانية أنّ كلّ اللغات تحوي صفات ذاتية فيها تؤدي إلى تطورها وتغيّرها عبر الأزمان كما تحوي على بذور فنائها، إلاّ العربية فإنّها خالية من كل الآفات التي تؤدّي إلى اندثار اللغات وزوالها³.

¹ - عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط2، 1988، ص78.

² - عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013، ص213.

³ - ينظر: محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق، ص59-64.

الفصل الثاني :

مصطلحات الدراسة وتحديد المفاهيم

أولاً: اللغة الفصحى

ثانياً: تعريف اللهجة

ثالثاً: تعريف العامية

رابعاً: أحادية اللغة

خامساً: التعدد اللغوي

سادساً: التداخل اللغوي

سابعاً: المصطلحات اللسانية للازدواجية اللغوية

ثامناً: معايير اختيار مصطلح الازدواجية اللغوية عن الشائبة اللغوية

ولهذا "يفضّل بعض الدارسين مصطلح اللسان على مصطلح اللغة، لأنّ الأوّل يدل على المعنى العام للغة، وورد في القرآن الكريم لهذا المعنى، بينما يدل المصطلح الثاني على هذا المعنى العام وعلى معاني أخرى مشهورة"¹. وسأذكر تلك المعاني التي انفرد بها مصطلح اللغة.

ومن ذلك أنّ أصول اللّغة (اللام، والغين، والواو)، والتي تعني الصّوت والكلام في الجمل العام، قد وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي، فجاءت تارة بمعنى القول الباطل، وتارة بمعنى الساقط من الكلام الذي لا طائلة تحته، ...

وفي القرآن الكريم □□□□□□□□□□ **الفرقان** [72]

□□□□□□□□□□ **النبأ** [35]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **القصص** [55]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **الواقعة** [25]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **المؤمنون** [3]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **الغاشية** [11]

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **البقرة** [225]

وقد جاء في الحديث الشريف الصحيح عن سعيد بن المسيب أنّ أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت - والإمام يخطب - فقد لغوت"².

قال الفرزدق¹:

¹ - أحمد زغب، لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، ص 19.

² - الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194هـ-256هـ)، صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم الحديث: 934

وَلَسْتَ بِمَأْخُودٍ بِلُغْوِ تَقْوَلُهُ ***** إِذَا لَمْ تَعَمَّدْ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ

وقال العجاج²:

وَرَبِّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظْمٍ ***** عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

وقد قصدنا من إيراد هذه النصوص إلى بيان تأصيل هذه الكلمة "لغة" في العربية، وإلى إبراز الرأي الآخر الذي يزعم ويوهم أنّ الكلمة لم ترد في ديوان العرب - قبل صدر الإسلام-، ولا في القرآن الكريم كما اعتقده بعض المحدثين، كقولهم: "وإننا ونحن لا نجد شاهدا واحدا على استعمال العرب لكلمة لغة بهذا المعنى العلمي الذي نعنيه، ونظرا لما بدا من اضطراب اللغويين في اشتقاقها، وتردد الآراء في جمعها لنميل إلى القول بأنّها من أصل يوناني هو كلمة "لوغوس" التي معناها الأصلي "كلمة" و"كلام"³.

وفي أثناء البحث وجدنا أحد الباحثين يردّ على هذا الزعم صراحة إذ يقول: "لا يقبل القول الذي ذهب إليه بعض المحدثين من أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة logs الإغريقية التي تعني كلمة أو فكرة ويعزز ذلك -عندهم- التشابه بين الكلمتين، والزعم بأن الكلمة لم ترد في آداب العرب المتقدمين ولا في القرآن الكريم، فقد ثبت لذي عينين وقوعها في القرآن وقول العجاج السابق كما وقعت في الحديث... كما ورد في المعاجم العربية (لغا يلغو) إذا تحدث... وذلك

¹ - ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ-1987م، ص611.

² - ديوان العجاج، رواية وشرح عبد الملك بن قريش الأصمعي، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م، ص283.

³ - د.حسن ظاظا، اللسان والإنسان معرفة إلى مدخل اللغة، دار دمشق، دار الشامية بيروت، ط2، 1410هـ-1990م، ص121، وينظر: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ص312.

كله يثبت عربية كلمة (لغة) وإن شاركه غيرها من اللغات الأخرى للتشابه في الأصل الأوّل للغة الإنسان¹.

ويحسن الإشارة إلى أنّ لفظة اللغة كانت معروفة عند العرب، وإن لم تكن مشهورة، نجد التابعي أبو عمر بن العلاء (70هـ-157هـ)² استعملها ومرادفها على معنى واحد حيث يقول: "ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا"، يلزم من هذا وجودها بلا ريب في المعاجم الذهنية لدى العرب، فهو لم يختلقها، أو جاء بها من العدم، إلا أنّها لم تكن مشهورة للأسباب التي ذكرناها من قبل.

وقد استعملت بمعان مقصودة تجمعها الأصوات والتي تحمل - اللغة - صفات غير مرغوبة دلالياً في مجملها، وآيات القرآن الآنفة الذكر تؤكد ما ذهبنا إليه، وهذا ما يستنبط من المعاجم العربية و التّفاسير للألفاظ العربية وعلى سبيل المثال نجد الإمام السّجستاني يقول: "واللغو أيضاً: الباطل من الكلام، كقوله: (وإذا مروا باللغو مروا كراماً)، واللغو واللغا: الفحش من الكلام، قال العجاج:

* عَنِ اللَّغَا وَرَفَتْ التَّكَلُّمُ*³

واللغو أيضاً: الشيء المسقط الملقى، يقال: ألغيت الشيء إذا طرحته وأسقطته⁴.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول أنّ القرآن لم ترد فيه لفظة اللغة بعينها، ولا في الأحاديث الصحيحة، وإتّما ذكرت مادّتها للمقصود الذي ذكرناه - والله أعلم - وذلك شبيهه بقول الله عز وجل:

البقرة [104]

1 - د.عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مرجع سابق، ص29.

2 - د.أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ-1989م، ص15.

3 - ديوان العجاج، رواية وشرح عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: عزة حسن، مرجع سابق، ص283.

4 - الإمام أبو بكر محمد بن عزيز السّجستاني، غريب القرآن المسمّى (بنزهة القلوب)، صححه وعلّق حواشيه: لجنة من أفاضل العلماء، مطبعة محمد علي صبيحي وأولاده، مصر، 1963، ص170.

لأنّ لفظة راعنا تحمل معنيين أحدهما مذمومٌ غير مرغوب فيه دلالياً، يقول السّجستاني:
 "راعنا): حافظنا، من راعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبي(صلى الله
 عليه وسلم): راعنا، وكان اليهود يقولونها وهي بلغتهم سب، فأمر الله (عز وجل) المسلمين ألا
 يقولوها حتى لا يقولها اليهود، وراعنا: اسم منون مأخوذ من الرعونة، أي لا يقولوا: حمقا وجهلا"¹،
 وعلى هذا يُفسّر وجود لفظة اللسان في القرآن الكريم وفي السنّة الصّحيحة بدلا من لفظة اللّغة، إذ
 يحمل دلالات محمودة مرغوبة دلالياً، وقد وردت فيه معان أربعة:

أولاً: الجارحة التي يتكلّم بها الإنسان ومنه قوله تعالى: □□□□□□□□□□ **البلد [8، 9]**

وقوله: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الأحزاب [19]**

ثانياً: اللّغة، ومنه قوله تعالى:

□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **ابراهيم [4]**

وقوله: □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الأحقاف [12]**

وقد أشار إلى هذين المعنيين الراغب الأصفهاني إذ يقول عن اللسان: "هي الجارحة وقوّتها
 ومنه قوله تعالى: □□□□□□□□□□ **طه [27]**

يعني به من قوّة لساني، فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوّته التي هي النطق
 به، ويقال: لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام، بمعنى لغة، وعلى هذا أوّلت كثير من الآيات، ومن

ذلك □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الدخان [58]**

□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الشعراء [195]**

□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الروم [22]**

¹ - المرجع نفسه، ص 97.

فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النعمات فإن لكل إنسان نعمة مخصوصة يميّزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميّزها البصر¹.

ثالثاً: يطلق على الثناء، وقد أشار إليه سجستاني عند قوله تعالى: "لسان صدق" يعني ثناء حسناً².

رابعاً: يُراد به الرسالة في غير القرآن من كلام العرب، "واستعمل اللسان مؤثناً بمعنى الرسالة قال المرقش الأكبر³:

أَتَيْتَنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ **** فَجَلَّتْ أَحَادِيثُهَا عَنْ بَصَرِ

وواضح في البيتين أنّ الرسالة التي يتحدّث عنها الشاعر لم تكن رسالة مكتوبة وإّما شفهيّة يحملها متكلم عن مرسلها، ولذا قال اللغويون "واللسان المتكلم عن القوم"⁴.

وقد ظهر لنا وجهها آخر أثناء البحث - والله أعلم - ونحن نتصفح المقدّمة لابن خلدون فوقفنا عند قوله مبيناً سبب انحراف اللسان العربي قائلًا: "ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق ووزناته، والبربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك"⁵، إنّ عدول القرآن عن لفظة اللغة إلى لفظة اللسان، يعود إلى الموصوفات كالضعف والانحطاط والفساد والخلل التي تعزي اللسان وأهله، إذ لا تدخل على اللغة في ذاتها، وإّما تصيب

1 - أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوي، ج1، دار القلم، دار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ، ص740.

2 - أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب، مرجع سابق، ص173.

3 - ديوان المرقشين، تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص53.

4 - د.حسن ظاظا، اللسان والإنسان معرفة إلى مدخل اللغة، مرجع سابق، ص121.

5 - ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، مقدمة ابن خلدون، ج2، مرجع سابق، ص58. ينظر: عبد الكريم خليفة، كتاب اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، مرجع سابق، ص36.

آلتها وهي اللسان ومن ذلك قول الله تعالى: " واحلل العقدة من لساني يفقه قولي"، فلا يستقيم قول القائل فساد اللغة، وضعف اللغة،...، إلاّ تجوّزا، وإنّما يستقيم ذلك مع الآلة - اللسان-.

وأشير في آخر هذا المبحث أنّ العرب لم تستعمل لفظة اللحن بمعنى اللغة إلاّ نزرا قليلا، وهو في حكم المعدوم، إذ الأحكام مرتبطة بالغالب، لأنّ كثيرا من الباحثين المحدثين يتداولون في بحوثهم رواية الأعرابي في معرض الحديث عن مسألة نحوية: " ليس هذا لحنِي ولا لحن قومي"¹، أي ليست هذه لغتي ولا لغة قومي.

2. تعريف اللغة

1.1. لغة

اللغة اسم ثلاثي على وزن فُعة أصلها لُغوَةٌ على وزن فعلة، فحذفت لامه وهو من الفعل الثلاثي المتعدي بحرف: لغا بكذا أي تكلم، فاللغة هي التكلم أي النطق الإنساني².

وذكر الزمخشري في (أساس البلاغة) " لغو: لغا فلان يلغو، وتكلم باللغو واللغا، ولغوت بكذا: لفظت به وتكلمت، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلغهم: فاستنطقهم وسمعت لغوهم، ومنه اللغة، وتقول لغة العرب أفصح اللغات وبلاغتها أتم اللغات"³.

2.2. اصطلاحا

¹ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 17.

² - عادل خلف، اللغة والبحث اللغوي، مكتبة الآداب القاهرة، دط، 1994، ص 51.

³ - أبو القاسم جبار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عين السود، ج 2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 173.

حاول كثير من العلماء وفي عهود مختلفة، صياغة تعريف جامع مانع للغة، ونتج عن ذلك عدة تعريفات متنوّعة، ومرّد ذلك التّنوع عائد إلى نظرة كل عالم إلى اللغة من جهة معيّنة، اجتماعيّة، نفسيّة، فيزيائية، لسانيّة، وغيرها من الاعتبارات، لذلك " لم يتفق علماء اللغة على تعريف واحد... فنظر فريق من الباحثين إلى اللغة من زاوية الفلسفة المنطقية، ونظر إليها فريق آخر من الناحية العقلية النفسية، كما عاجلها فريق ثالث من زاوية وظيفتها في المجتمع، ولكل فريق آراؤه الخاصة في تعريفها"¹.

وقد كان لعلماء اللغة العربيّة السّبق في هذا المجال، حيث عرّفوا اللغة بمحدود دقيقة، ولم يضيف إليها المحدثون إلاّ نورا قليلا من باب التّوضيح والتّفصيل أو التّفريع.

ومن ذلك أقدمُ التّعريفات الجامعة المانعة للغة- قلّما نجد باحثا عربيا لا يذكرها- هي لأبي الفتح عثمان بن جني من علماء القرن الرابع هجري فقد قال عنها: "أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنّها فُعلة من لغوت، أي تكلمت، وأصلها لغوة ككرة، وقلة وثبة، وكل لاماتها واوات، لقولهم كروت بالكرة، وقلوت بالقلة... وقالوا فيها لغات ولغون ككُرات وكرون، وقيل منها لغى يلغى إذا هذى"².

وتجدر الإشارة إلى أنّ أبا الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيّدة أشاد بهذا الحد الذي ذهب إليه ابن جني قائلا: "وهذا حدّ دائر على محدوده محيط به، لا يلحقه خلل، إذ كلّ صوت يعبر به عن المعنى المتصوّر في النفس لغة، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصوّر في النفس"³.

1 - إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص13.

2 - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية، ط2، 1952، ص33.

3 - أبو الحسن علي ابن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ابن سيّدة، المحصّص، تح: مكتب التحقيق لدار إحياء التراث العربي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص35.

وعرّفها ابن خلدون في مقدّمته بقوله: "عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم"¹.

يمكننا القول أن تعريف ابن جني وابن خلدون تضمّن جميع خصائص اللغة الإنسانية، وسماتها الأساسية، وأعلىها خصوصية المنطوق باعتبار الأصل، ومنها كذلك:

- اللغة شكل من أشكال السلوك الاجتماعي لذلك فهي ظاهرة اجتماعية لا تُكتسب إلا في إطاره.
- ظاهرة مقصودة صوتية في الأصل، يتميّز بها الإنسان عن غيره.

- اللغة اصطلاحية يتواضع عليها الناس فيما بينهم، لذلك فهي في كلّ أمة بحسب تواضعها، فلا يمكن التعرف على أمة خارج مجالها الاصطلاحي اللغوي.

ثم جاء علماء اللغة من العرب والغرب في العصر الحديث أنشؤوا حدودا لها لم تخرج في نظامها العام عما جاء به ابن جني منذ القرن الرابع الهجري، وإليك التفصيل التالي:

3.2. اللغة عند المحدثين

- اللغة نظام من الرموز تستخدمه مجموعة بشرية للتواصل فيما بينها، وعندما نقول إنّ شخصا يتقن لغتين مثلا فإنّنا نعني أنّه يعرف نظامين مستقلين من الرموز التوفيقية، وبالتالي يستطيع أن يتواصل مع أفراد ينتمون إلى مجموعتين بشريتين لكل منهما نظامها اللغوي الخاص.²

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، مرجع سابق، ص367.

² - شحادة فارغ وبآخرون، المقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل، الأردن، ط3، 2006، ص11.

- اللغة ظاهرة إنسانية سيكولوجية اجتماعية مكتسبة، نشأت وتطورت مع الإنسان فأكسبته صفة التفكير والنطق، ولا يمكن تعليم اللغة الإنسانية لغير البشر، وهذا ما أثبتته الدراسات والتجارب.¹

- اللغة هي نظام منظمة الرمزية في الحياة البشرية، فهي التحقيق والتعبير الصوتي لميول الإنسان، وقيمتها ليست في طبيعتها ولا مكوناتها الداخلية إنما لكونها تفسر وتحلل رؤية الأفراد للواقع الذي يعيشونه، وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها بطريقة إبداعية رمزية.²

- ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد تتألف من مجموعة من رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق اختيار معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل.³

الملاحظ على هذه التعريفات - تعريفات المحدثين - أنها وصفية على الغالب، وليست حدًا دائرًا على محدوده محيطًا به، لا يلحقه خلل، أي ليست جامعة مانعة.

وقصارى القول أن اللغة عندهم ظاهرة اتّصف بها الإنسان، وميّزنا الله بها في الدنيا عن المخلوقات الأخرى، حيث تُكتسب عن طريق السّماع في بيئتها الاجتماعية، وهي من المكوّنات الفطرية التي جُبل عليها الإنسان - أي كلّ عاقل مهياً لكتسابها.

وأودّ الإشارة إلى أنّ حدود اللغة التي بيّنها القدماء وجلّ المحدثين ليست جامعة على الغالب، لعدم تضمينها صنفاً من الأصناف البشرية ليسوا بالقليل، وأقصد بهم فئة الصم والبكم فإنّ لهم لغة

¹ - راتب قاسم عاشور، محمد فؤاد الحوامدة، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2009، ص56.

² - - بسام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، الكويت، العدد528، نوفمبر 2002، ص82.

³ - أنيس فريحة، نظريات في اللغة، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص14.

مبنية على الرموز والإشارات، فلا تقتصر على المنطوق من القول فقط، ولا عليه وعلى المكتوب بل يتعدى ذلك إلى الإشارات، والحجة فيما ذهبنا إليه ما ثبت من كلام العرب، كقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة:¹

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَخْرُوفٍ وَمَ تَتَكَلَّمُ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ

ومما سبق نفهم أن الإشارات كإشارة الطرف، وغيرها تدل على القول والخطاب، وازددنا يقينا عندما وقفنا على آية في كتاب الله عند قوله تعالى: □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ **مريم** [29]

لذلك يمكننا تعريف اللغة بأنها أصوات ورموز إشارية وضعية يستخدمها الإنسان للتعبير عن أغراضه، ووقفنا على قول للإمام فخر الدين الرازي يشير إلى هذا المعنى فستأنسنا به حيث قال: "السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بالأسباب، كالحركات، أو الإشارات، أو النقوش، أو الألفاظ توضع بإزاء المقاصد وأيسرها وأفيدها وأعمها الألفاظ"².

وفي اللّمسات الأخيرة لهذا المبحث وقفنا على قول لأحد الباحثين المحدثين ذكر حدا شاملا يؤكّد ما ذهبنا إليه، حيث يقول في هذا الصّدّد بأنّها: "كلّ وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ"³.

¹ - ينظر: محمد بن حاج الطاهر، الازدواجية والتهجين في الخطاب الإشهاري - الشبكات الجزائرية أنموذجا-، مجلة جسور المعرفة، المجلد 7، العدد5، ديسمبر 2021، ص610.

² - ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج1، مرجع سابق، ص38.

³ - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص2020.

وبناءً على هذا المنحى يرى بعض الباحثين أنّ تعريف ابن جني لا يُعتبر جامعاً، وهذا الرأي يحمل وجهاً من الصحة، إذا لم نحمله على المخرج الذي ذكرته سابقاً- أنّ الحكم يُبنى على الأغلب، والنادر لا حكم له -، ومن ناحية أخرى نرى رأيهم مجانباً للصواب، اعتماداً على بعض التعليقات، كتعليل فؤاد ترزي حينما ذهب إلى أنّ تعريف ابن جني عام في مفهوم اللغة حيث يفتقر جنسه إلى أنواع كالصراخ والضحك، لأنّ الإنسان قد يعبر عن الألم بالصراخ، وعن السرور بالضحك، والطفل يُعبر عن الجوع بالبكاء¹، لأنّ الجنس الذي ذكره ابن جني - الأصوات - جنس جامع للأنواع التي تعلل بها المخالف، كالضحك، والصراخ، والبكاء فإنها أنواع يشملها جنس الأصوات، فأين الافتقار في الدقة والنقص في الأنواع التي ذكرها؟؟؟.

3. تعريف الفصحى

1.3. الفصحى لغة

قال الرّاعب الأصفهاني(ت502هـ) في مفرداته: الفصح خلوص الشيء مما يشوبه، وأصله في اللّبن، يقال: فَصَحَ اللّبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرّى من الرّغوّة، قال الشاعر:

وتحت الرّغوّة اللّبن الفصيح.

ومنه أستعير فصح الرّجل: جادت لغته وأفصح الأعجمي تكلم بالعربية.²

وهذا المعنى اللغوي وحجّيته استقرّ عليه جميع أصحاب المعاجم قديماً وحديثاً، وهذا ابن سنان الخفاجي(1352هـ-1952م) لا يخرج عن قولهم واستدلالاتهم قائلاً: "الفصاحة الظهور والبيان،

¹ - ينظر: فؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة ولنحو، دار الكتب، بيروت، لبنان، ص15.

² - ينظر: الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مرجع سابق، ص184.

ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح، قال الشاعر: وتحت الرغوة اللبن الفصيح، ويقال أفصح الصبح إذا بان ضوءه، وأفصح كل شيء إذا وضح...¹.

إلا أنه قصر الفصاحة على وصف الألفاظ حينما تحدث عن الفرق بين البلاغة والفصاحة².

ويلاحظ على الخفاجي أنه خصّص الفصاحة، وحصّرها على اللفظة دون المتكلم، وتخرج هذا القول على أن كلامه مبني على الأصل، أو على الأخص من العموم، وقد انتقل من الخصوص إلى العموم عن طريق الاستعارة، وهذا ما أشار إليه الإمام السيوطي: "ومنه استعير فصح الرجل"³، وقد قال في مطلع معرفة الفصيح: "والكلام عليه في فصلين، أحدهما بالنسبة إلى اللفظ، والثاني بالنسبة إلى المتكلم به، والأول أخص من الثاني، لأنّ العربي الفصيح قد يتكلم بلفظة لا تعدّ فصيحة"⁴، ونجد الجرجاني جمع بين هذه المعاني مبيناً ما يخصّ الفصاحة، واللفظة، والمتكلم قائلاً: "وهي أي الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"⁵.

1 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص58.

2 - ينظر: إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1996، ص2، ص268.

3 - ينظر: الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مرجع سابق، ص184.

4 - المرجع نفسه، ص184.

5 - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، ص141.

بما أنّ الفصاحة صفة تتصف بها اللفظة أو يتّصف بها الكلام على الأصل، فهي تمثل المستوى الأعلى من الكلام العربي، والمرجع الأساس الذي يسمو إليه كل محب للعربية¹ ويتمثل هذا المستوى في عرف العربية الذي يتفق عليه كلّ العرب في جميع مستوياتها الصّوتية، والنحوية، والدلالية والمعجمية، والصرفية، والتي تمثل لغة القرآن الكريم والكلام العربي القديم شعرا ونثرا¹، وهناك من يعمم هذه الصفة على كل من اتصف بها-أي من نهج نهج العرب في كلامهم- وعلى هذا الاعتبار فإنّ العربية الفصحى هي: "لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامة"²، إذا هي - باختصار- لغة القرآن ولغة الإسلام، وهي الوسيلة التي انتشر بها الإسلام دينا وثقافة.

هناك من عرّفها تعريفا سياسيا، على أنّها قسيمة للعامية، والتي تقابل لغة المنشأ، قائلا إنّ: "اللغة العربية الفصيحة هي لغة الهوية السياسية والاجتماعية والثقافية في آن واحد، وأمّا العامية الدارجة فهي تلك اللغة التي يبدأ الإنسان في استيعابها منذ ولادته فتكون أداة تحاطب يومي وتفكير، فهي إذن اللغة التي ينشأ عليها الإنسان في بيئته الأولى بالخصوص، أي في العائلة"³، ولا يخفى علينا أنّ هذا التعريف لا يجتمع فيه شروطه، ولا يمكن اعتماده فيما نحن بصدده، لأنّه غير مانع لكثير من الأنواع كالأمازيغيات، والفرنسية.

وهناك من يشير إلى مفهوم أوسع للفصاحة معتبرا اللفظة نفسها والمعيارية التي تتصف بها كلّ لغة بمفهومها الواسع، ومن هؤلاء العلامة اللساني الحاج عبد الرحمان صالح حيث يشير إلى: " أنّ أية لغة بل وأية لهجة تعتبر علميا بأنّها فصيحة، وأنّ أصحابها فصحاء، إن لم تتغيّر عن النظام النحوي

1 - محمود عكاشة، علم اللغة، مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص118.

2 - إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص144.

3 - محمد المعموري، عبد اللطيف عبيد، تأثير تعلّم اللغات الأجنبية في تعلّم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1983، ص11.

الصرفي الذي يتصف به معيارها بالتحول الزماني الذي أشرنا إليه، فلكلّ لغة في الدنيا معيار¹، والذي أشار إليه لا يخدم الذي نحن بصددده.

وسمّيت بالفصحى نسبة إلى الفصاحة لأنها تتميّز بقوة العبارة ونصاعة البيان، وحسن التعبير²، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتميّز بهذه الصفات وأعلّماها قال: "أنا أفصح العرب، بيد أيّ قريش"، حتى وإن لم يثبت سندا فمعناه صحيح لا مريّة فيه*، لذلك نجد بعض الباحثين اقتصر في تعريفه للفصاحة على نسبتها لقريش قائلا: "الفصحى هي لغة قريش، قضية نالت من الشهرة قديما وحديثا، ما يكاد يصل إلى حد البديهيات"³.

وجاء في تعريف آخر لإحدى الباحثات "هو النموذج الذي يمثّل اللغة العامّة أو المشتركة التي يمكن أن تتعامل بها كل القبائل في إطار معايير محدّدة من القواعد الصوتيّة والصرفيّة والتركيبية والدلاليّة"⁴، إلا أنّ هذا التعريف يصدق أكثر على اللغة التي كانت سائدة قبل نزول القرآن، فقد ضيقّت واسعا.

وعرفها نهاد الموسى في مقالته "الفصحى وعاميتها بين تجلّيات الكائن وتصوّرات الممكن" بقوله: "الفصحى هي النموذج اللّغوي الذي نتعلّمه... وجرى العرف بأنّ للفصحى مواقع ووظائف

1 - الحاج عبد الرحمان صالح، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص232.

2 - ينظر: حسين عبد القادر، فن البلاغة، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص61.

* وقد روي الحديث بألفاظ عدة منها: "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أيّ من قريش" قال الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسيره لآخر سورة الفاتحة: (لا أصل له)، وقال العجلوني في كشف الخفاء ج1، ص200 ما نصه: (قال في اللآلئ معناه صحيح ولكن لا أصل له)، كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ وأورده أصحاب الغريب ولا يعرف له سند، ينظر فتاوى ومقالات الشيخ بن باز، ج26، ص380.

3 - محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص52.

4 - أ.نادية مرايط، علوم اللغة العربية، مرجع سابق، ص56.

هي مواقع المدون والثقافي الرسمي¹. إلا أنّ التعريفين الآخريين لم يستوفيا شرط التعريف بأن يكون جامعا مانعا لأنّ التعريف الثاني أخرجت بكلمة المشتركة كثيرا من الكلمات الفصيحة المتواجدة باللهجات العربية غير المشهورة، والتعريف الثاني لم يستوف المنع لأنّ للعامية كذلك نفس المواقع والوظائف التي خصصها للفصحى، ولا سيّما في هذا العصر فكثيرا من الخطابات الرسميّة من الرؤساء وغيرهم، ومن دعاة الوعظ والإرشاد يقحمون العاميّة في كلامهم، بل في كثير من الخطابات والحوارات تأخذ حصة الأسد، فالتعريف الأوّل للفصحى هو الأوفر لشروط المنع والجمع.

وأشير إلى أنّ جميع الدول العربية اختارت العربية الفصيحة ولو تقنيا كميّار لغوي، "ولا عجب في ذلك أن تكون هذه اللغة الرابطة الأساسي الذي يربطهم وتتنظم عليه علاقتهم وتواصلهم وتعاونهم، فإنّ لهم تراثا بهذه اللغة عظيم يتسع في الزمان أربعة عشر (14) قرنا، وفي المكان اثني وعشرين (22) دولة، وهي لغة الثقافة التي بها ترتقي المجتمعات الناطقة بها"².

4. مستويات اللغة في المشهد المعاصر

تحدّث كثير من الباحثين المحدثين عن مستويات اللغة العربية، وجعلوا منها مستويات، منهم المقلّ، ومنهم الأكثر مثلما ورد في مقالة للباحث نهاد الموسى "الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصوّرات الممكن"، وقد عرض ثلاث عشرة مستوى إلى ما آلت إليه حال العربية في المشهد المعاصر فوجدها تجري على أسماعنا في هذه الأنحاء العربية وهي: عربية فصحي في المصحف المرتل، عربية فصيحة بالفعل، عربية فصيحة بالقوة، عربية فصيحة محكية، وعربية شبه فصيحة، عربية وسطى، لهجات عامية محكية متداولة، لهجات عامية مكتوبة، عربية مكتوبة مجتزئة، عربية مختزلة مكتوبة بالحرف

¹ - ينظر: أ.د نهاد الموسى، الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، الفصحى وعاميتها، مرجع سابق، ص44.

² - الحاج عبد الرحمان صالح، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص233.

اللاتيني، عربية محكية وسطى، عربية عامية مهجنة، عربية عامية تخالطها مفردات وعبارات بالفرنسية في المغرب العربي¹.

ويذهب الأستاذ كامل حسين في كتابه اللغة العربية المعاصرة إلى أنّ مستويات اللغة أربعة وهي²:

- 1- اللغة العالية: وهي لغة الأدب الرفيع والخطب والمواعظ.
- 2- اللغة المخففة: وهي الشائعة بين المثقفين والمتعلمين.
- 3- العامية المنقّحة: وهي تقوم على إحلال وتغيير بعض الأصوات والمفردات وطرق النفي والاستفهام الفصيحة محلّ ما يقوم مقامها من العامية.
- 4- العامية الخالصة.

في حين أنّ الباحثين الغربيين ميّزوا مستويات اللغة العربية على خمسة تنوّعات مثلما ذهب "بلانك" فجعلها: تراثية، وتراثية معدّلة، وعامية شبه أدبية، وعامية مشتركة، وعامية خالصة، وميّزها "ميسيليه" بأربع مستويات وهي: عربية أدبية، وعربية أدبية شفاهية، وعربية المتعلمين المنطوقة، وعامية دارجة خالصة، ومما زاد الإشكال تعقيدا يذهبون إلى أنّ هذه المستويات ليس بينها حدود واضحة³.

إلا أنّ أكثر الباحثين يرون أنّه يوجد مستويان للغة الفصيحة:

1.4. فصحي التراث

¹ - ينظر: نهاد الموسى، الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، الفصحى وعاميتها، مرجع سابق، ص 49-51، وينظر: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 104.

² - ينظر: د. صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟ الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس 2008، ص 170.

³ - ينظر: ناصر بن عبد الله غالي، تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية، وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي: تويتر نموذجاً، مرجع سابق، ص 16.

ونقصد بها فصحي المثل والنموذج والقذوة ، المحتفظة بكل صفات الفصحي القديمة في معجماتها من المفردات وطريقة نطقها وأدائها، وصوتياتها ونظام جملها، وهندسة تراكيبيها، أي هي المعيارية في كل مستوياتها، سواء صوتية كانت، أم صرفية، أم إفرادية، أم نحوية أم بلاغية، ونمطها ومثلها الأعلى هو القرآن الكريم، والحديث الشريف، وآثار الخلفاء والبلغاء والشعر العربي في عصور العربية الأولى¹.

ونشير إلى أننا نفضل مصطلح فصحي التراث على مصطلح العربية الكلاسيكية لما يحمل هذا الأخير من إيجابيات نفسية غير مرغوبة، حيثما نقول الكلاسيكية فإنّ معنى ذلك أنّ الإسقاط يكون على إثبات مفهوم المخالفة التي تنص على الحدّثة من ذلك المصطلح، ولا يخفى علينا الفرق النفسية التي تنشأ عن استعمالهما.

2.4. الفصحي المعاصرة

ونقصد بها اللغة التي يشيع استخدامها في الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات وهي فصحي متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص، بل هي مستودع المعارف، والعلوم والفنون والآداب في زماننا تأخذ من الفصحي التراثية نظامها اللغوي نحواً وصرفاً وإعراباً، لكنّها لا تتجاوزها وتزيد عليها في معجمها اللغوي وفي نظامها الصوتي وفي بنيتها التركيبية وحقولها الدلالية².

وهناك من يقول بأنّ الفصحي المعاصرة هي اللغة الوسطى المحليّة، لا يُلغى فيها الإعراب بتاتا، وإمّا يتحقّف منه إلاّ في مواقف الشّبّهة واللبس، وتعني في واقعها بمستوى لغوي يقف وسطا بين

¹ - ينظر: د جمال الدين قوعيش، مكانة اللغة العربية في وسائل الإعلام. مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 30، السداسي الأول 2013، ص 124-125.

² - د جمال الدين قوعيش، مكانة اللغة العربية في وسائل الإعلام، مرجع سابق، ص 124.

الفصحى والعامة، وبين لهجاتها المحلية المختلفة وتكون بمثابة لغة مشتركة سليمة سائغة يجيدها الخاصة ولا تعجز عنها العامة هي لغة تواصل وأساس تحقيق المزيد من الترابط الفكري والتماسك الحضاري¹.

وقد بيّن أحد الباحثين مواطن استعمال هذه المستويات الثلاثة بشيء من الاختصار قائلاً: "فنحن فيما جرى فيه العرف هذه الأيام، نستعمل الفصحى حين نكتب ونقرأ، ونستعمل العامية في الشؤون اليومية الخالصة، ونستعمل العربية الوسطى في المواقف الثقافية الرسمية"²، فجعل لها مستويات ثلاثة.

إنّ جل الباحثين النحارير يتفقون على ماهية الفصحى التراثية، ويختلفون في ماهية الفصحى المعاصرة أو المستوى الثالث كما يسميها بعض الباحثين، ونجد بعض الباحثين يطلق عليها اسم العربية الحديثة، ويعرفها بشيء من التعقيد والغموض، مثلما نحت هذا المنحى الباحثة خولة طالب الإبراهيمي حيث تقول بأنّها: "لغة وسائل الإعلام والنقاش السياسي والأدب المعاصر، كما هي وبشكل مطرد لغة التخاطب بين عربيين عاديين من بلدان عربية مختلفة شريطة أن يكونوا حظوا بتمدرس أدنى، وأنهم يتعذر عليهم التخاطب بلغة أخرى مشتركة"³.

كثير من الباحثين يحاولون التّعميد والتّأصيل للغة الوسطى مع اختلاف مقاصدهم، كقول أحدهم: "ولعلّ من الأهداف التي أرجوها من هذا البحث، محاولتي الوقوف على المستويات اللغوية وخصائصها، وإثارة قضية حول مستوى لغوي وسط بين الفصحى والعامة، لما فيه من دور كبير في التقريب بين المستويين"⁴.

1 - صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟، الفصحى وعاميتها، مرجع سابق، ص172-173.

2 - ينظر: مهى محمود العتوم، الازدواجية اللغوية في الأدب "نماذج شعرية تطبيقية"، مرجع سابق، ص168.

3 - خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2007، ص17.

4 - حكيم رحوم، مستويات استعمال اللغة العربية الفصحى بين الواقع والبديل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، إشراف صالح بلعيد، ص6.

الجدير بالتنبيه أنّ هذا التقسيم لا نميل إليه لاعتبارات منها:

- تقسيم لا دليل عليه لا من الأثر، ولا من اللغة.
- تقسيم لا يخدم اللغة البتّة، بل يُعتبر مسوّغا من المسوغات الاجتهادية التي تبيح وتسمح لأيّ أحد أن يجعل اللغة عدّة مستويات إلى درجة العُلُو كما أشرنا سابقا إلى بعض الباحثين عربا وعجما في هذا المبحث عن مستويات اللغة.
- تقسيم يؤدّ إلى لازم التفاضل، ممّا نحن في غنى عنه، وقد يؤدّي إلى ما لا يُحمد عقباه، من إضاعة الجهد، وإظهار الصراع والنزاع... إلخ.

وقد وقفنا على مقالة لأحد الكتاب "فاروق شوشة" ينقل لنا كلمة عن أصحابها تتحدث عن التفاضل بين المستويين (فصحي التراث، وفصحي المعاصرة) الموحية للصراع والنزاع بناء على اعتبارية ما يكون، حيث يقول في هذا الصدد: "ويرى البعض أنّه إذا كانت فصحي التراث أعلى في السّلم اللغوي من حيث الصّحة مقارنة بفصحي العصر، فإنّ فصحي العصر أكثر غنى واتساعا ووفرة في المفردات والصّيغ، والقدرة على استيعاب ما يدخل في جسم العربية من مفردات وتعابير - عن اللغات الأجنبية - نتيجة للترجمة أو التعريب، فضلا عن اتساعها المستمر لكلّ ما يضاف إلى المادة اللغوية نتيجة للاشتقاق والقياس، والتوليد، من خلال الجهد الدائب للمجامع اللغة العربية في العمل على إثراء لغتنا العصرية، وإمدادها بكل ما يجعلها قادرة على الوفاء باحتياجات العصر واستيعاب منجزاته وما يحمله من جديد لا يتوقف"¹.

لكن أصحاب هذا الاعتقاد نسائلهم أنّ هذه اللغة (الفصحي المعاصرة كما يزعمون) هل جاءت من العدم، أم تنتمي لأصل وقاعدة تُبنى عليها؟

¹ - 3447 / Article.asp ID=?3rb.info

فإن جاءت من العدم فلا يُلتفت إليها، ويتوجّب نبذها وطرحها من السّاحة اللغوية ووضعها في سلّة عدم الاستعمالات، حتى وإن أصبحت بعض الألفاظ مقبولة وشائعة، بعدما كانت مرفوضة عند علمائنا قديما، فالقبول والشيوع لا يجعل من الألفاظ الأجنبية عربية، ولا يكون معيارا للصحة والصواب، بل هناك قواعد وأصول وضعها جهابذة العربية وفحولها فلا نتعدى حدودها، فهي المعيار والمرجعية الوحيدة للصحة والصواب، وإلا قال من شاء ما شاء.

وإن كانت هذه اللغة مبنية على أصول وقواعد لا تخرج عن اللباس اللغوي العربي فهي عربية ولا ضير في ذلك عند علمائنا قديما وحديثا، وقد قال ابن جني قولاً جامعاً يخص اللباس اللغوي العربي: "فالناطق على قياس لغة (من لغات العرب) مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه"¹، فلا داعي للتقسيم والتصنيف ما لا يلزم تقسيمه وتصنيفه.

زيادة على ما سبق أنّ هذا المستوى المختلق يعمل على تمبيع الفصحى، مما استغلته بعض الجهات وجوّزوا في العربية ما لا يجوز، وتساهلوا فيما لا ينبغي التساهل فيه، وقد أشارت إحدى الباحثات إلى هذه الثغرات التي تُستغل للنيل من الفصحى قائلة: "هذه الفصحى (فصحى العصر)، التي من أبرز سماتها سهولة الألفاظ وبساطة التعبير، والإكثار من أدوات الربط علاوة على تساهلها في قواعد اللغة العربية، وبهذا فتحت الباب على مصراعيه للأخطاء اللغوية التي شاعت عبر أجهزة الإعلام فبات الأمر يشتد ويزداد تدهورا، والقضية تستفحل باستمرار..."².

وقد وقفنا على كلام للدكتور صالح بلعيد ينقل أنّ بعض المعاصرين يتّهم اللغة الوسطى بأنّها تعمل على الخرق اللغوي، ولا يُقصد بها إلاّ إقصاء الفصحى وزحزحتها عن مكانها، لينخلو المكان

¹ - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج2، ص12.

² - صليحة خلوفي، الأخطاء الإعلامية الشائعة في وسائل الإعلام الجزائرية نماذج من (الإذاعة التلفزة الصحافة المكتوبة)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص6.

للعامية والأجنبية "ولقد كان الهدف من وراء ذلك وقف العربية عن النمو، وهي لغة الفكر والعلم والعبادة لدى الملايين من المسلمين، وإحداث لغة وسطى بين العامية والفصحى، وذلك للنزول بالثقافة والفكر إلى مستوى العامية"¹، والعمل بأصل سدّ الذرائع في مثل هذه الثغرات واجب محتم.

فعرية اليوم- لغة التأليف والخطابة ولغة العلم والإعلام وغيرها- هي امتداد لعرية العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، وعلى هذا جاءت جميع حدود العرية الفصحى مبنية على هذه النظرة، مثلما نجد الباحث عبد الكريم خليفة يشير إلى هذا الامتداد ضمناً حيث يقول: "ونحن عندما نتحدث عن الفصحى، إنّما نتحدث عن العرية لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، اللغة الجامعة لتراث أمّتنا العرية على امتداده الجغرافي من أقصى المغرب العربي إلى أقصى مشرقه، وفي عمقها التاريخي عبر القرون منذ العصر الجاهلي ونزول القرآن الكريم وحيا على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين حتى يومنا هذا"²، كما نستشف من تعريف محمد التونجي بأنّ لغة مستويين لا ثالث لها، حيث يقول في معجمه المفصّل عن اللغة الفصحى بأنّها "اللغة التي نزل القرآن الكريم بها، وهي المتمثلة في نصوص التراث الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي، وهي اللغة المستخدمة في الأعمال الأدبية في الآماد التالية للعصر الإسلامي، والتي اصطنعت في الأمور الجديدة، كما أنّها لغة القبائل أصلاً، وهي اليوم لغة التأليف والمحاضرات والجامعات والصحف والإذاعة، وغدت اللغة الفصحى تعني اللغة الأدبية في مقابل اللغة العامية"³.

إذاً نلمس في السّاحة العلمية كثيراً من الحدود التي تنص على التقسيم الثنائي، المستوى الأوّل الذي يُطلق عليه عادة اسم الفصيح، وقد يُسمى الأدبي، أو الثقافي ويسميه فرغيسون وغيره من

¹ - ينظر: صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص169.

² - ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص119.

³ - محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999، ص686.

علماء اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأعلى (high variety)، والمستوى الثاني يتمثل في العاميات بمختلف صوّرها.

بناءً على هذه الرؤية فإننا نحبّد أن يكون للغة مستويان لا ثالث لهما، اقتداءً بمن سبقنا، ودرءاً لباب المفسدة التي قد يستغلها أعداء هذه اللغة، مستوى اللغة الفصحى، وهي فصحي التراث، فصحي العلم والتعليم، والمعيّار على السلامة اللغوية، والنموذج الرّفيح لسلامة التعبير وفصاحته، أمّا المستوى الثاني يتمثّل في النمط الدارج العامي، وهو كل ما كان بعيداً عن معيار الفصاحة والسلامة اللغوية، وكان في مجمله ذو أصول وجذور عربية، وإلاّ صار هجيناً لغوياً أجنبياً لا يُعرف .

كما أنّ العرب كانوا يقسمون الكلام العربي من حيث درجة الفصاحة إلى أفصح، وفصيح، وقد أشار إلى هذا جلال الدين السيوطي في المزهري¹، إلاّ أنّها لا تخرج عن دائرة الفصاحة.

والمصطلح الذي نعتمد عليه في هذه الأطروحة هو فصحي التراث المتضمّن للغة القرآن، ولغة الشعر العربي، ولغة الحضارة التي تحققت في العصور الأولى، لأنّ اللغة المعاصرة مولود قابل للتشويه، والتّحول، والزوال أمام العولمة الموجهة.

ثانياً: تعريف اللهجة

1. لغة

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم أنواع اللغة، ج1، مرجع سابق، ص212.

تعتبر هذه اللفظة من المصطلحات المتواجدة في أمهات المعاجم العربية والكتب اللغوية قديماً بكثرة، ومن ذلك ما ذكره ابن منظور في معجمه "لسان العرب" يقول: "لَهَجٌ، لَهَجٌ بالأمر لهجا ولهجَ كلامها، واللهجة طرف اللسان، واللهجة جرس الكلام... ويقال فلان فصيح اللهجة، واللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها"¹.

وذكرت هذه اللفظة في المعاجم المعاصرة بشيء من التوسّع : لهجة: جرس الكلام وأسلوب اللفظ، صفة التعبير عن حالات نفسية وعن مضمون الكلام، واللهجة لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها، وهي مجموعة نبرات تميّز لغة بلد أو محيط معيّن: "لهجة إنجليزية"، "لهجة بدوية"، "لهجة محلية"، "لهجة جبلية"، وعلم اللهجات علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صوّر من الكلام في لغة من اللّغات².

2. اصطلاحاً

يعرّفها الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً: "أمّا اللهجة فهي مجموعة الصّفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة، والعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام، لأنّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكل منها خصائص ولكن تشترك جميعاً في مجموعة الظواهر اللغوية"³، ونحى هذا المنحى كذلك الدكتور محمد محمد داود قائلاً إنّ اللهجة: "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميّز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص العامّة"⁴.

1 - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص359.

2 - أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار دمشق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص1304.

3 - د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص16.

4 - د. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص64.

فجميع هؤلاء الباحثين يرون أنّ كلّ لهجة لا بدّ أن تكون جزءاً من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة الظواهر اللغويّة التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدّة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة¹.

ونجد ابن منظور أشار إلى معنيين مهمين للهجة: اللهجة جرس الكلام نستشف منها التّأدية الخاصة للمتكلّم في الخطاب، بواسطة النّبرة الخاصة للألفاظ والتراكيب، وعليه نستطيع تحديد جغرافية المتكلّم أشرقيّ أم شماليّ، أغربيّ أم جنوبيّ؟

مع العلم أنّ هذه الجغرافية بما لهجات مختلفة، كذلك إذ تختلف من منطقة لأخرى، فاللهجة الغربيّة نستطيع أن نحدّد جغرافية المتكلّم أهذا وهراني، أم جندلي، بواسطة ذلك الجرس-النّبرة- لأنّ تلك النبرة تُعتبر أبرز ما يميّز لهجات اللغة الواحدة "فالذي يفرّق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان"²، والنبرة إحدى الخصائص والصفات التي تميّز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق.

علماً أنّ كثيراً من الباحثين المحدثين خرج عن هذا المألوف، وأطلقوا اللهجة على العامية مثل الدكتور شوقي ضيف، والباحث نايف معروف، يقول هذا الأخير عن اللهجة بأنّها: "اللسان الذي يستعمله عامة الناس في حياتهم اليومية لقضاء حاجتهم والتّفاهم فيما بينهم"³.

¹ - ينظر: د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 16.

*أي تعريف اللّهجة.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ - نايف معروف، خصائص العربية وطرق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1985، ص 59.

وبناءً على ما سبق من التعريفات وعلى رأسها مقولة ابن منظور بأنّ اللهجة جرس الكلام، أو اللغة التي نشأ عليها المتكلم، وهذا الذي ينبغي أن يكون مدار تعريف اللهجة عليه، وقد استأنسنا لهذه النظرة ببعض الأقوال التي يرى أصحابها هذا المنحى يقول أحدهم: "والصفات اللغوية المقصودة في هذا التعريف* هي في أكثر الأحيان صفات صوتية... فإذا تفشت هذه الصفات في بيئة جغرافية معيّنة، وسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميّزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة"¹، لذا لا نفضل إطلاق اللهجة على العامية كما هو متداولٌ بين كثير من الباحثين المحدثين، فيقصدون باللهجة العامية، والعامية اللهجة، وذلك لأمر منها:

الأولى: تُعتبر اللهجة هي الأصل بدون ريب.

الثانية: اللهجة أعمّ من العامية، حيث أُطلقت على المستوى الفصيح، والمستوى العامي.

الثالثة: اللهجة بمنزلة اللغة، وقد تفوقها كما يعتقد أنيس فريحة قائلاً: "لا فارق جوهرى بين لهجة ولغة إنما الفارق أنّ لهجة ما، ولسبب خارجي، أو لظروف خاصة تعتبر اللغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى ربما أفضل منها، لا يُعترف بها... فالقضية قضية سلطة عليا، وقضية اعتراف بهذه السلطة"².

الرابعة: وجود علاقة حقيقية تربطها بين اللغة من كلّ الوجوه بخلاف العاميات قد لا يكون بينها وبين اللغة أيّ علاقة، لأنّ العامية تمسّ كلّ وجه لغوي قد يخالف أصل اللغة في كثير من الأحيان، يقول إبراهيم أنيس مبيّنا العلاقة بينهما ذلك: "والعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام، لأنّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تعم عدة لهجات لكل منها خصائص ولكن تشترك جميعاً في مجموعة الظواهر اللغوية"³.

1 - محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص14.

2 - أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص93-94.

3 - د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص16.

الخامسة: المشهور في كتب القدماء أنّ اللهجة تطلق على اللغة الفصيحة في حد ذاتها، وهذا المعنى الثاني الذي ذكره ابن منظور بقوله: "اللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها" ولا ينكر أيّ أحد أنّ اللهجة العربيّة -اللغة- قبل الفترة الإسلامية كانت ذات تنوع وأنماط مختلفة في المفردات والتراكيب والأصوات، وعرفت باللهجات القبائلية، وإن كانت تتفاضل فيما بينها لاعتبارات، وعلى رأسها لهجة قريش، وبها نزل القرآن، وأقرّ غيرها من اللهجات عن طريق القراءات التي قرئ بها، وأجمع العلماء قاطبة أنّها بلسان عربي مبين.

السادسة: اللهجة صفة راسخة، خلاف العامية فهي طارئة ومتغيّرة كما يمكن تضيق دائرتها.

السابعة: اللهجة ذات جذور عميقة يصعب اجتثاثها، أما العاميّة فيمكن زوالها.

الثامنة: اللهجة لها نظام خاص، خلاف العامية فإنه لا تثبت على صفة ثابتة.

لذلك نميل إلى أنّ اللهجة مصطلح مغاير تماما لمصطلح العامية، وإذا أطلقنا القول في اللهجة دون قيد فإننا نقصد بها اللغة كما استعملت في التراث العربي، وإذا أردنا غيرها -جرس الكلام- قيدناها ولا نريد بها العاميّة، وذلك لاعتبارات منها:

- لفظة العاميّة قد تشوبها صفات تحقيرية استهجانية بخلاف اللهجة ولاسيما في العصر الحاضر.

- اللهجة أعم من العاميّة، لأنّ اللهجة تطلق على لغة الأم للعرب، وتطلق على مجموعة من الصّفات اللازمة للغة الفصيحة والصفات اللازمة للعاميّة.

- للعاميّة مصطلحات كثيرة عند المحدثين بخلاف اللهجة.

- اللهجة قد اكتسبت ضبطها العلمي من الدراسات اللسانية على اختلاف اتجاهاتها وخصوصا منه اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والجغرافية¹، بخلاف العامية فينتابها شيء من الغموض نظريا.
- العامية قد تشكل خطرا بخلاف اللهجات فإنها لا تشكل خطرا في نظر بعض الباحثين كقول القائل: "فطبيعة الصّراع المعاصر تكشف عن اختلالات كبيرة في مفهومي اللهجة والعامية، ولعلّ الخطر الداهم على اللغة الفصحى هو العامية وليست اللهجة، لأنّ العامية تحريف للغة إضافة إلى مزجها بألفاظ أجنبية، عكس اللهجة التي ما هي في الحقيقة إلاّ فرع عن اللغة، وتطوّر في بعض ألفاظها، حتى وإن حدث شبه انحراف عن اللفظ الأصيل، المهمّ في كلّ ذلك هو بقاء ظلال الأصل دالة على التغيّر"²، فالعامية في نظره تحريف للأصل مع إضافات أجنبية، خلاف اللهجة فهي جزء من اللغة.

ثالثا: تعريف العامية

1. لغة

إن لفظة "العامية" مأخوذة من لفظ العام الذي يقابل الخاص، حيث جاء في تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (280هـ-370هـ) ما يلي: "ويقال رجل عُمي ورجل قصري، فالعُمي: العام والقصري: الخاص"³، وأكّد هذا المعنى ابن منظور (ت711هـ) في لسانه إذ قال: "والعامية خلاف الخاصة"⁴، وجاء في المعجم الوسيط في مادّة عاميّ أنّها "لغة العامّة، وهي خلاف الفصحى، والعامي

¹ - د. توفيق قريرة، مسالك التعامل بين العربية الفصحى وعامياتها، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص371.

² - أ. زين الدين بن موسى، أنماط الصراع بين اللغة العربية والعاميات المعاصرة (العامية الجزائرية أنموذجا)، مرجع سابق، ص232.

³ - ينظر: أبو منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص121.

⁴ - ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ج12، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص431.

من الكلام ما نطق به العامة على غير لسان العرب"¹، فالمعنى اللغوي للعامة مداره العام الذي يقابله الخاص، وقد استعملت النسبة منه للمفرد المذكر فقالوا: عامي، ثم وصفت به اللغة وهي مؤنثة حكما فقالوا: اللغة العامية، أما تعريفها من الناحية الاصطلاحية فسيظهر لنا جليا عندما نتطرق لحدودها عند الباحثين من العرب والعجم.

2. اصطلاحا

هي سلوك قولي محرف عن الأصل مع إضافات لفظية أجنبية، ولا يراعى فيها ظاهرة الإعراب في كثير من ممارستها، وتقتصر على الشؤون العادية والحديث اليومي في جل الأوقات، وهو النمط الذي يسميه الباحثون الغربيون (spoken arabic) أو (collo quial arabic)²، وهذا ما أشار إليه د. عبد الرزاق عبيد في حديثه عن المستوى العامي فيقول عنه: "الذي يتخذه السواد الأعظم من أفراد المجتمع المعاصر وسيلة للتبليغ وقضاء الحاجات اليومية، ويتميز بالتححرر من الأحكام الإعرابية والصرفية الصارمة وبروز الآثار اللهجية الجهوية إلى حد اللكنة والإسفاف والابتدال أحيانا وبالافتقار إلى المصطلحات العلمية والمفاهيم الفكرية المجردة، ويتكفل بقليل من المجالات الأدبية كالمسرحيات والأغاني الشعبية على وجه الخصوص"³.

ويرى عيسى إسكندر المعلوف بأنها تأتي "للتعبير عن الأفكار بقوالب كثيرة اصطلاح عليها أبنائها في كل قطر وبكل وقت، وكان أن لاكتها الألسن وتلاعبت بها التصرفات، فتغيرت أساليبها وتلونت ألفاظها بين فصيحة محرفة أو مصحفة أو أجنبية دخيلة ومرتجلة غريبة، ولحن شائع، وتصرف

¹ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2014، مادة عامي.

² - ينظر: نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، مرجع سابق، ص55.

³ - د. عبد الرزاق عبيد، العربية الفصحى والعامية: متن اللغة لأحمد رضا (أتمودجا)، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس، 2008، ص320-321.

شائن حتى بعدت في بعض الوجوه والأساليب عن أصلها الفصيح ومؤداها البليغ، فكادت من هذه الوجوه تكون لغة قائمة بذاتها¹.

ويذهب نفس المنحى الدكتور عبد الجليل مرتاض بأنها سلوك قولي محرف حيث يقول: "ما لبثت أن تناءت كثير من بناها السليمة مما نتج عن ذلك هذه الأمشاج والأشتات من اللهجات على أنحاء ضيقة تباينت تكلماها تبيانا أصبح التفاهم بين مستعمليها أحيانا مستحيلا"²، الملاحظ على جميع التعريفات السابقة يتفقون على خاصية الانحراف، والذي يمس البنية، وأواخر اللفظ، والتركيب.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ العامية ليست لغة بل لهجة فيقول: "وهي (أي العامية) ليست لغة بل لهجة مولدة من تحريف كلمات الفصحى، وتبلغ اللغة الفصحى المحرفة فيها نحو 80% من كلماتها"³، ولكن هذه النسبة لا تزال في تناقص مستمر خاصة في هذا الجيل الذي احتك وتأثر بالعملة المدمرة التي ساهمت في نشر داء التّهجين اللغوي، وبهذا التعليل لا نوافق ما ذهب إليه الباحث عبد المالك مرتاض حينما قال: "ولما كانت العامية بنتا وتراكيبها ناشئة عنها منحوتة منها، فإنها تقوى في الموضوعات أو المجالات التي تقوى فيها الأم..."⁴، هي بنت للفصحى قبل أن يدخلها التهجين، وإلا فهي أقرب للغربة والعجمية.

ونلتمس في كثير من التعريفات وشبهها أنّها أقرب إلى الوصف من الحدود، ومن ذلك وصف زغلول لها بأنّها: "النمط الذي يسميه الغربيون بالعربية الدارجة (colloquial Arabic)، أو

¹ - رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982، ص29.

² - د.عبد الجليل مرتاض، الظواهر اللسانية لانشطار الفصحى إلى عاميات، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس 2008، ص220.

³ - د علي القاسمي، العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص202.

⁴ - عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، مرجع سابق، ص135.

العربية المحكية (spoken Arabic)، أو اللهجة (Dialect)، وهي التي أطلق عليها فيرغسون النمط المنخفض ورمز له بحرف (L)، وهو النمط الذي يكتسبه العرب بصورة طبيعية في مختلف أصقاع الوطن العربي، ويختلف هذا النمط باختلاف المناطق الجغرافية والجماعات البشرية المتميزة¹.

وكذلك وصف أسعد النادري لها بقوله: "هي لغة الحديث اليومي، والتي يستخدمها العامة والخاصة على حد سواء، في شؤون حياتهم العادية، في البيت والشارع والسوق والمقهى وحتى في حرم الجامعات"²، ووصفها الباحث الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح هو الآخر بقوله: "هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمن بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية"³، والملاحظ على هذه الحدود الأخيرة غير مانعة، إذ يمكن أن نستعمل الفصيحة في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية ما الصعوبة في ذلك؟.

ومن أقرب التعريفات في نظرنا التي اشتملت على توفر شروط الحدود، وانتفاء الموانع تعريف العامية للدكتور محمد عبد الله عطوات قائلاً عنها: "هي لغة الحديث التي نستخدمها في شؤوننا العادية، وهي لا تخضع لقوانين تضبطها، وتحكم عبارتها، لأنها لغة تلقائية معبّرة تبعا لتغيّر الأجيال، وتغيّر الظروف المحيطة بها"⁴.

ومن هذه الحدود نتوصل إلى مفهوم واحد للعامية بأنها لغة بسيطة مرتبطة بأصل تعارف عليها أبناء البيئة الجغرافية الواحدة، منحرفة في أصواتها وأوزانها، متخذة الإعراب ظهريا، تستعمل في الحاجات اليومية عموما، أي أنّ العامية تعود إلى أصل، دبّ إليها الفساد اللغوي على مستوى

¹ - الزغلول محمد راجي، الازدواجية اللغوية، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مجمع اللغة العربية الاردني، الأردن، 1980، ص60.

² - محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، مرجع سابق، ص347.

³ - عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، مرجع سابق، ص74.

⁴ - د. محمد عبد الله عطوات، اللغة الفصحى والعامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2003، ص71.

الألفاظ والصيغ والجمل والحركات الإعرابية، وقد ذكر أحد الباحثين خصائصها قائلاً: "فأما الألفاظ فإنّ العامية لا تبايلي أن تستحدث ما ليس له أصل في الفصحى، ولا تبايلي أن يكون منها ألفاظ داخلتها على مرّ القرون من لغات قديمة أو تسربت إليها من اللغات الأجنبية الحديثة... وأما الصيغ فإنّ العامية تخالف الفصحى في كثير من أبنيتها، بل تمت بعض الصيغ... وأما بناء الجملة فإنّ العامية تعتمد إلى نخت الجملة المطوّلة في صيغة واحدة أحياناً... وأما الإعراب فإنّه أبرز ما يميّز العامية عن اللهجة اللغوية لأنّ العامية تحمل الإعراب جملة وتفصيلاً"¹.

ونشير إلى أنّ العامية في كتب المحدثين اتخذت عدة أسماء مثل²: "اللغة العامية"، و"الشكل اللغوي الدارج"، و"اللهجة الشائعة"، و"اللغة المحكية"، و"اللهجة العربية العامية"، و"اللهجة الدارجة"، و"اللهجة العامية"، و"الكلام الدارج"، و"الكلام العامي"، و"لغة الشعب"، اللهجة اليومية. وهناك من يصطلح عليها بلغة الحديث كالـدكتور علي عبد الواحد حينما تحدّث عن لغة الآداب وما يقابلها قائلاً: "ونقصد بلغة الحديث اللغة العامية التي نستخدمها في شؤوننا العادية ويجري بها حديثنا اليومي"³، ونجد اللجنة الفرعية لحقوق الإنسان التابعة للنواب الفرنسيين في البرلمان الأوروبي أطلقت عليها اسم "العربية" في بيان له الذي أصدره في نوفمبر عام 1997م⁴.

1 - ينظر: أ. جبروني صليحة، أثر الثنائية والازدواجية اللغوية في الأداء اللغوي لدى الطالب، مجلة اللغة العربية، العدد الخامس والثلاثون، ص 173.

2 - ينظر: إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص 144-145. وكذلك ينظر: سالم الماعوس، إشكالية الفصحى والعامي في الأدب الشعبي (مقارنة نصية من مارون عبود). الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس 2008، ص 417-418.

3 - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص 119.

4 - ينظر: وفاء مرزوق، محنة التعريب في الجزائر، مسيرة نصف قرن

من هذه التعريفات، وخاصة إذا علمنا أنّ اللهجات العامية في الواقع الجزائري هي مزيج عجيب من اللغات التي نطق بها الإنسان الجزائري على مر التاريخ (الأمازيغية، العربية، التركية، الإسبانية، الفرنسية...)، ولا ينبغي ذلك أنّ في هذه اللهجات العامية ما هو من الفصحى العامي الذي يحتاج إلى جهد الدارسين لبيانته وتحليله ودراسته¹، ونشير إلى أنّ اللهجات العامية التي تتحلى بالفصحى هي البعيدة عن تأثيرات البيئة الاستعمارية فبقيت محافظة على أصولها العربية، وقد أُلّف فيها بعض العلماء والباحثين إذ بيّنوا صلتها الوثيقة بالعربية الفصحى منها كتاب الشيخ الإبراهيمي "بقايا الفصحى المنتشر في العامية الجزائرية" وكتاب محمد الصالح رمضان "فصحى اللّغة العربيّة في العاميّة الجزائرية".

من هنا يتبادر إلى أذهاننا السؤال الآتي:

هل يتطابق مفهوم هذه الحدود ومنطوقها على اللغة الشفهية التداولية في عصر الإسلام، وما قبله، وما بعده إلى عصر الاحتجاج؟

نستشف من القيود السّابقة التي ذكرت في تلك الحدود كصفة الانحراف وعدم مراعاة الإعراب، نستيقن بلا ريب أنّ العامية لم تعرف سبيلا في العصرين: العصر الجاهلي و صدر الإسلام الأوّل، ولا عصر الاحتجاج، يقول الدكتور طاهر ميلة في مقالته "الازدواجية العربية وأثرها على انتشار العربية الفصحى أو العربية المشتركة": "غياب المنطوق الفصحى الذي كان متداولاً أثناء عصور الاحتجاج في التعاملات اليومية هو السبب الرئيس في عدم انتشار الفصحى وضعف التحكم فيها

¹ - ينظر: د. إبراهيم براهيم، السوق اللغوية في الجزائر - تحديات الاستثمار اللغوي ورهاناته - ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، مرجع سابق، ص143.

من قبل المتعلمين لأنها ابتعدت عن اهتمامات الناس اليومية منذ قرون أي منذ انتهاء عصر الاحتجاج في القرن الرابع الهجري¹.

3. علاقة اللغة بالعاميات

تتمثل العلاقة بين اللغة والعاميات في الحركية الدائمة لها، فهي نمط غير ثابت، فتارة تنجذب نحو اللغة الفصحى، وتارة تبتعد عنها، بحسب العوامل الطارئة عليها والمحيط بها، فالعاميات واقع ومستوى لغوي يتراوح ما بين المنزلتين العليا والأدنى حسب المؤثرات، فمنها ما يجعلها أشد ما تكون أقرب إلى الفصحى، ومنها ما يجعلها أبعد من ساحة الفصحى حتى تصير وكأنها أجنبية عنها، لا تمت لها بصلة، إلا نزا يسيرا، كاللغات التي تنتسب إلى اللغة اللاتينية، من فرنسية، وإنجليزية، وإسبانية وغيرها، فكثير ما تشترك هذه اللغات بآلاف الألفاظ فيما بينها صورة ولفظا، ولم تكن مانعا لأن تكون كل لغة مستقلة عن غيرها.

إنّ العلاقة بين اللغة والعاميات من جهة الأصل والنظرة الطبيعية، بينهما عموم وخصوص، وتتلاشى هذه العلاقة وتضمحل نسبيا، وقد تزداد قوّة، فإن كانت قريبة من الفصحى فإنها لا تشكل إشكالا اجتماعيا وتوابعه، وإن ابتعدت عنها فإنها تصبح تحوم حول العوامل التحفيزية للتخلف اللغوي والحضاري والثقافي، ناظرة للوسائط التي تعمل على إذكاء التفاعلات الخالقة لوحدة المجتمعات، وجعلها حاضنة لمزاعم وصراعات إيديولوجية.

¹ - د. طاهر ميلة، الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص 182.

كما "ينحصر الفرق الأساسي بين اللغة العاطفية واللغة المنطقية في تكوين الجملة، هذا الفرق يظهر تماما عندما تقارن اللغة المكتوبة باللغة المحكية... لكل حالة اختلاف في ترتيب الكلمات إلى جانب اختلاف المفردات، إن الترتيب المنطقي الذي تسلك فيه كلمات الجملة المكتوبة يتعطل دائما في الجملة المحكية قليلا أو كثيرا"¹، يشير المترجم إلى أن الكاتب يفرق بين اللغة، لغة العقل، لغة الروية، التدقيق، الإمعان واللغة العامية لغة الحس، لغة عفوية تلقائية.

وهناك فارق باعتبار النزعة الفردية والجماعية مثلما يذهب الباحث "كمال يوسف الحاج" بأنّ العامية تؤول إلى النزعة الفردية بينما الفصحى اللغة المعيارية تؤول إلى الضمير الجمعي قائلا: "إذا استعرضنا تاريخ اللغات رأيناها يتجه من العامية الفردية إلى الفصحى المشتركة...ازدهار الحياة الاجتماعية لا يستطيع أن يقوم على اللهجات...إنه يفرض لغة مشتركة لها قواعدها ودواوينها وهذا لا يمكن أن يحصل بدون النحو، وهل الفصحى غير اللغة المشتركة المرتكزة على معطيات عقلانية؟"². وقد وقفنا على جدول لأحد الباحثين يبيّن التّمايز الموجود بين الفصحى والعامية، وقد ذكرناه للاستئناس وبشيء من التعديل ما يلزم تعديله.

العامية	الفصحى
لغة السواد الأعظم من الناس	لغة مقتصرة على الخاصة
تفتقر إلى مصطلحات العلمية والفنية	لغة علم ومصطلحات
متحررة من جميع الأحكام والقواعد	مقيّدة بالأحكام اللغوية

¹ - فندريس، اللغة تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ص191.

² - كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، ط2، 1978، ص233.

المتحدث بالفصحى يتمكن من القراءة والكتابة ولا يجد صعوبة في فهم معانيها	المتكلم بالعامية يجد صعوبة كبيرة في فهم معانيها وخاصة إذا اختلفت المناطق
لغة العرب جميعا، وهي لغة موحدة، يسهل التعامل بها في جميع المناطق العربية	لغة تختلف باختلاف البلدان، بل قد تختلف من منطقة إلى أخرى، ويصعب التعامل بها في جميع المناطق
لغة حاضرة في المحافل الدولية ومنظماتها	لغة غائبة عن المحافل الدولية ومنظماتها
لغة مرنة اشتقاقية، تملك قاموسا شاسعا من المفردات لا تملكه لغة أخرى	لغة غير اشتقاقية ذات قاموس محدود
بعيدة عن الخلط اللغوي، أي لا تستعين بلغة أخرى في الاستعمال	تقرض من اللغات الأخرى، وتستقبل الدخيل على مصراعيه من غير شرط
لغة الوحي القرآني التي يستعملها المسلمون في جميع الأقطار للعبادة	لغة عامة الناس، إلا أنها قاصرة لا تصلح للعبادة في العموم
لغة الوحي القرآني التي يستعملها المسلمون في جميع الأقطار للعبادة	لغة عامة الناس، إلا أنها قاصرة لا تصلح للعبادة في العموم
تتجاوز التسعة والعشرين حرفا	مخارج حروفها وأصواتها واضحة حيث لا تتجاوز الحروفها نطقا من منطقة لأخرى، كما تتجاوز حروفها حروف الفصحى
إن حركات ونقاط حروفها مقننة	حركات ونقاط حروفها غير مقننة، مهملة للتونين، إما بتسكين أواخر الكلمات أو بإضافة حروف عليها

قد استطاع أنصار العاميات أن يجعلوا لها مكانة ومنزلة تنافس بها الفصحى في كثير من المواطن، والمفاصل الأساسية في البنية التحتية للمجتمعات، فزادت الأمور تعقيدا حول حلول هذه الظاهرة اللغوية، ومن الصور لهذه المظاهر فهي على النحو التالي:

1- التقريب بين الفصحى والعامية فيما يسمّى باللغة الثالثة وهذه صورة من صور التنازل الذي يصوّر زحزحة الفصحى عن منزلتها ومكانتها إلى ساحة المناقشة والحوار.

2- حصول العامية على ثغرة اجتماعية سياسية جعلتها تقتحم مجال الكتابة في القصة والرواية والمسرح، ومن المدافعين على الرؤية محمد تيمور محتجا بالحياة الاجتماعية ولا يمكن تصويرها إلا باللغة التي أنشأت من رحمها، حيث "يرى أشتاتا من الكلمات العامية أقدر على إظهار الجو وتجليه الروح وتحرير الوصف، وتبيين الحوار، وإذا هو تنكّب عن هذه الكلمات إلى بديلها من كلمات فصحى خرجت صوره التي يرسمها للشخصيات والأحداث في بعض الأحيان عليها مسحة من شحوب تفتت فيها خفقة الحياة"¹.

3- بروزها في الوسائل السمعية البصرية الكلاسيكية على شكل حواشي في بعض القنوات الفضائية والإعلانات التجارية، حيث يرى محمد صالح الجابري أنّ هذه الظاهرة "بدأت تنتشر في بعض الوسائل السمعية منها والسمعية البصرية، وكذلك المكتوبة وفيها ميل واضح إلى تغييب اللغة العربية الفصحى، والتوسل باللهجات استدارا لعطف جماهيري رخيص ومغلوط في الآن نفسه، أو جريا وراء الكسب والإشهار العاجل"².

4- انتشارها واستشراؤها على الشابكة بمواقعها وصفحاتها بشكل مخيف حتى صارت هجينا لغويا على كثير من المواقع الاجتماعية التواصلية كالفيسبوك... إلخ.

¹ - محمود تيمور، العامية الفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، ع13، ص133.

² - محمد صالح الجابري، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص32-33.

5- تواجهها بالجرائد وبخاصة الجرائد الأسبوعية الرياضية منها والفنية، وأشار إلى هذا المظهر الباحث عز الدين ميهوبي قائلاً: "صار من الصعب تصنيف الأسبوعية الرياضية فهي تلجأ إلى استخدام كالعناوين بالعربية الدارجة التي توظف الحرفين العربي اللاتيني ولا يفهمها إلا هواة الجلد المنفوخ كما يقولون، وتتشابه معها الأسبوعيات الفنية الموجهة خاصة إلى فئة المراهقين من الشباب... أما الأسبوعية الشاملة فإنها تحاول احترام اللغة في بعض المقالات، بينما تغض الطرف عن تكسير اللغة في مقالات أخرى"¹.

6- هذا المظهر يتمثل في الجانب الإشهاري حيث يأخذ حيزاً كبيراً في العصر الحديث، فالتوجهات الاقتصادية التي صارت وجهة لوسائل الإعلام أن تجعلها طيّعة لنشر الإعلانات بأي لغة، وطيّعة لأيّ اختراق في الساحة اللغوية، لأنّ همهم الوحيد هو العرض الجمالي والفني، والدعاية الإيجابية الفعّالة.

7- أوجبت المصدقية لنفسها في الساحات الجامعية، والبحثية تحت مسمى الأدب الشعبي بصفة تقنينية رسمية.

5. أسباب ظهور العاميات

بما أنّ الحياة اللغوية تخضع لمؤثرات شتى، قديمة وحديثة طارئة ومناخية مزاجية بيولوجية متشابكة في نسيج معقد² لذلك يمكن أن نقف على بعض الأسباب القوية التي أدت إلى ظهور هذه العاميات وساعدت على اتساعها في الماضي، وتعمل على تعميقها وتكريسها في الحاضر منها:

1.5. صعوبة الفصحى والمغالطة النفسية

¹ - عز الدين ميهوبي، صحافتنا وتعميم اللغة، دور وسائل في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2002، ص34-35.

² - عائشة عبد الرحمن، لغتنا والحياة، دار المعارف، مصر، 1975، ص95.

نجد كثيرا من التلاميذ وأشباه الباحثين يستصعبون المادة النحوية والصرفية، بل معيارية اللغة كلها يستشكلوها، كما يعتقدون أنّ الفصحى عائقا للتحضر والتطور¹، فلا تخرج عن ساحة الأدبيات، فكان سببا لإلجامهم عن العربية، وإقبالهم على العامية وهذا ما أشار إليه احد الباحثين بأنّ "القواعد والقوانين الدقيقة والثابتة التي تتميز بها اللغة العربية الفصحى صعبت على الكثيرين، وفي مقابل ذلك وجدوا في العامية ملاذا وتلبية لرغباتهم وحاجياتهم، واعتبروها لغة التخاطب اليومي، ووجدوا أن الفصحى لغة تخلق بعيدة عن التطور الحضاري والعصرية، كما أنّها تعيق التقدم العلمي والحضاري في شتى المجالات وهي صالحة في المجال الأدبي فقط".

2.5. اختلاف البيئات الجغرافية

البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، والإنسان مرهون ببيئته ومرتبطة بها ارتباطا وثيقا قلبا وقالبا "فهني مهد وجوده، ومرفق حياته في مطالبه المادية وكثير من مطالبه الروحية"²، وثبت أن البيئة تشكل مجموعة من المؤثرات منها الثقافية والحضارية والنفسية والفسولوجية، فلا ريب أنّها تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام، وهذا مشاهد لا يحتاج إلى بيان، وقد أشار الدكتور علي عبد الواحد إلى هذه العوامل المحسوسة والمعنوية المرتبطة بالبيئة الجغرافية قائلا أنّ: "اللغة تتأثر أربما تأثر بخصائص الأمة، ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية...وما إلى ذلك فكلّ تطوّر يحدث في ناحية من النواحي يتردد صداه في أداة التعبير"³.

¹ - ينظر: د. نصر الدين الشيخ بوهني، ألفاظ عربية فصحى حفظتها العامية الجزائرية صراع البقاء، مرجع سابق، ص 445.

² - النجار عبد المجيد، قضايا البيئة من منظور إسلامي، وزارة الأوقاف، قطر، ط 2، 2004م، ص 7.

³ - علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط 4، 1983، ص 13.

وقد اهتم العلماء وخاصة علماء المحدثين بهذا العامل حتى كاد أن يكون عاملا مستقلا بذاته في علم اللسانيات الموسوم بالجغرافيا اللغوية *linguistique géographique* ويقرر كارول Carolle أن هذا المصطلح قد تطور إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون "الجغرافيا اللهجية" *Dialect Geography* أو علم اللهجات ¹*Dialectology*.

3.5. الاحتكاك الإنساني

الحاجة الإنسانية لا بد لها من تواصل، لأنّ الفرد مدني بطبعه كما يؤكد ابن خلدون، وقد استشرى هذا في الدراسات الاجتماعية، فتلك الحاجات من عمل، أو هجرة، أو معرفة تستوجب اتصالا، ويستلزم تعبيرا بلسان الآنية والحال، واللسان مع اللسان في التأثير شبيه بتأثير حوار الحرف مع الحرف فيغير من صفاته، فكذلك اللسان يتغير بكَرّ الأيام ولوازمها، فإذا ثبت تلك الصفات الطارئة عليها صارت لهجة من اللهجات.

ومن الصّور الذي يمثّلها هذا العنصر الاحتكاك الفكري والجسدي، ويظهر جليا في الامتزاج بالأعاجم والتأثر بحضارتهم في العادات والتقاليد، وحدوث التّزاوج لوجود أسبابه، واختلاف صوره، وكلنا يعلم أنّ عددا كبيرا من العرب صاهروا الأعاجم منذ الزمن البعيد إلى يومنا هذا، واتخذوا منهم الزوجات وأنجن لهم الذكور والإناث، ولا يخفى تأثير ألسنة الأمهات على ألسنة الأبناء، وذلك بعمل الاحتكاك والتربية والمعايشة المستمرة ممّا جعل اللكنة تعلوا الألسنة وتستشري في مواطن دون مواضع أخرى.

والخليق بالتنبيه أنّ هذا العامل ومساهمته في إنشاء لهجة من اللهجات متوقّف على نفسية المحتك وطبعه التكويني من قوّة وضعف، وقد أشار إلى هذا ابن جني حينما قال: "اعلم أن العرب

¹ - ينظر : عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص7.

تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يحف ويسمع فيقول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه".¹

فلقاء العربي بغيره يأخذ إحدى الصّور الثلاثة بحسب الطبيعة الموجودة فيه قوة وضعفاً، قد يتأثر بغيره دون عامل خارجي، أو لا يتأثر لقوة متواجدة، وقد يتأثر بعامل خارجي كإطالة الزمن.²

4.5. اللحن

يعتبر اللحن والتّساهل في مضمّاره من الأسباب التي ساهمت في نشر العاميات، لأنّ طبيعة اللحن يؤثّر على البنية المفردة في جميع مستوياتها، إذ اللحن هو: "الخطأ في اللغة: أصواتها، أو نحوها، أو صرفها، أو معاني مفرداتها"³، وارتبط اللحن ابتداءً بالأعاجم، ومخالطة اللسان للسانهم، ولعل هذا ما أكّده الكاتب جورج الكفوري قائلاً: "مخالطة العرب للأعاجم بعد الفتوح أحدثت اللغة العامية، لأنّ الأعجمي يصعب عليه أن يتلقن بالتعلم والتحفّظ ما ينطق به العربي عن سليقة وتلقين طبع، وأنّه لا يستبعد أن يكون أول من تكلم بالعامية هو أول أعجمي نطق بالعربية"⁴، وهذا لا يختلف فيه اثنان، لأنّ الأعجمي في بداية استعراجه سيظهر الانحراف على لسانه بداهة.

ولا تزال ظاهرة اللحن في ازدياد وارتفاع، حتى صارت صفة راسخة، لا تكاد تنفك عن هذه الأمة وأبنائها الطّلبة والمتعلمين، وقد وصف أحد الكتّاب حجم خطورته قائلاً: "فأصبح الخطأ في اللغة همّاً يورّق جفون المهتمين والمعلمين وأولياء الأمور وأساتذة الجامعات والعُيّر من أبناء الأمة،

1 - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية، ص 383.

2 - ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، مرجع سابق، ص48.

3 - مطر عبد العزيز، لحن العامة في ظل الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة، مصر، 1996م، ص19.

4 - جورج الكفوري، اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مرجع سابق، ص41-42.

وضّحت الشكوى من هذا الضعف في كثير من البلدان العربية، وتنادت الصحف والندوات والمؤتمرات والمجامع بأنّ هذا الضعف أصبح بدرجة يهدد اللغة العربية، واقعا ومستقبلا يُخشى منه على الأمة، وشخصيتها، وعقيدتها، وكيانها، وصلتها بتراثها وجذورها¹.

5.5. علماء اللغة المحدثون

يتمثل هذا العامل في تكريس هذه الظاهرة تحت غطاء العلم من طرف ألسنيين وباحثين لغويين مستشرقين وعربا، ولا يخفى على اللبيب أنّ الترويج والتسويق لها بألسنة المثقفين هو أكبر ضرر يلحق بأبناء اللغة، بوصفهم مراجع فكرية وعلمية بالنسبة للعوام وأشباههم، والتي أفرزت أطروحات ودراسات ومؤلفات وأطالس وقواميس لهجية عربية.

وقد أشار إلى هذا المجهود أكثر من باحث عربي، وأكّدوا أنّ القوى البحثية قد وجهت جلها منذ أواخر القرن الماضي إلى دراسة اللهجات وجمعها وبيان خصائصها، ومقارنتها باللغة الأدبية أو المعيارية، كما بيّنوا أنّ هذه الدراسات الأولى قد لعبت دورا كبيرا في تأسيس علم اللهجات² Dialectologie، يقول أحد الباحثين: "تعد دراسة اللهجات دراسة مهمة أساسية في المباحث اللغوية الحديثة، وهي من فروع علم اللغة العام... وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر الغربيون إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه إلى الفصحى ونبذ العاميات، لأن في محافظتهم على الفصحى محافظة على كيانهم الثقافي"³.

6.5. الاستدمار

1 - محمود عمار: 41:09/20/04/2007www.alviyodh.com

2 - ينظر: محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1990، ص15.

3 - عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص388.

هذا العامل من العوامل القويّة الذي يعمل على تغيير المسارات اللغوية في صالحها، لأنّها تعتقد أنّ المسار اللغوي من الوسائل ذات الأهمية في الارتباطات الروحية بين أفراد المجتمع وتحقيق هويّته، فاللغة والهويّة عملة واحدة لأيّ مجتمع ما، لذلك حرصت الدول الاستدمارية على نشر لغاتها بالحديد والنار تارة، حيث تولى الفرنسيون في مطلع القرن التاسع عشر تدريس العامية، كما أوكلوا المهمة لبعض المشاركة الذين رافقوا الحملة مثل "جوني فرعون" عام 1832 ثم تابعه "لويس برينيه" عام 1836 كما ساهم في هذه الجريمة بعض المستشرقين منهم "شيرينو" في قسنطينة، "ماشويل" في وهران، حيث صدرت عن هؤلاء مؤلّفات تعليمية بالعامية والفرنسية، وكانت تُقرأ من اليسار إلى اليمين¹.

فالمستدمر بشقّي أنواعه يبحث عن كلّ الوسائل والأساليب التي تسهل عملية التّسلل إلى قلوب وعقول جماهير الأمة العربية، تبين له ضرورة الاهتمام بمدخل اللهجات العربية العامية وتعليمها، فأدخلوها في مدارسهم وجامعاتهم، ومن أهدافهم تعليم القناصل والمبشّرين والجواسيس الأوربيين إلى البلاد العربية².

إنّ الأثر البالغ له هو ما أنشأه من نخبة تتلمذت على يديه ونادت بما ينادي به، بل استكمال مهام أخرى سوسيوثقافية، بدايتها ظهرت عند إعلان أولائك عن ضرورة استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني³.

وقد قال أحد الباحثين في هذا الصدد مشنّعا عن المستغربين الذين كانوا سيطا بأيدي الاستدمار ووبالا على لغتهم، وتحت إشراف أسيادهم المستشرقين قائلا: "فقد كان للمستغربين دور

¹ - ينظر: أبو القاسم سعد الله، ج8، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1862)، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص13-ص14.

² - د. عبد الله بوخلخال، الدعوة إلى العامية أصولها وأهدافها، العدد1، السنة1994، ص165.

³ - ينظر: سامي سليمان أحمد، البداية المجهولة لتجديد درس النحوي في العصر الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2004، 1، ص10.

كبير في ضرب الفصحى بالعامية وإدخالها غرفة الإنعاش، وليس هذا فقط، وإنما حاولوا أن تكون للعامية كتابة مخالفة للحروف العربية، حيث طالبوا كتابتها بالأحرف اللاتينية، ومنهم أنيس فريجة الذي أصدر هذه الدعوة في كتابه نحو عربية ميسرة ومنهم من دعا إلى إلغاء خاصية كبرى ومهمة من الفصحى، كظاهرة الإعراب والاستغناء عن تحريك أواخر حروفها، كقاسم أمين صاحب تحرير المرأة¹.

كما أنجزت دراسات ومؤلفات تهمي لهذه الفكرة الهدامة، فبينت شيئا من خصائصها وقواعدها وأساليبها، وكانت تلك المؤلفات بأيدي عربية تحت رعاية وتوجيهات المستشرقين، منها "أحسن النخب في معرفة لسان العرب" لمحمد عياد الطنطاوي، ومؤلف "الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في الكلام الدارج"².

رابعا: أحادية اللغة (unilinguisme)

الأحادية اللغوية أو الأحادية اللسانية، والتفرد اللغوي أو التفرد اللساني كلّها مصطلحات تستعمل لوصف مجموعة أو مجتمع لا يستعمل إلا لسانا واحدا، ولا يتواصل أفرادها ولا يتعاملون إلا بهذا اللسان³.

هناك من يرى أنّها الأصل في المنطوق اللساني، بعدما صار التعدد اللساني عند الكثير من الباحثين هو الأصل، ويؤكد أصحاب التفرد اللساني بأنه "ينبغي أن نهتمّ بوضعية التفرد اللغوي لأنّها

¹ - د. نصر الدين الشيخ بوهني، ألفاظ عربية فصحى حفظتها العامية الجزائرية صراع البقاء، جامعة حائل، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، ص 422.

² - ينظر: نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المعارف بمصر، ط2، 1980، ص 12.

³ - ميمون مجاهد، تعليمية اللغة بين الأحادية والتعدد، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، اللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، إشراف: د. عبد الحليم بن عيسى، 2008/2009، ص 127.

تمثل الوضعية اللسانية الأكثر طبيعية، بحكم أنّها تستجيب أكثر من غيرها لفطرة الأفراد، إذ جبلوا على التواصل لاضطرارهم للتجاوز والتشارك وعلى الاقتصاد في الجهد فاستغنوا باللغة الواحدة¹.

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّه لا يوجد أشخاص يتكلمون بلغة متشابهة حتى وإن كانوا في واقع لغوي مشترك، وأدّل دليل على هذا الاتجاه الأبحاث العلمية حول البصمة اللغوية، واعتمادها من طرف الجهات الأمنية عالميا، واعتبارها دليلا جنائيا، لأنّ كلّ فرد يتميّز ببصمة صوتية خاصة، وقد قال في هذا الصدد CHRISTION BAYLON : "لكل متكلم تأدية خاصة في الخطاب..."²، ولذلك لا ينفرد نظريا أي مجتمع بلغة منفردة، وهذا ما أشار إليه Marcal cohen بقوله: "وحدة اللغة مطلقا لا وجود له، بهذا المفهوم حتى أفراد المجتمع الذين لا يملكون إلا لغة واحدة لا يستعملونها بنفس الطريقة في كل المقامات"³.

ونجد الدكتور أنيس فريجة يعلّل هذا الاتجاه صوتيا، ويؤكد بأنّ كلّ فرد يختص داخل المجتمع بلهجة خاصة به تميّزه عن غيره، بل الشخص نفسه وعينه لا يثبت ولا يستقر على وتيرة لغوية واحدة قائلا: "أنّ المجتمع الذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له، وإذا أبدت شكّا في ذلك، أدخلوك إلى مختبر الفونيتيك، وقالوا لك اجلس أمام هذه الآلة المسجلة وتلقّظ هذه العبارة (ما أجمل الطقس) ثم بعد ربع ساعة يقولون لك تعالى سجل مرة أخرى (ما أجمل الطقس) ستجد لنفسك فروقا، ولكنّها فروق لا تستطيع الأذن تمييزها"⁴.

¹ - ينظر: محمد الأوراعي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 2002، ص09.

² - Baylon cristion et poul fabre 1984 la semantique avec des travaux pratique d application et leurs corriges collction nothon universite Ed ferband Nathn France p57.

³ - ينظر: سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مرجع سابق، ص32.

⁴ - أنيس فريجة، اللهجات العربية وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص86.

ومن جهة أخرى نرى أيّ لغة من لغات العالم ، سواء كانوا من العرب أو العجم لا تخلوا لغاتهم من العاميات التي يستعملونها الناس في شؤون حياتهم، وعليه يلزم من ذلك أنه لا وجود لوحدة اللغة مطلقاً، يقول عبد القادر المغربي: "كل لغة فصيحة من لغات البشر لها بجانبها لغة متولدة منها هي اللغة العامية أو اللغة الدارجة"¹.

ولكن من الناحية العملية الفعلية الحُكمية قد تتحقق هذه الظاهرة إذا ما توفرت دواعيها، مثل ما أشار إليه الباحث الجزائري الحاج عبد الرحمان صالح حيث يذهب إلى: "عدم وجود على الإطلاق لغة واحدة تستعمل على حد سواء كلغة تخاطب بعفوية وكلغة ثقافة أو لغة رسمية إلا في حالة وجود ثقافة أو أدب شفاهي غير مكتوب"².

خامساً: التعدد اللغوي

إن مصطلح التعدد اللغوي (plurilinguisme) يعرفه جوليت غارمادي بأنه "استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد"³: أي أن التعدد اللغوي عبارة عن استعمال لغات لا تقل عن لغتين داخل حيز اجتماعي معين، ومن هذا المفهوم تتداخل الظواهر معه كالازدواجية والثنائية، لذلك نجد أن جل الباحثين حينما يتطرقون لظاهرة التعدد اللغوي إلا و يذكرون في ثنايا كلامهم هاتين الظاهرتين، كما نجد له أسماء أخرى كالتعدد اللساني، والتفرع اللغوي،

¹ - عبد القادر المغربي، أقرب الطرق إلى نشر الفصحى، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 3، ج 8، 1341هـ/1923م، ص 236.

² - د. عبد الرحمان حاج صالح، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص 89.

³ - جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، عرّبه: د. خليل أحمد خليل، مرجع سابق، ص 115.

والتنوع اللغوي.¹، ويعرفه محمد الأوراعي بقوله: "التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي MULTILINGUISME وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي، إذا كانت جميعها لغات عاملة كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عاملة كالعربية بجانب لغات عامية"².

نستشف من هذا أن هذا المصطلح لا يمكن إطلاقه إلا بوجود هذه القيود التي أخرجت لنا أنواعا أخرى لا بد من توفر جماعة معينة، ومجموعة من اللغات لا تقل عن لغات ثلاث. لا يشترط في اللغات أن تكون مختلفة الجذر فيما بينها، بل يفهم من المصطلح وجود مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد، كما هو الحال في الفيدرالية السويسرية والفيدرالية البلجيكية والكندية والمغرب العربي.³

وعليه يتعين أنّ التعدد اللغوي ليس ظاهرة جديدة، ولا هي مقصورة على أمة دون أمة، بل كل له نصيب منها قل منها أو أكثر، وهذا ما أشار إليه لويس كالفن أن التعدد اللساني "ليس مقصورا على مناطق مخصوصة، ولا هو سمة من سمات العالم الثالث على وجه التحديد، أو من سمات البلدان النامية... فالتعددية اللغوية قدر مشترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة في كل حال"⁴.

1 - د. جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر، مظاهره وانعكاساته، التعدد اللساني واللغة الجامعة، الجزء الثاني، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص 49-50.

2 - محمد الأوراعي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2002، ص 11.

3 - د. صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 224.

4 - لويس كالفن، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 77.

لكن الإشكال المستجد مبني أساساً على نية التعامل وأهدافه مع تلك اللغة النواة، كما هو ظاهر في كثير من الدول الإفريقية على أيدي مستعمراتها: "ومن هنا يبرز الصراع بين الألسن القومية والألسن الأجنبية، ومن هنا يظهر تخلف هذه الألسن المهيمنة عليها، ومحاولة جعلها غير قادرة على مواكبة العصر والمد الحضاري... كما يمكن لهذه الألسن أن تعاني الكثير من التخلف في طريق تعليمها أو تدريسها"¹.

وفي نظرنا أن المتبع لتاريخ الأمم، وخاصة الأمة العربية لم يعرف عنها هذا الصراع إلا في زمن الخلافة العباسية على بعض ألسنة الشعراء المعادية للإسلام تحت مسمى الشعبوية، وهي حركة تمثل "تعصب كل شعب لقوميته وحضارته ضد العرب، وقد نجمت عن تعدد الشعوب التي ضمها المجتمع العباسي، لقد تألف ذلك المجتمع من عرب وفرنس وهنود وروم وزنج إلخ... وبما أن العرب يمثلون الأمة الحاكمة، لهذا اتجهت الشعبوية ضدهم"².

وإلى ذلك يشير الجاحظ في قوله: "وربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب في الإسلام إنما جاء ذلك من الشعبوية... وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة"³.

من جهة أخرى نجد أن العربية في بداية الفتح الإسلامي وما بعده بعقود كانت على أحسن حال وتسامح مع غيرها، حيث كانت متجانسة مع البربرية واللهجات الأصلية في البلاد، كما أن اللغة كانت تقع في الواجهة، وقد احتفل السكان الأصليون بها متبركين بانتسابها للقرآن ونبى الإسلام

¹ - حافظ إسماعيل علوي، وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص35.

² - علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1988، ص25.

³ - الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص54.

صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهي التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور وأذهبت عنهم الرجز، ودفعت عنهم العدوان والتسلط من قبل الأعداء والذين أذلوهم زمنا طويلا"¹.

كقول الحاكم الفرنسي لجيشه أيام الاستعمار "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر كما حكمناها"²، وقول نابليون للوفد أيام استعمار مصر: "علموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن"³، وكان برات مؤسس مدارس الهنود في أمريكا قد قال حاضا على هذه السياسة تجاه الهنود الحمر: "اللغة والدين هما خط الدفاع الأخير للهنود، ولا بد من القضاء عليهم"⁴، وهكذا ديدن جميع الدول المستعمرة المبنية على اللاتسامح واللامساواة بين الثقافات واللغات.

الواقع الجزائري لا ينفك عن العالم باتصافه لهذه الظاهرة الناتجة عن الأحداث التاريخية المتراكمة لفترة تزيد عن قرن وثلثين سنة، فأنتجت تعددا يتمثل في التنوع اللغوي (العربية، الفرنسية، الأمازيغية، اللهجات...)، إلا أنه في زمن العولمة الدافعة لمواكبة ومسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي، يفرض نفسه أكثر من ذي قبل، وهو سلوك لا مفر منه ولكن يتبادر إلى أذهاننا ما هو التنوع اللغوي المنشود؟ خاصة إن كان يحمل في ثناياه الثنائية اللغوية ومعلوم أن هناك تعددات لسانية قاتلة ومهلكة ومتوحشة، تعمل على فصل الطفل عن هويته، فيقع فريسة أفكار معادية لكل ما هو وطني بدعوى العصرية.⁵

1 - محمد أمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، الجزائر، ع8، 2015، ص71.

2 - صالح بلعيد: اللغة العربية والعولمة، مجلة اللغة العربية، ص57.

3 - مازن المبارك: اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1998، ص2، ص11.

4 - مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية، اللغة هوية، مرجع سابق، ص66.

5 - ينظر: صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، مرجع سابق، ص37.

مجمل القول حول التعددية أنّها في ذاتها ظاهرة طبيعية، وأليفة تؤلف، وإن كانت تحمل في طياتها جانبا سلبيا يوحي بمقدمات إلى التّبعية أو لتمزيق وحدة الأوطان، وقد اتّصف به المجتمع الإسلامي في أزهى عصوره، ولم يعرف عنه ضيقا ولا خوفا لماذا؟ لأنّ المجتمع الإسلامي آنذاك تعامل مع التعدد من موقع القوة والسلطة، وعليه ليس من المعقول لا من سنن العمران والحضارة أن نغذي التعدد، ونهمل لغتنا للتغريب ونهش التهجين، لا التعدد الإيديولوجي السياسي الذي يكون "تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعماري في شكله الجديد"¹.

سادسا: التّداخل اللغوي

أتطرق لهذا العنصر باعتباره أثرا من آثار بعض الظواهر اللغوية كالتّنائية والازدواجية والتّعددية، ولعل هذا ما جعل برنارد صبولسكي ينظر إلى التداخل بأنه "قد يكون خلط كلمات مستقاة من لغتين أو أكثر في الخطاب"²، فيحدث التّشابه والالتباس وصعوبة فصلها عن بعضها البعض نتيجة تشابكها وهذا ما يؤكده المعنى اللغوي لهذه اللفظة كما جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ "تداخل الأمور: تشابها والتباسها ودخول بعضها ببعض"³.

وهناك من يطلق عليه المهجين اللغوي⁴، كما نلمسه عند جورج موانان في معجم اللسانيات حينما تحدّث عن تشكّله وقال بأنّها تمثّل ظاهرة لغوية هجينة إذ "التّغيرات الناتجة في لغة ما التي تحدث بفعل التماس مع لغة أخرى أو أكثر مما يشكّل لغة تواصلية هجينة تمثّل ظاهرة التداخل

¹ - ينظر: د.جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاساته التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج2، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص51.

² - برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص128.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، ص243.

⁴ - ينظر: صالح بلعيد، الأمن اللغوي، مرجع سابق، ص224.

اللساني¹، ويعرفه الدكتور أحمد البناي قائلا: "هو مصطلح يشير إلى تأثير اللغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية، والعنصر يعني صوتا أو كلمة، أو تركيبا، أو عبارة أخرى يبدو التداخل اللغوي في تسلط نظام اللغة الأم على نظام اللغة التي يتعلمها الفرد، حيث يتجلى ذلك من خلال استبدال عنصر لغوي من اللغة المتعلمة بعنصر آخر من عناصر نظام الأم"²، وهذا المعنى الذي اشتهر عن كثير من باحثي اللسانيين الغربيين، بأن التداخل تأثير لغة الأم على اللغة التي يتعلمها المرء كتعريف اللغوي اينر هوجن Einar³ hougen، وهناك نظرة أوسع من هذا التعريف لبعض الباحثين كالـدكتور علي القاسمي قائلا: "ولكننا ننظر إلى التداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى، في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتية، الصرفية والنحوية، والمفرداتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم الثانية أو بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعوريا أو لاشعوريا، فإذا تأثرت اللغة العربية الفصيحة التي يتكلمها الطفل العربي بلهجته العامية أو باللغة الأجنبية التي يتعلمها، فإننا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك"⁴.

ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة يمكن أن تعود إلى "الانحزام النفسي والشعور بالدونية الحضارية الذي غلب اليوم على أكثر العرب اتجاه الغرب، ونعني به ما نراه من رغبة طاغية لدى كثير منهم أن يقحموا في كلامهم أو كتاباتهم كلمات أو عبارات أو مصطلحات أعجمية لا

1 - ينظر: جورج مونان، معجم اللسانيات، تر: جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012، ص124.

2 - د.أحمد بناني: الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مرجع سابق، ص108.

3 - ينظر: جميلة راجا، التداخل اللغوي، مجلة اللغة الأم، دار هومة، 2009، ص147.

4 - د.علي القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ع1، 2010، ص77.

تطلبها مناسبة ولا تقتضيها ضرورة، ولا يستدعيها مقام، وإنما هو شعور الضعف الذي سرى فينا واستحوذ علينا¹، وقد تكون أسباب أخرى زادت من الأمر تعقيدا وترسيخا لهذه الظاهرة مثل:

- احتكاك اللغات مع بعضها البعض، ومن ثم ظهور الظواهر اللغوية.
- تغذية الوسائل الإعلامية لهذه الظاهرة بحجة المساعدة على الوظيفة التبليغية.
- خلو بعض اللغات من المصطلحات والأسماء العلمية مما يضطر المستخدم إلى استعمال مفردات الغير.

فالخلط بين العربية وألفاظ أخرى من اللغة الفرنسية أو غيرها حتما يؤدي إلى المزالق اللغوية، فإذا اعتبرنا العمومية أو الدارجة في موضع اللغة الأم بالنسبة للطفل، فإنه في هذه الحالة يرتكب أخطاء لغوية في مرحلة تعلمه للفصحى، فتجده يقارن بطريقة لاشعورية بين أنماط اللغتين، ويقوم بتحويل بناء لغة الأم إلى اللغة الثانية، على سبيل المثال نجده يقول: قال "بأن" بدل قوله "قال إن"، وقد أشار إلى هذه المهالك اللغوية الدكتور أحمد معتوق قائلا: "لقد أدى هذا الخلط إلى ضعف اللغة العربية وإنتاج جيلا لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكر بهذا الوضع، وهو ما يؤدي مستقبلا على مسخ اللغة العربية والبعد عنها أو تحويلها إلى لغة هامشية فاقدة الهوية معرضة للانزواء والانكماش"².

ومما سبق ذكره يتبين لنا مجانية الصواب لمن اعتقد أنّ التداخل اللغوي ظاهرة طبيعية، وسنة التأثير و التآثر وسلوك لغوي عادي يمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيرا عن التفاعل الاجتماعي³.

1 - فتحي جمعة، اللغة الباسلة، دار النصر للتوزيع والنشر القاهرة، ط5،، 2000م، ص22.

2 - أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص522.

3 - ينظر: أ. سيدي محمد بالقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، العدد الثاني، 2017، ص142.

كما تحسن الإشارة إلى الفرق بينه وبين الدّخيل، أن الدّخيل هو الكلام الأعجمي الذي دخل العربية وتركه العرب على صورته التي أخذ بها من لغة أخرى، وهناك من قيده بالمعيار الزمني كما فعل الدكتور ظاظا حيث عرف الدّخيل بأنه "لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخالص الذين يحتج بلسانهم"¹، ويرى عبد الكريم مجاهد أنه هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير"².

وفي نظرنا أن لفظة "التداخل" تحمل معنى التفاعل والاندماج وكأن الألفاظ لما اندمجت بنظام غير نظامها وطراً عليها تغيير في الصوت أو الحذف أو الزيادة فتفاعلت وصارت من ذلك النظام أما لفظة "الدّخيل" يوحي بأنه غريب مقترض فيبقى على حاله بدون تغيير.

هناك من الباحثين لا يفرق بينهما في المعنى والاستعمال كما نجد الدكتور عبد الصبور شاهين يوصي أن تحفظ العامية من الدّخيل حتى لا يقع مثلما وقع في شمال إفريقيا قائلًا: "يوشك أن تغرق العربية الشعبية في طوفان الدخيل، وحينئذ قد نواجه ما واجهت شعوب إفريقيا من استعمال ألسنة الناس، يومها لن نجدنا أن نبدأ جهوداً مضادة لتعريب الألسنة على طريقة قل ولا تقل"³.

بل العامية الراقية التي لا يكاد أن يُفترق بينها وبين الفصحى إلا في الإعراب، يجب أن تُصان من الدّخيل الذي لا يخضع لقوالب اللغة وصياغتها، إذ تعتبر خط الدفاع الأول لحرم الفصحى، فمثلها كمثل الجلد لجسم الإنسان، فمتى اختُرق الجلد من الأجسام الغريبة أصبح الجسم في خطر شبه محقق، مع العلم أن الدخيل يعمل على إخراج العامية الراقية من حيز الألفة إلى دائرة الوحشة والغربة، فيزداد الشرخ بين النمطين، ويحتد الصراع بين الأنصار، وتظهر شماتة الأعداء.

¹ - ينظر: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، مرجع سابق، ص 281.

² - المرجع نفسه، ص 282.

³ - عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 253.

كما نجد الدكتور نويوات قد نوّه عن هذا الإشكال الذي أصاب ألسنة اللغويين والكتّاب، وأطلق عليها البلاء المبين، حيث قال بصددّها: "أما أن يمزج لغته بلغة أجنبية في الجملة الواحدة لكسل فكري أو لعادة استفحلت فانقلبت فطرة أو لنقص في التكوّن أو في اللغة أو في الأداء أو لتباه بلغة فرضت وجودها فذلك البلاء المبين"¹.

وقصارى القول أنّ التداخل "باعتباره نوعا من الأسلبة والمحاكاة الساخرة باستعمال الفصحى والعامية واللغة الأجنبية واللهجات المحلية دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله ويقلعه عن موروثاته"².

سابعا: المصطلحات اللسانية للازدواجية اللغوية

قد اختلف الباحثون في تسمية هذه الظاهرة اختلافا قريبا من التّضاد بعيدا عن التنوّع، وسنشير إليها بشيء من النقد والإيضاح، والاصطلاحات التي أُطلقت على هذه الظاهرة هي كالتّالي:

1. المستويات اللغوية

يعتبر من أغرب المصطلحات التي أُطلقت على هذه الظاهرة، ولم يكتب له الشيوخ والذويوع كغيره من المصطلحات، ويعود ذلك في نظرنا لعموميته من جهة، ومن جهة أخرى اشتهر لدى الباحثين واللغويين واللسانيين هذا المصطلح على المسميات القاعدية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالة وغيرها، والذي أطلق هذا المصطلح على هذه الظاهرة الدكتور منذر العياشي حينما تحدث عن العربية ووهّم ازدواجية اللغة قائلا: "يتبين لنا أن قضية الفصحى والعامية لا تدخل في إطار ما تسميه اللسانيات ازدواجية اللغة، ولكنها تدخل في إطار آخر يمكن أن نصلح عليه ب "مستويات

¹ - د. مختار نويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر "المعالم الكبرى"، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص 135.

² - صالح بلعيد، الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2010، ص 225.

اللغة"¹، ويذهب أبعد من هذا معتقدا بأن تسميتها بالازدواجية أو الثنائية تعتبر مغالطة علمية كبرى لأنه يذهب مذهب الذين يؤكدون أن الازدواجية مرهونة بوجود لغتين متميزتين كالفرنسية والألمانية مثلا إذ يقول: "إن قسم اللغة إلى فصحي وعامية بناء على مفهوم ازدواجية اللغة يعتبر مغالطة علمية كبرى، أو وهما لا حدود له"².

2. الثنائية اللغوية

أطلق هذا المصطلح على الظاهرة اللغوية المعبرة عن وجود مستويين للغة ما، تستعملان جنبا إلى جنب، وهذا عند بعض الباحثين وبخاصة باحثي المغرب العربي، وعلى سبيل المثال نجد الدكتور صالح بلعيد ينحو هذا المنحى لما تطرق إلى اقتراح بعض الحلول حول الضعف اللغوي عموما، وذكر منها اقتراح معالجة الثنائية اللغوية قائلا: "وفي وقتنا المعاصر نرى تباعدا كبيرا بين المستوى العالي (الانقباضي) والمستوى الدارج (الأنس) وهذا يشكل خطرا في لاحق الزمان"³، وتقول الباحثة الجزائرية أ. مادن سهام: "يتميز الواقع اللغوي الجزائري بالثنائية اللغوية بين اللغة العامية واللغة الفصحى فهذه ظاهرة تختص بها كل لغات العالم"⁴.

ونجد من غير المغاربة يسلك نفس المسلك ومفضلا مصطلح الثنائية اللغوية على غيره الباحث الدكتور أميل بديع يعقوب حيث يقول: "قصد بازدواجية اللغة "Bilinguisme" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد... فالازدواجية اللغوية الحققة لا تكون إلا بين لغتين

1 - د. منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991م، ص51.

2 - المرجع نفسه، ص52.

3 - صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17.

4 - أ. مادن سهام، بين العامية والفصحى، مجلة كلية العلوم الإنسانية-الصراط-، السنة الخامسة، عدد 10، ذو القعدة1425هـ، ديسمبر2004م، ص154.

مختلفتين كما هو الحال بين الفرنسية والعربية، أو بين الألمانية والتركية أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية والأخرى عربية فصيحة ، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من الثنائية اللغوية "Diglossie"¹.

ويلاحظ على الباحثين أنهما يتفقان على المصطلح وفحواه إلا أنهما لا يتفقان في ترجمة المصطلح فالأول يترجم الثنائية بـ "Bilinguisme" وأميل بديع يعقوب يترجمها بـ "Diglossie".

3. الثنائية الرأسية أو (الثنائية اللهجية) (bidialectalism)

تعتبر من المصطلحات الجديدة التي تعبر عن ظاهرة وجود لهجتين إحداهما فصيحة والأخرى عامية في مجتمع ما والذي قال به الباحث محمد علي الخولي مفضلاً استعمال الثنائية المقيدة بالرأسية أو اللهجية فقال: "أما إذا كانت اللغتان لهجتين للغة واحدة، كأن تكون لهجة عالية فصيحة، ولهجة عامية محلية فتدعى هذه الثنائية بثنائية رأسية Vartial Bilingualism"²، ويقول في موضع آخر مؤكداً لفكرته مضيفاً لمصطلح آخر موسعاً لدائرة المصطلحات فيقول: "يجب أن لا ننسى حالة شائعة لدينا جميعاً من الثنائية الرأسية والتي يمكن أن ندعوها ثنائية لهجية bidialectalism والتي يدعوها البعض ازدواجية اللغة أو الازدواجية اللغوية diglossia وهي حالة استخدام الفرد للهجتين من لغة واحدة وبصورة تكاملية"³.

¹ - إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص 145-146.

² - محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية، مطابع الفردوس، الرياض، السعودية، ط1، 1988م، ص 20.

³ - المرجع نفسه، ص 29.

4. الازدواجية اللسانية/اللسنية/الألسنية

من المصطلحات التي أطلقت على الظاهرة اللغوية التي تمس العامية والفصحى ومن الباحثين الذي قال به الدكتور الجيلالي بن يشو، ونص على أن "الازدواجية اللسانية" "Diglossie" ترجمة للمصطلح الإنجليزي "diglossia"¹، وكذلك نجد الدكتور صالح بلعيد استعمله مع اضطراب في استعماله، مرة أراد به (العامية والفصحى) في قوله: "إنّ الدارجات من (الازدواجية اللسانية) كذلك فهي ثابتة الوقوع وملازمة للوجود اللغوي ذاته، وليس فيها ما يزعج أو يندر بقيام الساعة، ولم تطرح سابقا كمشكلة يجب القضاء عليها"²، ومرة أراد بها (الفصحى واللغة الأجنبية-الفرنسية-) في قوله بعدما تحدث عن التعدد اللغوي قائلا: "إن الازدواجية اللسانية/اللسنية لا خطر عليها فهي طبيعية كائنة لا تنقرض ولا يمكن التحكم فيها، ولا يستطيع المخططون اللسانيون الحد من مساحتها، بل عليهم دراستها وتحليلها واستخراج البنيات المتداخلة لفهم هذه الآلة العجيبة"³، والذي يظهر لنا أن هذا المصطلح لم يكتب له الشروع، لأنه يتداخل مع تعريفات أخرى كقول أحد الباحثين: "الازدواجية اللسانية أو اللسانية والتي تعني البنية اللغوية والتداخل والاندماج"⁴، فالبون شاسع بين المفهومين.

ومن جهة أخرى هناك من يترجم مصطلح الازدواجية اللسانية بـ "variantes"⁵ "linguistiques إلى la diglossie وشتان بين الترجمتين، أما مصطلح الازدواجية الألسنية فقد قال به صاحب الترجمة نادر السراج لما ترجم قول أندري مارتينييه حول الازدواجية قائلا: "نميل إذا

1 - ينظر: د.جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر: مظاهره وانعكاساته، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج2، المجلس الأعلى للغة العربية، 2014، ص51.

2 - صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة، ط1، 2009، ص32.

3 - المرجع نفسه، ص35.

4 - المرجع نفسه، ص31.

5 - المرجع نفسه، ص45.

إلى أن نخصص تحت مفردة الازدواجية الألسنية موقفا لغويا اجتماعيا، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلا لغويا مكتسبا ومستخدما في الحياة اليومية، وتكون الثانية لسانا يفرض استخدامه في بعض الظروف الممسكون بزمام السلطة¹.

5. التعددية اللسانية

نجد هذا المصطلح عند الدكتور محمد يحياتين حينما تعرّض للعلاقة بين اللغة وما يتفرّع عنها بنظرة اللسانيات الاجتماعية، ويستدل عن ظاهرة التعددية اللسانية عبر تاريخ الأبحاث مسقطا إياها على الفصحى والعامية قائلا: "عندما تستقري تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللسانية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون (fergusson) الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية (diglossie) في نهاية الخمسينات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة «التنوع الرفيع» (variete haute) أو (high variety)، أمّا الثاني فيسمّيه بـ «التنوع الوضيع» (low variety) أو (basse variete)، وقد بنى تصوّره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى، واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية (demotiki) والإغريقية الصافية (katharevousa)².

وهذا المصطلح لم يُؤخذ بعين الاعتبار لمخالفته للشائع، والعرف اللساني، والمعجمي، إذ يُطلق على مستويات لغوية عديدة.

¹ - أندريه مارتينه، الثنائية الألسنية والازدواجية الألسنية دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع"، تر: نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، ع11، 1990، ص24.

² - محمد يحياتين، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، ع11، 2006، ص73.

6. المشكلة اللغوية

يُعتبر من أغرب المصطلحات لافتقاره الشُّروط، وانتفاء الموانع، والخصائص، ومن ذلك يعترضه العموم، فيدخل فيه كثير من الظواهر اللغوية التي تدخل دائرة الإشكال، وقد أشارت باحثة عربية إلى هذا المصطلح قائلة: "يعدّ معظم الباحثين اللغويين المعاصرين الأزواج اللغوي من المشكلات العويصة التي تعانيها اللّغة العربيّة بل هناك منهم من اصطلح عليه المشكلة اللغويّة"¹، وهذه التسمية كسابقتها لم يُكتب لها النّقص في ساحة الباحثين للأسباب التي ذكرتها آنفاً.

7. التعدّد اللّغوي

من المصطلحات التي تطلق على الظاهرة اللغوية التي يستخدمها الفرد أو الجماعة لنمطين لغويين في بيئة لغوية واحدة والذي قال بهذا المصطلح الدكتور محمد حسن العارف حينما قال عن الأزواج اللغوي (la diglossie): "يطلق على هذه الظاهرة مصطلح آخر هو التعدد اللغوي"²، كما لا يجد حرجا الباحث المغربي محمد الأوزاعي على اطلاقه في استعمال منظومتين أو أكثر في بلد واحد كما يمكن اطلاقه على الفصحى مع العاميات حيث يقول: "التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي "Multilinguism" وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميّزة بتعايش لغات

¹ - مسعودة خلاف شكور، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، مرجع سابق، ص 19.

² - د.عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: الأولى، كانون الثاني/يناير 2013م، ص 422.

وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية... وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية"¹.

بل هناك من يرفض استعمال مصطلح الازدواج اللغوي ويؤكد توظيف مصطلح التعددية اللغوية بدلا عنه كما يتجلى عند الدكتور السعيد البدوي في بحثه الموسوم ب: "مقتضيات الكفاءة في تعليم العربية كلغة إضافية ضمن ندوة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"².

وسبب الخلط يعود في نظرنا إلى اشتراكهما في بعض الخصائص، ولذا هناك من يجعله مصطلحا عاما إذ ينتمي إليه بعض الظواهر اللغوية، وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد بوقمرة بعدّه مصطلحا عاما لحقل دلالي لمجموعة من المصطلحات المرتبطة به كالتفرد اللغوي، والازدواج اللغوي، والثنائية اللغوية³، إلا أن هذا المصطلح لم يكتب له التداول وذلك لسببين:

السبب الأول: يكمن في ماهية المصطلح الذي يعني تداول أكثر من لغة واحدة في البلد الواحد، ولا يخفى أن هذا الحد بعيد كل البعد عن المقصود بالظاهرة اللغوية المراد دراستها لأن التعدد اللغوي يحوي ضمنا دراسة لغة أجنبية أو أكثر.

السبب الثاني: يعود إلى زهد الباحثين في استعماله على هذه الظاهرة الاجتماعية لأن مصطلح التعدد اللغوي اشتهر في مجال اجتماعي آخر صنفت فيه تصانيف وعقدت له مؤتمرات.

8. تعدد اللهجات

¹ - محمد الأورغي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الأولى، 2002م، ص11.

² - د. عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، مرجع سابق، ص422.

³ - د. عمر بوقمرة، التعدد اللغوي-قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر-، مجلة الصوتيات جامعة البليدة، الجزائر، ع19، ص100.

يفضل بعض الباحثين استخدام هذا المصطلح على هذه الظاهرة، لما له من وصف أدق للوضع اللغوي في العالم، لذا فلا يرون حرجا في استعماله كقول بعضهم: "يخلق وجود تعددية اللهجات عوائق كثيرة أمام التلاميذ العرب، لأنهم ولدوا ناطقين باللغة المحكية، ولكنهم يجبرون عند ممارستهم الكتابة والقراءة على استعمال الفصحى..."¹، والذي يظهر أنّ هذا المصطلح به عموم فلا يحدد الوضعية اللغوية التي توحى بالصراع والتنافس بين العاميات واللغة العربية الفصحى.

9. الازدواجية العربية

يعتبر من المصطلحات العزيزة التي استعملها الباحث المغربي عبد القادر الفاسي الفهري حول هذه الظاهرة حينما تحدّث عن دعاة العامية وإحلالهم لها محلّ الفصحى قائلا: "وأما الدارجة أو العامية، فإنها تمثل تنوعا ورافدا للسان العربي المتنوع،... عوض أن تكون الازدواجية العربية موازية للازدواجية الألمانية أو الصينية، حيث تتكامل الصيغ المكتوبة والمنطوقة المتنوعة..."²

10. الازدواجية اللغوية أو (الازدواج اللغوي)

من المصطلحات التي كتب لها الدّيوغ بين الباحثين، والذي يقتضي وجود نمطين من أنماط الاستعمال اللغوي المنتميان إلى أصل لغوي واحد، ولهذه الدّلالة أشارت إليها كثير من المعاجم الحديثة كقولهم: ازدوج الشيء: أي صار اثنين، وازدواج الشخصية: حالة الفرد إذا كان له نوعان من السلوك أحدهما سويّ، وثانيهما مرضيّ لا إراديّ، وازدوج لسانه: استعمل الفصحى واللغة الدّارجة³.

¹ - أ.د. أمارة...، العربية ودورها في بناء المعرفي العربي، تحديات القرن 21 (الحلقة الثانية)، اللغة العربية وتحدياتها الداخلية، https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=839

² - أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربي الجامع بين التماسك والتعدد والتنوع، التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزء 1، 2014، ص31.

³ - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص1005-1006.

ونشير إلى أنّ هناك من يفرّق بين الازدواجية اللغوية ومصطلح الازدواج اللغوي، بغض النظر عن المدلول بينه وبين الثنائية، نجد الباحث يوسف مقران حينما تطرق إلى الفرق بين التعدد اللغوي والتعددية اللغوية جازما ومستدلا بما استوحاه من التمييز الذي تقدم به كل من (Michel Blanc) و (Josiane Hamers) والذي طبق على مفهومي الازدواجية اللغوية (Bilinguilité) و الازدواج اللغوي¹ (Bilingualisme)، وهذا واحد من الأسباب الذي يعمل على توسيع دائرة المصطلحات لغير ضرورة، ولا تزيد الباحثين إلا إرهاقا.

ثامنا: معايير اختيار مصطلح الازدواجية اللغوية عن الثنائية اللغوية

الذي نختاره من هذه المصطلحات الآنفه الذكر لبحثنا هو مصطلح الازدواجية المترجم ب "Diglossie"، إذ يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية، وإن كان بعض الباحثين يرفضون هذا المصطلح لأنهم يعتقدون بأن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، والأحرى أن تُسمّى بالثنائية اللغوية²، فأصل التسمية عندهم مبنية على علاقة الانتماء وجودا وعدما بين الأشكال اللغوية، فإذا وجد الانتماء تسمى ثنائية لغوية عندهم، وإن عدم الانتماء تسمى ازدواجية، وطائفة من الباحثين يقولون عكس هذا الاعتبار، وإتّما اخترن مصطلح "الازدواجية اللغوية" "Diglossie" للاعتبارات التالية:

- شيوع مصطلح الازدواجية اللغوية "Diglossie" على وجود مستويين من اللغة، إحداهما أصلا للأخرى، والشّيع بين الباحثين في الاستعمال من مستلزمات المصطلح وثبوته .

¹ - د. يوسف مقران، ينظر: واقع حال التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية (نحو بديل أفضل: اللغة الجامعة)، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج2، المجلس الأعلى للغة العربية، 2014، ص7.

² - ينظر: إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص145-146 وينظر: Vincent Monteil, l'arbre moderne, librairie C-Kinkseick, Paris, 1960, p69.

- مصطلح "Diglossie" أقدم تاريخياً من مصطلح "Bilinguisme"، والذي كان ينص على الصراع القائم بين لغة أدبية مكتوبة ولغة أخرى عامية شائعة.¹

- وجود شبه اتفاق على أنّ الثنائية "Bilinguisme" يبقى مصطلحاً دالاً على الإجادة التامة للغتين كما يعرفها بلومفيلد فيما نقلته شادية التل التي ذكرت أنّ الاتفاق الوحيد بين الباحثين في هذا الميدان، بحيث تلك الظاهرة تُعنى بمعرفة الفرد واستخدامه للغتين كالعربية والإنجليزية.²

- مصطلح الازدواجية اللغوية من القضايا الاجتماعية التي يعالجها علم اللغة الاجتماعي، أو علم اللسانيات الاجتماعية والذي يهتم "دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة، باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة وذلك من خلال النهر المتدفق للتبادل الاجتماعي اليومي"³، ولذا يجب مراعاة استعمال المصطلح في الساحة المتعارف عليها إذ هو من المصطلحات علم اللغة الاجتماعي.⁴

- مصطلح "Diglossie" مصطلح من المصطلحات الأجنبية لذا يجب الوقوف عند مفهومها كما فهمها أصحابها أحببنا أم كرهنا.

- أصول الازدواجية توحى بالاقتران والمشكلة وتوحد العرف والسلالة، كما ذُكرت كثيراً في القرآن العظيم، وإن كان لفظها جديداً على المعاجم العربية، فهو لم يرد بهذا اللفظ في المعاجم القديمة، إلاّ

¹ - محمود إبراهيم كايد، ينظر: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية، مج3، السعودية، ع1، ذو الحجة 1442هـ-مارس 2002م، ص55.

² - ينظر: د.عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص198-199.

³ - د.عبد الرحيم، اللغة وعلوم المجتمع، قرأه واعتنى به: محمود عبد الصبور الجيار، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2012، ص10-11.

⁴ - ينظر: مادة Diglossia: dictionary of linguistics and phonetics: Crystol David 2nded, Basil Blackwell, B.U.K, 1980.

أنّه ثبت تفسير الأصل اللغوي لها، كقول ابن فارس: "الزاي والواو والجيم أصل يدل على المقارنة شيء لشيء"¹، ومن هنا تُطلق على استخدام مستويات لغوية مختلفة ذات الانتماء الجذري الواحد في المجتمع الواحد.

وقد سلك الدكتور نهاد الموسى هذا المفهوم، وقرّر أنّ الازدواجية اللغوية مقابل عربي ل Diglossia في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي ل Bilingualism معللا بتعليقات عقلية ولغوية إذ يقول: "وعلى الرُّغم من هذا نؤثر اتخاذ "الازدواجية" في الدلالة على هذا المفهوم من تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين لغويين في إطار العربية نفسها، وذلك أن الذين اختاروا الازدواجية في إفادة هذا المطلب أكثر، والغلبة من مستلزمات المصطلح، ثم إن الازدواجية مادتها "الزوج" وقد استقرت هذه المادة في العربية بدلالة جلية على الاقتران والمشاكلة، شأن العربية ولهجاتها، أو الفصحى والعامية، وهذه المادة في الطبيعة تشي بتوحد العرق والسلالة... أما الثنائية فإن أسس دلالتها مطلق العدد حتى تطلق على متقابلات الأضداد كالحير والشر والنور والظلام، والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة، وهكذا تكون الازدواجية عندنا-مقابلا عربيا ل Diglossia ، على حين تكون الثنائية -عندنا- هي المقابل العربي ل Bilingualism"².

وفي هذا المنحى يؤكد الدكتور عبد الكريم مجاهد أن اصطلاح الازدواجية أكثر مصداقية من الثنائية محتجا بالدلالة اللغوية ودلالة الاقتضاء حيث يقول: "إن اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية من الثنائية من الناحية اللغوية فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج والتزويج والزواج بمعنى الاقتران، وفي معجم الوسيط "مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات" والاقتران يقتضي إطارا مكانيا وزمانيا موحدا وهذا ينطبق بوضوح على اقتران

1 - أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج3، دار الفكر 1979، مادة (زوج)، ص35.

2 - نهاد الموسى، الازدواجية في العربية، ما كان وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، "ندوة الازدواجية في اللغة العربية"، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1988م، ص84.

الفصحى وهي لغة الكتابة وعاميتها على ساحة الوطن العربي، وهي لغة الخطاب الشفهي في مرحلة معينة من الزمان"¹.

وهذا الرأي يتبناه كثير من الباحثين في الدراسات الحديثة منهم الدكتور عبد الرحمان حسن عارف إذ يقول: "والذي أراه أننا لو قصرنا مفهوم ازدواجية كما سبق على استخدام المجتمع اللغوي لمستويين لغويين متفرعين من لغة واحدة، ومفهوم الثنائية على استخدام لغتين من أصل مختلف، لو فعلنا ذلك لأمكننا تلافي ما قد يحدث من ترادف أو خلط بين هذه المصطلحات"².

كما نجد كذلك الباحثين عبد الحميد بوفاس، وفوزية سعيود يؤكدان أنّ معظم الدارسين العرب اختلفوا مع الغربيين في تبني المصطلح الأجنبي لظاهري ازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، حيث فضل الدارسون العرب مصطلح diglossie مقابل ازدواجية لغوية، ومصطلح bilingualism مقابل ثنائية لغوية³، ومما سبق يمكننا تحديد مفهوم هاتين الظاهرتين اللغويتين بشيء من التفصيل في الفصل الموالي.

¹ - د. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 198.

² - د. عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية في مصر، مرجع سابق، ص 424، وينظر: التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية، ج 2، مرجع سابق، ص 447.

³ - د. عبد الحميد بوفاسي، د. فوزية سعيود، مفاهيم الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية في المؤلفات العربية والأجنبية المعرّبة رؤية تحليلية مقارنة، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد: 2، عدد: 2، السنة 2020، ص 22.

الفصل الثالث :

الشائبة والازدواجية

أولاً: الشائبة اللغوية

ثانياً: الازدواجية اللغوية

ثالثاً: التمايز بين الشائبة والازدواجية

رابعاً: ظاهرة الصراع في الازدواجية

الحديث عن الظاهرة اللغوية التي غرزت محالبها بالأمة العربية "الإشكال المفروض المتمثل في المنافسة بين العامية والفصحى" وهي من القضايا اللغوية التي تستوجب الاهتمام بها اهتماما جديا من الناحية العلمية والعملية إجراءً وتطبيقاً، وخاصة حينما مست الجوانب المهمة من الناحية الاعتقادية، والاجتماعية، والنفسية، والتربوية، وما تولّد عنها من إفرزات سلبية، العاملة على طمس حضارة الأمة، واجتثاث جذورها شيئا فشيئا، ويزداد هذا الإشكال حدة وقوة مع زوال التعايش وظهور التنافس الموجه كتوجيهه باسم التطور من طرف الأصوات المنادية بإدراج العامية في العملية التعليمية والساحة الإعلامية تارة، وباسم النظريات العلمية تارة أخرى.

ولقد ارتأينا أن نستهلّ هذا الفصل بالحديث عن الثنائية اللغوية لما لها من صلة وثيقة بينها وبين الازدواجية التي تكمن في التداخل الاصطلاحي لفظا ومعنى هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما يترتب عنها من إحداث الطّفرات الفكرية واللسانية على مستوى الفردي والجمعي.

أولاً: الثنائية اللغوية Bilingualism

يعتمد هذا المصطلح على ترجمة المصطلح الإنجليزي Bilingualism وقد اختلف مفهوم اللغويين حول هذه الظاهرة اللغوية من حيث الماهية وكنهها، كما أشرنا سابقا حول إشكال مصطلح الازدواجية والتداخل الحادث بينهما، إلا أننا عدلنا فيما بعد عن هذا التباين الذي يحوم حول حقيقة المصطلح إلى المفهوم الغالب لهذه الظاهرة.

و يعود سبب اختلافهم في تحديد ماهية هذا المصطلح إلى اختلاف نظرهم للمعايير التي تُبنى عليها الثنائية، وبسببها تعددت حدودها، كاستعمال هذه الظاهرة من طرف الفرد أو الجماعة، أو النظر إلى طبيعة المكان، أو اعتبار الإتقان والتوظيف، أو الاقتصار على التفاعل والتعايش وطريقة تحصيلها، وقد أشار الدكتور ميشال زكريا إلى هذه المعايير قائلا: " نجد بالعودة إلى المعاجم الألسنية التعاريف التالية لظاهرة الثنائية اللغوية:

- الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى.
- الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية، لغتين مختلفتين.
- نقول إنّ الفرد ثنائي اللغة حين يمتلك عدة لغات تكون كلها مكتسبة كلغات أم.
- كون الفرد قادرا على تكلم لغتين، تعايش لغتين في مجتمع واحد شرط أن تكون أكثرية المتكلمين ثنائية اللغة فعلا.
- استعمال شخص أو مجموعة أشخاص لغتين أو أكثر (لغة ثقافة، ولهجة) في شكلها المحكي بخاصة (والمكتوب ثانيا).
- الحالة اللغوية التي تعنى بها المجتمعات اللغوية والأفراد الذين يسكنون مناطق أو بلدانا تستعمل فيها لغتان على نحو متقن.
- استعمال لغتين على نحو مماثل لاستعمال أبناء كل لغة من اللغتين.
- القدرة في اللغة الأخرى على إنتاج كلام حسن التركيب وذو دلالة.
- التناوب في استعمال لغتين أو أكثر.
- عملية تلاؤم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلمون لغة أخرى¹.

يظهر لنا من هذه الحدود أنّ تلك المعايير كانت سببا في تداخل المصطلحات بينها والظواهر اللغوية الأخرى، كما كانت سببا تفرعاتها وتعدّد أنواعها، حتى شكّلوا منها مصطلحات كثيرة فاقت

¹ - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص35-36.

التّصور العلمي في المجال الاصطلاحي، كما كان لاختلاف تصوّراتهم وإطناهم حول تحديد معاييرها كالكفاءة ، ومراحل اكتسابها، وظروفها، وطريقة تحصيلها، وعلاقتها بالفكر، يدا في الانجراف الاصطلاحي، وسأذكر شيئا منها حتى نقف على حجم إشكال هذه الرّزية للمصطلحات العفوية والارتجالية التي أتعبت وأرهقت كاهل الباحث والقارئ:

- الثنائية الطبيعية natural bilingualism
- الثنائية الأولية primary bilingualism
- الثنائية الاصطناعية artificial bilingualism
- الثنائية الثانوية secondary bilingualism
- الثنائية الفردية individual bilingualism
- الثنائية المجتمعية societal bilingualism
- الثنائية الأفقية horizontal bilingualism
- الثنائية الرأسية vertical bilingualism
- الثنائية القطرية diagonal bilingualism
- الثنائية اللغوية المثالية ideal bilingualism
- الثنائية اللغوية المتوازنة balanced bilingualism
- ثنائية منزلية home bilingualism
- ثنائية تعليمية education bilingualism

- ثنائية مدرسية school bilingualism
- ثنائية إعلامية information bilingualism
- ثنائية رسمية official bilingualism
- الثنائية التكاملية complementary bilingualism
- ثنائية وظيفية fonctional bilingualism
- ثنائية غير تبادلية non-reciprocal bilingualism
- الثنائية تبادلية reciprocal bilingualism
- ثنائية مستقرة stable bilingualism
- ثنائية غير مستقرة bilingualism instable
- الثنائية المتزايدة progressive bilingualism
- الثنائية المتناقصة¹ regressive bilingualism

هذه التفرعات التي تزيد عن عشرين مصطلحًا، وقد ذكر الباحث المغربي أحمد بوكوس سبعة أنواع لها غير التي سردتها آنفاً، ومثله يذكر الدكتور عمر ديدوح أنواعاً ثمانية أخرى في مقال له على الشبكة باسم الازدواجية² ، وكذا الدكتور نصر الدين بن زروق ذكر أنواعاً ستة غير الذي ذكرناها سالفاً¹، وغيرهم كثير ممن أطنب في اختلاق هذه المصطلحات، ناهيك عن المصطلحات التي تحدد مراتبها ودرجاتها.

¹ - ينظر: محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص45.

² - ينظر: مقال للدكتور عمر ديدوح، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزم هوية، تاريخ: 16-11-2009-28/11-1430، http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/04/blog-post_1787.html

ألا يمكن للباحثين إدراجهم تحت مصطلحين أو أربعة على الأكثر، لأنّ مدار هذه الظاهرة اللغوية تعتمد على امتلاك اللغة الثانية من جهة المتكلم فيكون عندنا قسمان، إذ تتراوح بين ثنائية لغوية اجتماعية أو جماعية تنسحب على جميع المتكلمين، وبين ثنائية لغوية فردية أي لا تعني إلاّ متكلمًا واحدًا، لأنّ مدار حدود الثنائية عند جُلّ الباحثين حول الفرد والجماعة، كقول ميشال زكريا بأنّها: "الوضع اللغوي لشخص أو جماعة بشرية معيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميّزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى"².

وإذا نظرنا من ناحية الضّرر والنّفع (الإيجابية والسلبية) تجوّزا لأصبحت عندنا الأقسام أربعة لا أكثر، وإن كنا نفضل أنّ وصف الضّرر والنّفع لا يعتبر في مجال المصطلحات سدا لمضاعفة المصطلحات وانجرافها على الباحث.

بناء على ما سبق يمكننا تقسيم الثنائية إلى أربعة أقسام تجوّزا على النحو الآتي:

1. الثنائية اللغوية الفردية *individual bilingualism*

1.1 مفهومها

نقصد بها قدرة الفرد، أو جماعة وتمكّنها نسبيًا من استعمال نظامين لغويين مختلفين، أي لكلّ نظام قواعده، وأصوله، ومبادئه.

¹ - ينظر: أ.د. نصر الدين بن زروق، الازدواجية اللغوية، وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر، التعدد اللساني و اللغة الجامعة، ج2، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص 384-385.

² - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، مرجع سابق، ص35.

وقد عرفها بلومفيلد Bloomfield بأنها إجادة الفرد التامة للغتين، وعرفها مكنمارا Macnmara بأنها امتلاك الفرد للحد الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة ثانية، أما ألبرت Albert وأوبلر Obler فقد ذهبوا إلى أنّها الاستخدام المثالي للغتين أو أكثر¹.

وذهب نهاد الموسى إلى أنّ الثنائية اللغوية هي المقابل العربي للمصطلح الفرنسي bilingualism ونقصد بها الشيعين المتقابلين، حيث تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر، النور والظلام، الفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد عن اللغات المتباينة².

والثنائية اللغوية هي وجود لغتين من نظامين مختلفين لغويين عند نفس المتكلم-سواء أكان فردا أم جماعة- مثل الفرنسية والعربية في الجزائر، وفي المغرب العربي بالعموم، تعتبر كذلك دولة ثنائية اللغة حيث تستعمل اللغة الفرنسية واللغة العربية³.

الملاحظ من هذه الحدود لهذا النوع من الثنائية أنّهم يتفوقون على أنّ الفرد أو الجماعة لا ينتميان لهذه الظاهرة حتى يكون عارفا للغتين اثنتين مختلفتين، إلا أنّهم اختلفوا في درجة المعرفة وإتقانها، فمنهم من تساهل كالباحث محمد علي الخولي حيث عرفها أكثر شمولية ومرونة قائلا: "الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإتقان، ولأية مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"⁴، فهو لا يعتبر الإتقان والتمكن شرطا لتحقيقها كما اشترط سابقوه، على نحو ما ذهب إليه ميغل MIGL ومكاي MACKY حيث يؤكّدان بأنّ ثنائي

1 - ينظر: إبراهيم كايد محمود ، العربية الفصحى بين ازدواجية لغوية وثنائية لغوية، مرجع سابق، ص76.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص59.

3 - <https://ar.wikipedia.org/wiki>

4 - محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص18.

اللغة هو "الشخص الذي يتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة مع لغته الأصلية، ويستطيع أن يستعمل كلا من اللغتين بالتأثير والمستوى نفسه في كل الظروف"¹.

في الحقيقة أنّ ذلك نوع من الثنائية التي ذكرها مكاي وميجل لا يمكن أن يتحلى به الفرد إلا في حالات خاصة لا تتوفر للجميع كما يشير "ميشال زكريا" إلى حالة من الحالات، وكأنّه يرفض ما ذهب إليه المتشددون من تحقيق الإتقان والتّمكن، إذ لا يمكن "أن يتحقق إلا لدى أفراد الذين ولدوا نتيجة زواج بين شخصين ينتميان إلى مجتمعين مختلفين، والذين يكتسبون بالتالي وبشكل طبيعي لغتين (لغة الأب ولغة الأم) كلغة أم، ويملكون من جراء ذلك كفاية لغوية في اللغتين"².

وأشير إلى أنّ الدراسات الأولى للعلماء لا تؤمن إيمانا مطلقا بوجودية الإتقان في كلا اللغتين وتحقيقه، وإن كانوا يرون بإمكانية اكتساب أكثر من لغة مع إدخال الضيم على إحدى اللغات سيّما لغة الأم، وقد أشار إلى هذه الظاهرة الجاحظ في القرن الثالث، وابن خلدون في القرن الثامن، يقول الجاحظ(ت255): "ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأنّ كلّ واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعرض عليها، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة، وإتّما له قوّة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوّة عليهم"³، فهؤلاء الأعلام ينفون وجودية وإمكانية صفة الإتقان لأكثر من لغة.

¹ - هيجل ومكاي، التعليم وثنائية اللغة، تر: إبراهيم بن محمد القعيد، ومحمد عاطف، عمادة شؤون الجامعات، جامعة الملك سعود، الرياض، 1994، ص1.

² - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، مرجع سابق، ص37.

³ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: محمد عبد السلام هارون، ج1، منشورات مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1965م، ص76-77.

2. الثنائية اللغوية الاجتماعية social bilingualism

1.2. مفهومها

يقصد بها استعمال لغتين كوسيلة اتصال في مجتمع ما بغض النظر عن كثافته، وقد جاء تعريفها في المعجم المفصل في علوم اللغة بأنها: "حالة وجود لغتين مختلفتين عند شعب ما، كتكلم يهود أمريكا العبرية والانجليزية"¹.

ولا ترتبط الثنائية اللغوية الاجتماعية بالثنائية الفردية مطلقاً، إذ يعتبر مجرد الاستعمال لنظامين لغويين مختلفين في المؤسسات، أو في الهياكل التابعة للدولة، أو بعضها علامة كافية لوجود هذه الظاهرة، وهذا ما أشار إليه هيجل ومكاي حيث يقرران أنّ الثنائية الاجتماعية هي: "استعمال لغتين كوسيلة اتصال في المجتمع أو المجموعة أو مؤسسة ما"².

3. الثنائية الإيجابية

هي الثنائية اللغوية التي تهدف منذ البداية إلى "غرض النهوض بمستوى اللغة الوطنية، لكن بالقدر الذي يفيد هذه اللغة ولا يضرها، وبغرض استعمالها للاستفاضة من العلوم والتكنولوجيا والتعايش مع الثقافات لا غير، وتُشترط فيها أن تبقى وتظل اللغة الوطنية وطنية في الدستور وفي الواقع، واللغة الأجنبية أجنبية في اللسان والميدان، حيث يحدّد لها نطاق ضيق لا تتجاوزه بحيث تستفيد من خلاله اللغة الوطنية ولا تعيقها فتقضي عليها"³.

1 - محمد توينجي، وراحي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، مرجع سابق، ص18.

2 - هيجل ومكاي، التعليم وثنائية اللغة، مرجع سابق، ص22.

3 - أحمد نعمان، الازدواجية في البلاد العربية بين الضرورة الحضارية والخطورة المنهجية، المستقبل العربي، العدد130، ديسمبر1989، ص85.

4. الثنائية السلبية

هي الثنائية التي تتجاوز حدها لتتقلب إلى ضدها، فتسيء أكثر مما تبني "ومن نتائجها خلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح، والاهتمامات، والاتجاهات الفكرية، والثقافية، والإيديولوجية، وتخلق بالتالي اتجاهات اجتماعية معارضة للازدواجية من أساسها، ليس كرها في اللغة الأجنبية، وإنما حبا في اللغة الوطنية، وليس رفضا للتفتح وإنما رفضا للذوبان، وليس رفضا لحب البقاء، وإنما رفضا لخطر الفناء"¹، لذلك تُرفض الثنائية أو تُقبل لاعتبارات المستعمل وقصده.

5. عوامل وجود ظاهرة الثنائية اللغوية

هناك عدة عوامل ساهمت في بلورة هذه الظاهرة اللغوية، وعلى رأسها عاملان أحدهما مبني على الإكراه والاستبداد كعامل المستدمر، إذ أثبت الواقع أن الدول المستدمرة تستمر على لغة المستدمر حتى بعد الاستقلال ولاسيما الضعيفة منها، فيتم اختيارها كلغة رسمية مثل اللغة الفرنسية في السنغال، النيجر، مالي،... أو شبه رسمية كما هو الحال في بلاد المغرب العربي منها تونس، الجزائر والمغرب، وقد أشار إلى هذا المنحى أحد الباحثين قائلا: "لم تنشأ مصادفة بل أملاها وجود سلطة أجنبية في بعض الأقطار العربية...تملي إرادتها على المواطنين، وتسعى جاهدة لفرض التبعية اللغوية والثقافية على البلدان العربية تمكينا لهيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية"².

والأعظم من هذا أنّ هناك فئة من العُملاء للمستدمر عملت على نشر لغته بكل تفان وإخلاص، مثلما حدث في بلدان المغرب العربي، وقد أكد غير واحد من الباحثين هذه البلية، يقول أحدهم في هذا الصدد: "قامت الجزائر ما بعد الاستقلال بنشر اللغة الفرنسية في أقل من ثلث قرن بما

¹ - أحسن عمران، الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية، دراسة نظرية ومسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1998/1997، ص75.

² - بسام عمار، وشهادة الخوري، التعريب في الوطن العربي-واقعه ومستقبله-، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، تونس، 1996، ص114.

لم تقم به فرنسا في قرن وثلاث القرن وبتفوق هائل في النوعية¹، وإن كانت هذه الخدمة قُدمت من غير اختيار، ولا طوعية.

أما العامل الآخر فيكون طوعا في غالب الأحيان كنتيجة حتمية للهيمنة الإعلامية والاقتصادية، وهذا ما نلمسه على سبيل المثال حول اللغة الانجليزية التي تستعمل كلغة ثانية لسبعين وثلاث مائة (370) مليون نسمة في أكثر من سبعين (70) بلدا مثل غانا، نيجيريا، الهند وسنغافورة، كما أنها تدرس في باقي البلدان كلغة أولى أو ثانية في مراحل التعليم المختلفة²، حتى صار في البلاد العربية من لا يحسن اللغة الثانية، وبخاصة اللغة الانجليزية غريبا!

كما توجد عوامل أخرى تتوزع ما بين الطوعية والإكراه منها: الوحدة السياسية، الهجرة، التجارة، العلاقات الخارجية اللازمة للدول، التفوق الديموغرافي، وسائل النشر والاتصال، الفاعلية والنفوذ، التوسع والارتقاء، عامل الأسرة، التعليم العالي، التربية والتعليم، وأسباب دينية.

6. آثار الثنائية اللغوية على الفرد والمجتمع

حيث تباينت واختلقت الرؤى في أثارها على مجالي التعليمي والإبداع، والسلوك الفردي والجماعي، مثلما حدث في المظاهر اللغوية الأخرى، فبعضهم يعتقد أنها تسبب مشاكل تعليمية التي يعاني منها كثير من المتعلمين، كالمعاناة من "بطء القراءة والطلاقة وتمثل المعرفة عند ثنائي اللغة مقارنة بها عند أحادي اللغة، ويُعزى ذلك إلى أنّ القدرة اللغوية مبدّدة عند ثنائي اللغة بين اللغتين، مما يُفضي إلى تدني الكفاية اللغوية في كل لغة منها عن المستوى الذي يمكن أن تكون عليه لدى أحادي اللغة"³.

¹ - عميمور محي الدين، الجزائر القبلة العنقودية اللغوية، مجلة العربي، الجزائر عدد 2001، 515، ص 60.

² - ينظر: مجدي شرشر، صراع اللغات في القرن الحادي والعشرين، مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، 2000، ص 101.

³ - د. وليد العناتي، د. عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007، ص 23.

كما تسبب اضطرابات ومشاكل نفسية كما يرى "شارل بوتون"¹ أن بعض الاضطرابات المرضية النفسية تعبّر بطريقة أو بأخرى عن الثنائية اللغوية¹، وبالتالي ستحدّ من القدرات العقلية، وتعيق من العمليات الإبداعية كما قيل: "إذا انتشرت في وسط شعب ما، فإنّها تدمّر ذكاءه وإبداعيته لأجيال طويلة"².

وعلى عكس ذلك نجد آخرون يعتقدون "أنّها ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسايرة التطور العلمي، والثنائية يمكن أن تقود إلى لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما لكن لا تصل في سلبيتها إلى أن تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوع لهجي له آثاره السلبية التي تشمل الفكر والشخصية والأخلاق"³.

قضية الثنائية اللغوية في هذه البلاد ضرورة ثقافية، تعليمية، شريطة أن تكون نابعة من الذات ومن الهوية، ولا تكون مفبركة، وإلاّ فهي ضرب من الاستعمار في شكله الجديد، وقد قال أحد الباحثين المغاربة في هذا الصدد: "الخطر في الثنائية المفبركة في التعليم، مع لغة أجنبية ينظر إليها المتعلم على أنّها لغة التقدّم، والرقي الثقافي والعلمي، فتكون النتائج سلبية على هوية التعلم، وطاقاته التعبيرية، والإدراكية والنفسية، والخطر كذلك في محيط ثنائي اللغة مع امتيازات اجتماعية وتشغيلية واضحة للثنائيين، فتصبح اللغة الأجنبية مرجع الثقافة والرقي العلمي والتقني، والمقياس لكلّ ما هو من مرتبة عالية"⁴.

ويتحقق بلا ريب هذا الخطر إذا كان الفرد أو الجماعة ينتميان إلى المجتمعات الضعيفة، إذ أنّها مولعة بالغالب، فتتسلخ عن هويتها الدّينية وما يترتّب عنها، لأنّ "إتقان لغة أجنبية يولد في الواقع

¹ - ينظر: شارل بوتون، اللسانيات التطبيقية، تر: قاسم المقداد، ومحمد رياض المصري، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق، ص58.

² - محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، مرجع سابق، ص211.

³ - د. وليد العناتي، د. عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، مرجع سابق، ص103.

⁴ - ينظر: صالح بلعيد، اللغة الأم، الواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، مرجع سابق، ص37.

وعلى نطاق واسع، إرادة قويّة في الإدماج والإتحاد مع الشعب الذي يتكلّمها، فالشخص ثنائي اللغة يحاول أن يتبنى السلوك الخاص بأعضاء المجتمع الذي يتكلّم اللغة الثانية بهدف تحسين معرفته بهذه اللغة¹.

كما ثبت في الواقع أنّها تشكّل عائقا حقيقيا لتفعيل اللغة الدستورية الأولى، مثلما يعيشه دؤل المغرب العربي كدولة تونس والوطن الجزائري، حيث صارت هذه الظاهرة اللغوية تنافس اللغة العربية وتعمل على تضيق الخناق عليها، وبالتالي أصبحت عقدة من العقد الصعبة التي تعترض سبيل اللغة العربية حيث يُستعمل مستويان أحدهما: الفصحى، والآخر: اللغة الأجنبية، وهكذا تعيش العربية تنازعا بين مستويين مختلفين في الوظائف والمواقف والقواعد، بل تنازعا حتى في المنزلة كما يشاهد في كثير من الدول المغربية تونس والمغرب والجزائر.

ويؤكد نهاد الموسى أنّ "الثنائية قد أخلت بالاتساق في المجتمع العربي بما أدخلته على بعض الناشئة من هذه الاتجاهات السلبية نحو لغتهم، وما أدخلتهم على بعضهم من الزهو والاستعلاء باللغة الأخرى، كما أفضت إلى تهجين العربية على ألسنة الناطقين بها في المشرق والمغرب"².

ولقد أشار الباحث أحمد بن نعمان إلى شروط مجتمعة لتسوية الثنائية اللغوية في أي مجتمع ما منها³:

- أن يكون للغة الوطنية مكان الصدارة في الإدارة والحياة.

1 - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، مرجع سابق، ص51.

2 - نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث-قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص160.

3 - أحمد نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص236.

- أن يقتصر استعمال اللغة الأجنبية على المجال الدراسي، والبحث العلمي، والتوجيه يكون للغة الوطنية، وتُبعد اللغة الأجنبية عن الاستعمال في الحياة العامة، وفي الإدارة والإعلام.

- أن تغرس المناهج التربوية في نفوس هؤلاء الأفراد حب اللغة الوطنية كمبدأ لا يقبل المساومة والنقاش - سيما اللغة العربية لمنزلتها التي ذكرناها سابقا -.

ونخلص مما تقدّم إلى أنّ الثنائية من القضايا اللغوية المهمة التي أُرقت ساحة الأمة العربية، حيث اهتمّ لها جمع من علماء اللسان، واللغويين، والمثقفين، والسياسيين، وذلك للآثار الحتمية التي تُطبعها على هويّة ومقوّمات الشخصية للأمة العربية، لذا يجب التعامل معها بكل حذر وحيطة، وعلى الأمة أن تميّز بين الاستخدام الذي ينال من الهويّة من الاستعمال الذي لا ينال منها، سيما في زمن المغلوب المولع بالغالب، وإلاّ انفلتت الأمور، واستعصى الداء، وصعب امتثال الشفاء.

ثانيا: الازدواجية Diglossia

1. لغة

ورد تعريف الازدواج في لسان العرب كما يلي: "المزاوجة والازدواج بمعنى، وازدوج الكلام وتزواج: أشبهه بعضه بعضا في السجع، أو الوزن، أو كان لأحد القضيتين تعلق بالأخرى، وزوج الشيء بالشيء، وزوجه إليه قرنه، وفي التنزيل: **الدخان** [54]"¹.

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أنّ "الزاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء، ومن ذلك "الزوج زوج المرأة"

البقرة [35]

¹ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص293.

كما جاء في أحد المعاجم المعاصرة مع ضرب المثل لما نحن بصددده: ازدوج يزدوج ازدواجا فهو مزدوج، ازدوج الشيء صار اثنين، ازدوج لسانه: استعمل اللغة الفصحى واللغة الدارجة، ازدوج القوم تزوج بعضهم من بعض، ازدوج التعبيران (بلاغة) أشبه أحدهما الآخر في السجع أو الوزن¹. وذكر صاحب المعجم المفصل في فقه اللغة أنّ الازدواجية عبارة عن: "تداخل في الاستعمال اللساني في الحياة اليومية، وقد ينسحب هذا التداخل على النصوص العليا، أدبية وغير أدبية، إذ يختلط في التداول والتخاطب والتكاتب الفصيح بالعامي، أي اللغة العليا باللغة الدارجة (العامية)"².

2. اصطلاحا

الازدواجية diglossia عموما تطلق عن حالة يتم فيها استخدام لهجتين أو لغتين من قبل مجتمع لغوي واحد، فبالإضافة على التنوع للغة اليومية أو العامية للمجتمع يتم استخدام مستوى أعلى في سياقات اجتماعية مثل الإنتاج الأدبي والعبادة والتعليم الرسمي ولكنها غير مستخدمة في المحادثة اليومية³، ومدار هذا المعنى مستوحى من الحالة اللغوية اليونانية التي برز فيها صورة التنافس بين شكل شعبي للسان هو الديموطي وآخر نقي ومتكلف هو الكاتاريفوا⁴.

يقال إنّ هذا اللفظ شاع بعد أن استعمله اللساني ميه Millet سنة 1917م⁵، بل هناك من يعتقد أنّ أغلب الدراسات تؤكد أنّ أوّل من وضع مصطلح الازدواجية اللغوية هو الألماني "كارل كرمباخر" c.krubacher سنة 1902 في كتابه المشهور مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة،

1 - أبو العزم عبد الغني، المعجم الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص456.

2 - مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص38.

3 - ينظر: ناصر بن عبد الله غالي، تحويل الشفرة الازدواجية بين العربية الفصحى والعاميات السعودية، وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي: تويتر نموذجا، مرجع سابق، ص15.

4 - ينظر: نادر السراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)، مجلة الاجتهاد، العدد العشرون، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، السنة الخامسة صيف العام 1993م 1414هـ، ص22.

5 - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، مرجع سابق، ص20.

الذي اقترح فيه على اليونانيين ترك ازدواجيتهم الشرقية واللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية، كما دعا العرب إلى ترك فصيح لسأهم، وتبني إحدى اللهجات مفضلاً المصرية لغة قومية¹، ومنذ ذلك الحين بدأ في التبلور حتى تشكلت حدوده العامة على يد العالم الفرنسي وليم مارسيه (W.Mercais) عام 1930م، ويشير نهاد الموسى إلى هذا قائلاً: "ولعلّ وليم مارسيه المستشرق الفرنسي هو أول من شرّع هذا المصطلح الازدواجية"².

وقد عرّف وليم هذا المصطلح Diglossia في مقالة له قائلاً: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"³، هذا التعريف نعتبره حداً جامعاً مانعاً، ومحققاً للحالة اللغوية الأكثر تداولاً بالمغرب العربي، ومظهر وجوده شكلان لغويان: أحدهما مكتوب، وآخر مقول محكي متفرّع عنه، بينهما اختلافات كبيرة في جميع المستويات الصّرفية والتّحوية والصّوتية والدّالية، حيث صارت الفصحى في وقتنا الحالي قسيم للهجات العامية، وبينهما تنافس موجّه.

وفي عام 1959م نقل عالم اللسانيات المجتمعية تشارلز فيرغسون Charles Ferguson مصطلح Diglossia إلى الإنجليزية دلالة على استخدام شكلين متنوعين ومختلفين للسان نفسه، شريطة أن يكون بكل استخدام هذين الشكلين الحيز المناسب لوجود وضع مختلف لكل منهما، إذ يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة، ويستخدم الآخر للأمر الرسمية كالتعليم فيقول: "الازدواجية وضع لغوي قار نسبياً، يوجد فيه إلى جانب اللهجات الأولى للغة (التي قد تتضمن لغة) معيارية أو معايير (إقليمية) تنوع فوقي جد مختلف وبالغ التعقيد (وغالبا ما يكون أكثر تعقيداً من الناحية النحوية)، حامل لنصوص كثيرة ومحترمة من الأدب المكتوب، إمّا من فترة سابقة أو من مجموعة لغوية

1 - الزغلول محمد راجي، ازدواجية اللغة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص 95.

2- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحوّل، مرجع سابق، ص 137.

3 - الزغلول محمد راجي، ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة الثالثة، العدد المزدوج 9، آب كانون الأول، 1980م، ص 120-121.

أخرى، يتعلمه الناس عموماً في التعليم الرسمي ويستعمل لأغراض مكتوبة أو أحاديث ضاربة في الرسمية ولكنه لا يستعمل أمثلة في أي قطاع في المجموعة للحديث العادي"¹.

ولتجسيد ذلك المفهوم ضرب فيرغسون عدة أمثلة ليوضح مقصده من الازدواجية اللغوية فذكر أربع لغات موصوفة بالخصائص المميزة في نظره لتلك الظاهرة الاجتماعية وهي: اللغة العربية، واللغة اليونانية بين الإغريقية العامية (demotiki) والإغريقية الصافية (katharevousa)، واللغة الألمانية المستخدمة في سويسرا أي بين الألمانية والسويسرية الجرمانية، واللغة الهجين المتحدثة في هايتي أي بين اللغة الفرنسية واللغة المحلية لهايتي²، وتوصل فيرغسون أن الأشكال اللغوية عموماً في المجتمعات الأربعة جسدت مستويين:

- المستوى الأول يكون غالباً على شكل لهجة فصحي تسمى بالشكل اللغوي الأعلى، أي الصنف الرفيع (high variety).

- المستوى المقابل يأخذ شكل اللهجة المحكية، أي الصنف الوضيع (low variety)³.

3. خصائص الازدواجية اللغوية عند أصحابها

1.3. خصائص الازدواجية عند فيرغسون

¹ - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، مرجع سابق ص20، ينظر: ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص21.

² - ينظر: د. إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ-1996م، ص18، وينظر: د. عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، مرجع سابق، ص20.

³ - ينظر: د. محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مرجع سابق، ص73.

حاول الباحثون استنباط الخصائص المميزة للازدواجية اللغوية عند فيرغيسون، واختلفوا في تعدادها، فمنهم من جعلها سبعة وتتلخص فيما يأتي:¹

1- تخصيص كل صنف بوظائف مميزة فيستعمل الصنف الرفيع في الطقوس الدينية، الآداب، الخطابات السياسية، الجامعات... إلخ، بينما يخصص الصنف الوضع للأحاديث الحميمة، وإنتاج الأدب الشعبي.

2- أن يكون للصنف الرفيع مكانة مميزة أمام الصنف الوضع، وإن كان الصنف الوضع أكثر استعمالاً.

3- أن يكون الصنف الرفيع أنتج رصيذاً أدبياً معتبراً، معترفاً به.

4- أن يختلف في طريقة الاكتساب، حيث يكتسب الصنف الوضع بطريقة طبيعية (لغة الأم)، بينما الصنف الرفيع يعلّم في المدرسة.

5- أن يكون الصنف الرفيع مميزاً ومقنناً ومضبوطاً، بينما لا يكون الصنف الوضع كذلك.

6- أن ينتمي الصنفان اللغويان لنفس اللغة مع اختلاف في الأنظمة البنيوية على جميع المستويات: المستوى الفونولوجي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

7- أن تثبت الازدواجية اللغوية لعدة قرون.

وهناك من الباحثين من اقتصر على ست سمات رئيسية لهذه الظاهرة وهي على الشكل الآتي:

أ- السمة الأولى تتمثل في التوزيع الوظيفي: فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة إلخ، في حين يستخدم التنوع الوضع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي إلخ.

¹ - ينظر: صونية بكال، الازدواجية اللغوية، مجلة اللغة الأم، مرجع سابق، ص 133-134.

ب- السمة الثانية: تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ت- السمة الثالثة: قوامها أن التنوع الرفيع يُسخر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

ث- السمة الرابعة: تعتمد على ظاهرة الاكتساب، التنوع الوضيع يكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يكتسب إلا في المدرسة.

ج- السمة الخامسة: يرى فيرغسون بأنّ هذه الحالة اللغوية تمتاز بالاستقرار.

ح - يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعداً "خاضع لقواعد ونظام كتابة على خلاف التنوع الوضيع"¹.

ونجد الباحث العربي المشرقي صالح الفلاي يستنبط تسعة خصائص من تعريف فيرغسون (Ferguson) لهذه الظاهرة، وتطرق لها بشيء من الشرح والتفصيل وهي على التوالي: الوظيفة، المنزلة، التراث الأدبي، الاكتساب، المعيارية، الثبات، القواعد النحوية، المفردات، التراكيب الصوتية.² إنّ اختلاف المميزات والسّمات لهذه الظاهرة يعود سببها إلى ترجمة كلّ باحث للنص الأصلي، ولا يخفى علينا اختلاف الأسلوب والعبارات والفهم من مترجم لآخر، وبالتالي حتماً سيكون الاختلاف في عدد المميزات، والسّمات، وعليه لا نجزم جزماً بأنّ هذه المميزات جميعها أرادها عالم اللسانيات المجتمعية تشارلز فيرغسون Ferguson هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لو فرضنا بأنّ هذه المميزات والخصائص قصدها واضعها، التي لا تتجاوز على الأكثر تسع مميزات، فيستحيل توقُّعها في الواقع العربي ولاسيّما الجزائر، وستتضح لنا هذه النقطة أكثر حينما أتطرق إلى عرض بعض الخصائص الرئيسة والمتفق عليها عند جميع المترجمين، الذين ترجموا تعريف الازدواجية عند فيرغسون، وهي كالآتي:

¹ - د. محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، مرجع سابق، ص 73.

² - ينظر: د. إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 22 إلى ص 48.

1.1.3. التخصص الوظيفي

يعتبر من أهم خصائص هذه الظاهرة، ويقصد به فيرغسون هو تقسيم هذا التخصص الوظيفي إلى وضعين لا ثالث لهما: وضع غير رسمي يتمثل في استخدام اللهجة العامية الشعبية المتداولة على لسان البيت والشارع، بينما الوضع الثاني يتمثل في استعمال اللسان المقعد المعيار الذي تستعمله الجهات الرسمية، كالتدريس والإدارات والمؤسسات الحكومية والمناسبات الدينية.

والملاحظ أنّ هذه الخاصية غير متوفرة في الواقع الجزائري، وغيره من الأقطار العربية، فهناك تداخل كبير في الوظيفة، بل نجد الوضع غير الرسمي ينافس حيز الوضع الرسمي، فنجد الدروس الدينية، والمحاضرات الجامعية، والخطب والتصريحات الرسمية في المنابر السياسية بعيدة عن الصيغة العليا، بل نجد أحد الباحثين يؤكد على وجود هذا التنافس حينما يتحدث عن الاستهانة باللغة العربية قائلا: "ومن آثار الاستهانة بالعربية أيضا أن يتفرد العرب من دون شعوب العالم بتساوي عالمهم وجاهلهم، ورئيسهم ومرؤوسهم، في استعمال العامية، على كلّ حال، وفي كل مقام، فيخطب بها الرئيس، ويدرس الأستاذ في أطوار التعليم كلّها، كلّ علم وفن،..."¹.

وكذلك نجد من الأدلة الواقعية التي لا تخفى على أحد، تلك الحوارات الفضائية العربية التي كان يعتادها شريحة متنوّعة ثقافيا وعلميا لا يحترمون الصنف الراقي، ويستعملون الصنف الوضيع بدون إحراج إلا ما ندر منهم، ولم يعد الصنف الوضيع منطوقا فقط بل اقتحم ساحة الكتابة وصار يكتب به الروايات والصحف والإعلان والإشهار، ولاسيما هذا الأخير يحظى باهتمام كبير في مختلف المجتمعات بصورة منطوقة ومكتوبة ومرئية بأسلوب مبتذل عامي، ومما سبق لا يمكننا إسقاط هذه الخاصية على الواقع اللغوي العربي، بحيث يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة، ويستخدم الوضع الآخر في الجهات الرسمية والدوائر الحكومية، بل يوجد تبادل المواقع في الاستعمال.

¹ - مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية: اللغة الهوية، مرجع سابق، ص 154-155.

2.1.3. التراث الأدبي والاحترام

نجد فيرغسون يؤكد أنّ الصنف الرفيع من اللغة يتسم بتراث أدبي كبير لذلك فهو يحظى من طرف جميع أفراد المجتمع بمنزلة يعلوها الاهتمام والاحترام، على عكس اللهجة السفلى التي هي في موضع أقلّ منزلة منها، ولكنّ الواقع في مجتمعاتنا العربيّة بطبقاته جماعات وأفراد، إلا نرأ قليلا يرون أنّ التراث الأدبي للعامة هو الآخر لا يقلّ شأنًا عن سابقه، إذ يمثل أدبا حقيقيا، والمتمثل في الأدب الشعبي وملحقاته من حكايات وألغاز وحكم وأمثال، وزادت قوة هذه النظرة حينما فرض تقنينها و تدرسيها بالجامعات، وأصبحت من التخصصات التي يُولّى لها اهتماما من طرف الدكاترة والباحثين، والذي يظهر لنا أن هذه الخاصية غير ثابتة فهي تتغير بتغير الأجيال وصدق انتمائهم لهويتهم ولغتهم- الصنف العالي-

ومن جهة أخرى نلمس تأكيدات وإجراءات عملية وحسيّة من طرف بعض الجهات التي تكّرس هذا المفهوم تبجيلا للصنف الوضيع واستهجانا للغة، ولا غرو من ذلك إذ نجد أحد الباحثين يرفض أن نسمي الدارجة(الصنف الوضيع) بالعامية فيقول: "وإننا نفضل استعمال كلمة (الدارجة) على (العامية) لما تتضمنه الكلمة الأخيرة من دلالة طبقية وصفات تحقيرية، استهجانية لا تليق بالبحث العلمي المجرد"¹، ونتيجة لتعظيم الصنف الوضيع ظهرت طبقة عرفت بدعاة العامية توالي وتعادي من أجلها.

يظهر لنا ممّا سبق أن هذه الخاصية كسابقتها غير ثابتة في مجتمعنا، وهذه الملحوظة شبيهة بتلك الملاحظة التي نبه إليها أحد الباحثين العرب قائلا: "ولكن هذه الخاصية لا تنطبق على وضع اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا، فاللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا تحظى باحترام أفراد المجتمع

¹ - الطيب البكوش، إشكاليات الفصحى والدارجات، بحث جاء في كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة" ص174.

السويسري أكثر مما تحظى به اللغة الألمانية المتكلمة في ألمانيا من احترام أفراد المجتمع السويسري"¹، وهذا يصدق على الوضعين اللغويين ببلدنا دون ريب.

3.1.3. خاصية الثبات والاستقرار (stability)

من الخصائص التي أكد عليها فيرغسون (1959) أن الازدواجية تمثل وضعاً لغوياً قاراً نسبياً تختص بأنها تستمر لعدة قرون على الأقل، وهناك ما يدل على أنها في بعض الحالات تدوم أكثر من ألف سنة²، وقد شكك كثير من الباحثين في تحقيق هذه الخاصية، نظراً لكون التغيرات الاجتماعية، والتحديث، والتحضر، وسقوط الحواجز الطبقيّة،... إلخ، تجعل هذه الخاصية صعبة الثبوت وعلى سبيل المثال يقرر ماكي Mackey (1989) أنّ الأوضاع الازدواجية ليست قارة بل لها حركيتها، ونجد الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري يميل إلى هذا الرأي قائلاً: "ويبقى أن نشكك كذلك في سمة استقرار الازدواجية، كما يبين عدد من التجارب التي أوردناها"³، فهذه الخاصية كسابقتها لا تخلو من اضطراب الثبوت.

4.1.3. خاصية المفردات (Lescicon)

المقصود من هذه الخاصية أن معظم الكلمات من الشكلين اللغويين مشتركة، بمعنى غالبية كلمات الشكل الأدنى من اللغة موجود بالشكل اللغوي الأعلى⁴، وهذه الخاصية لا يلتفت إليها لعدة أسباب ومن أهمها:

السبب الأول: إنّ فيرغسون بنى دراسته على استقراء ناقص، إذ اقتصر في دراسة الازدواجية بالنسبة للمجتمع العربي على اللهجة المصرية (لهجة القاهرة) فقد ضيق واسعاً، ومن المعلوم أن اللهجة

¹ - إبراهيم صالح الفلاحي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 53.

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 35.

⁴ - إبراهيم صالح الفلاحي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق ص 34-44.

لهجات، وهاته اللهجات تختلف باختلاف ثمان وعشرين دولة عربية (28)، وهنا يتبادر إلينا سؤالاً ما الدرجة المعيارية المطلوبة لتعيين اللهجة النموذجية لدراسة هذه الظاهرة، واللهجة وعاء للمفردات.

السبب الثاني: من المتعارف عليه في الساحة اللسانية عند دراسة ظاهرة لغوية عادة ما تعتمد على فترة زمنية محددة، ووصف تلك الظاهرة من طرف فيرغسون كان في الخمسينيات، وعلى سبيل المثال: في فترة الخمسينيات كان المعجم اللغوي الأدنى لدى الشعب الجزائري قريباً من المعجم اللغوي الأعلى نسبياً، ولاسيما في بعض الجهات التي لم تتأثر بلغة المستعمر، أما في بداية الثلث الأول من القرن الواحد والعشرين نجد تحولاً لغوياً كبيراً بالنسبة للشكل اللغوي الأدنى إذ صار تطفو عليه سمّة الأعجمية على غالب ألفاظه.

وهذا التحوّل اللغوي للأسوأ أشار إليه صالح بلعيد حيث يقول عن الوضع المزري قائلاً: " وما الجزائر إلا صورة مصغرة من هذا الوضع السيئ، فقد داهمتنا الفضائيات بهجين لغوي كبير، ولم تسلم ألسنة الجزائريين من التعدد اللغوي في توظيف الكلمات التي تجمع بينها أحيانا نعمة الأداء فقط وهي تنتمي إلى ألسن الهويات المتعددة، ويحضرني - في هذا المقام - تدخل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة غاضباً من لغة التواصل بين الجزائريين، وقال يومها: لم أتبين ما اللغة التي يتحدث بها الجزائريون، فلا هي عربية ولا هي فرنسية ولا هي أمازيغية... فهو خليط منبوذ، وكلام هجين لا نكاد نفهمه، ومثّل لذلك بكلمة (مايكزيتيش) وهي كلمة خاصة لا يفهمها إلا جزائري القرن الواحد والعشرين وهكذا نجد أنفسنا نتحدث بلغة هجينة غريبة الأطوار"¹.

¹ - د. صالح بلعيد، التهجين اللغوي: المخاطر والحلول من كتاب اللغة العربية بين التهجين والتهذيب، المجلس الأعلى للغة العربية، 2010، ص 17-18.

بل هناك من الباحثين من يذهب إلى نتيجة أبعد ويصف الشكل اللغوي الأدني بأنه بعيد عن العربية الفصحى، بل وتختلف عن العامية العربية الجزائرية¹.

ولذلك لا يمكننا إثبات وجود غالبية كلمات الشكل الأدني بالشكل اللغوي الأعلى في هذا العصر، وفي هذا الموطن، إذ الازدواجية من سماتها أن يكون أحد المستويين يكون الأصل والثاني متفرع عنه، وليس الأمر كذلك، وعليه تسقط خاصية المفردات.

من خلال ما بيّناه من اضطراب هذه المميزات وعدم تحققها في كثير من المجتمعات اللغوية التي تتصف بظاهرة الازدواجية، مما أضفى على تعريفه بعض التعقيد وعدم الوضوح، ومما زاد الأمر تعقيدا واضطرابا حينما توسّع كثير من الباحثين الأجانب حول الازدواجية كاعتقاد كاي (kay) حينما اعتبر أنّ الفرق بين الكلام المعدّ مسبقا والآخر الفوري شكلا من أشكال الازدواجية²، واعتقاد فاسولد أنّ أيّ تحوّل لغوي سواء كان هذا تحوّل من لغة إلى أخرى، أو من لهجة إلى أخرى، أو حتى من أسلوب إلى أسلوب آخر يدخل في إطار الازدواجية، ومن جهة أخرى أن هناك تعريفات نُسبت لفيرغسون يوجد في مجموعها اضطراب لا يمكن الجمع بينها، ومن هذه التعاريف:

التعريف الأول: التعريف الأكثر رواجاً بين الباحثين³.

التعريف الثاني: الذي قال به مورا "وازدواجية اللغة طبقا لتعريف فيرغسون هي ذلك الوضع الذي يكون فيه شكلان أو أكثر من أشكال اللغة، يستخدمها نفس المتحدثين تحت ظروف مختلفة⁴.

1 - ينظر: د. سيدي محمد خيثيري، مقال: التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية "الهجين أمودجا"، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب، مرجع سابق، ص 149.

2 - ينظر: إبراهيم الكايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص 58.

3 - ينظر: د. عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، مرجع سابق، ص 20، وينظر: إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 21.

4 - ينظر: إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 80.

ويظهر الاضطراب في هذا التعريف بحيث لا نجد أي إشارة صريحة، أو ضمنية لأكثر من شكلين من أشكال اللغة بالنسبة إلى التعريف المشهور.

التعريف الثالث: الذي قال به بنالوسا وذلك عندما كتب عن حدّ ازدواجية اللغة وقد نسبه إلى فيرغسون قائلا أنّها: "تلك الأوضاع التي تضم إما شكلين من أشكال اللغة أو لغتين مختلفتين، وتستخدم هذه الأشكال بشكل مكثف في المجتمع"¹.

يتحلى الاضطراب في هذا التعريف لإثباته الشائبة-لغتين مختلفتين- بخلاف التعريف المتداول بين الباحثين.

التعريف الرابع: الذي أشار إليه أحد الباحثين قائلا: "يعد اللغوي شارل فيرغسون أول من استعمل مصطلح Diglossia ويقصد بها كل مجتمع يستعمل لغتين في المعاملات الداخلية اليومية، ولا يستطيع الاستغناء عن إحدى اللغتين ولو كفترة انتقالية"²، وهذا التعريف يُثبت مفهوماً ومنطوقاً أنّ اللغتين يقصد بهما العامية والفرنسية، أو الفرنسية والفصحى، وقد يفهم منه العامية والفصحى، وعلى هذا ثبت الاضطراب وبطل به الاستدلال.

ومن جهة أخرى يرى فيرغسون أنّ الازدواج اللغوي لا يتحقق عنده، ولا ينشأ في مجتمع بعينه إلا بتوافر ثلاثة شروط:³

الأول: توافر مادة أدبية كبيرة بلغة ذات صلة وثيقة باللغة الأصلية (الفصحى) للمجتمع، أو بمماثلة لها، تمثل جزءاً مهماً من قيم المجتمع الأساسية.

الثاني: اقتصار الكتابة على نخبة قليلة في المجتمع.

¹ - إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 80.

² - أ. سيدي محمد بالقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، 2017، ص 139.

³ - إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والشائبة اللغوية، مرجع سابق، ص 68.

الثالث: مرور فترة زمنية طويلة تقدر بقرون عديدة على توافر الشرطين السابقين.

الملحوظ أنّ هذه الشروط في مجملها لا تتوفّر في كثير من مجتمعات اليوم مع وجود هذه الظاهرة فيها، وإن كانت تتفاوت بينها في شدّتها وحدّتها، وتعايشها وصراعها، لأنّ الشرط الثاني لا وجود له في عصر التمدّن والعولمة، وذلك لانتشار الكتابة، ومحو الأميّة .

من جهة أخرى نجد فيرغسون اقتصر في تعريفه على نمطين، والمجتمعات العربية في عصرنا هذا يزعمون أنّها تتميّز بثلاثة أنماط على الأقل، اللغة الفصحى، اللغة الوسطى، العامية، وقد أشارت إلى هذه الثغرة الباحثة الصينية يون أون يونغ قائلة: "وهكذا كان فيرغسون قد قسم مستويات اللغة العربية المتعددة إلى نمطين فقط وهما النمط العالي أو أسلوب الفصحى، والآخر المنخفض الأسلوب العامي...ولكن إذا ما نظرنا في الحالة اللغوية الواقعية في المجتمع العربي فنكتشف نمطا آخر يتواجد بين النمطين وهو ما يسمى " اللغة الوسطى " والتي تختلف عن اللغة الفصحى وتختلف أيضا عن اللغة العامية أي هي امتزاج بين الفصحى والعامية"¹.

زيادة على هذه النظرة أنّ جلّ الباحثين عاجلوا هذه الظاهرة وقاموا بتحليلها اعتمادا على لمسات قديمة لا تمت بالواقع شيئا الذي نعيشه في أواخر القرن الواحد والعشرين، وذلك لا ينفع والحالة التي نعيشها، وقد أشارت إلى هذه الفكرة الباحثة كيلر بأنّ تحليل ومعالجة ظاهرة الازدواجية أو أيّ ظاهرة في إطارها التقليدي يكون تحليلا معوقا لا يؤتي أكله².

¹ - أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- من وجهان علم اللغة الاجتماعي- د.يون أون يونغ، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بغداد، العراق، العدد201، سنة1433هـ-2012، ص94.

² - Tabouret Keller, le bilinguisme à l'age scolaire, PUF, Paris 1969, p129.

وهناك من عرفها خلافا للواقع العربي كقول ماروز Marouzeau بأنها: "حالة الفرد والجماعة في استعمال لغتين دون تفضيل لأحدهما على الأخرى"¹، نفهم من الطرح السابق أنّ الازدواجية تعريفها نسبيا وليس مطلقا كما اعتبرها وليام فرنسيس مكاي (William Francis MCKEY)².

لذا عدلت عن حد فيرغسون لهذه الظاهرة، وكثيرا من التعريفات التي نحت منحى تعريفه، إلى حد وليام مارساي (w.Marçais)، لأنّ حدود الظاهرة التي ذكرها مبنية على التعايش والثبات، وهذا ما لا يتوفّر والحالة اللغوية التي نعيشها، ومن النماذج التعريفية التي سلكت مسلكه :

- تعريف علي الخولي: "تعني الازدواجية نمطين من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعين، يتمثل النمط الأوّل في اللغة النموذجية الرسمية (formal)، والثاني ما جرى العرف على تسميته على ضرب التعميم اللغة المحكية غير الرسمية (informal) وليس نقصد بالضرورة الرسمية هنا الحكومي، بل يدل مصطلح الرسمي على استخدام الرفيع للغة، ومصطلح غير الرسمي يدل على الاستخدام الشخصي أو الشعبي أو الودّي للغة"³.

- تعريف جان كالفي قائلا عنها: "أثما العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد، أحدهما راق، والآخر وضيع كالعربية الفصحى والعاميات"⁴.

فالحالة اللغوية التي ذكرها البحثان سابقا لا تنطبق والحالة اللغوية التي نعيشها المتصفة بالتنافس، وعدم وجود العلاقة الثابتة بين الوضعين.

¹ - Marouzeau in Renzo Titone, le bilinguisme précoce, Charles Dessart, Bruxelles 1974, p 12.

² - ينظر: أدلية فرحي، الازدواجية اللغوية: إرهاصات ومفاهيم، مجلة المخبر - أبحاث في اللغة والأدب الجزائري -، بسكرة، الجزائر، ع5، مارس 2009، ص 284.

³ - محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص 29.

⁴ لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، مرجع سابق، ص 78.

2.3. خصائص الازدواجية عند وليم مارسي

بناء على المفاهيم والتخریجات السابقة يظهر لنا أنّ التعريف الأنسب لهذه الظاهرة العربية هو ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي وليم مارسي (w.Marçais) أنّ الازدواجية التي تعيشها الأمة العربية " هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث"¹، وقد اعتمدها في بحثنا، إذ نراه منطبقاً على الحالة اللغوية التي نعيشها القذة بالقذة.

وقد وقفنا على قول للدكتور أحمد إبراهيم السامرائي يبيّن الأسس المستنبطة من هذا الحد قائلاً: "ونلاحظ من هذا التعريف أنّ الازدواجية متحققة بوجود مجموعة من الأسس وهي:

أ. المنافسة بين مستويين لغويين.

ب. التفاوت بين المستويين من ناحية الفصاحة.

ت. التفاوت بين المستويين من ناحية الاستعمال"².

إلاّ أنّه في نظرنا كما أشرنا في بداية حديثنا عن الازدواجية، نوّكد أنّ هذا التعريف يشكّل حداً جامعاً مانعاً، لذا متى تحققت هذه المعالم الواضحة حكمنا بوجود هذه الظاهرة في أيّ مجتمع من المجتمعات، وهذه المعالم تتمثّل في توفّر خصائص ثلاثة:

1.2.3 خاصية التنافس

تعتبر هذه الخاصية من أهم الشروط لتحقيق هذه الظاهرة، وهو صراع بين شكلين لغويين إحداهما رفيع (خاضع لصرامة قواعد صوتية، وصرافية، ونحوية، ودلالية، وتداولية...)، وأخرى أدنى

¹ - زغلول محمد راجي، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص18، ينظر: د.عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص196.

² - أحمد هاشم السامرائي، الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى واللهجات الحديثة جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، سلطنة عمان، ص3.

متمثلة في اللهجات العامية (غير خاضعة لأيّ قواعد) والدعوة إليها والسعي في تكريسها، وقد وصفها الأستاذ محمود محمد شاكر بقوله: "تلك القضية من أعقد القضايا التي ابتلي بها العالم العربي خاصة، والعالم الاسلامي عامة، ولا تزال حيّة إلى اليوم، بل بلغت عنفوانها في هذه السنين الأخيرة، وليس لها شبيه في العالم كله"¹.

وأخرج لنا قيد التنافس وصف التعايش، فلا يجتمعان النقيضان ولا يرتفعان، ولا بد لتحقيق هذه الخاصية من وجود مظاهر، كمظهر الاستعاضة عن تدريس اللغة العربية باللهجات العربية مثل: الشامية، والمصرية، والمغربية، والعراقية في بعض الجامعات الأمريكية².

ولذلك "متى حدث مثل هذا التصادم بين الشكلين اللغويين الرفيع والأدنى نجد أن هناك أفراداً في المجتمع يساندون الشكل اللغوي الأعلى ويطالبون بالاستغناء عن الشكل اللغوي الأدنى، ومجموعة أخرى من الأفراد تنادي بعكس هذا الاتجاه وتطالب باستخدام الشكل الأدنى، أما البقية الباقية فإنها تطالب بظهور مزيج من الشكلين"³، وهذه الخاصية لأهميتها تطرق إليها كثير من باحثي العرب والعجم، وستكلم عن هذه الخاصية في المبحث الموالي لأنّ العامية صارت منافساً قوياً للعربية الفصيحة، بل صار لها أنصار وموالون ودعوا إلى تأصيلها، وتقعيدها، واعتمادها في المؤسسات التعليمية، وهذه الصورة لا شك أنّها تمثّل - خاصية التنافس - التي نجدتها منطبقة على الوضع اللغوي في بلدنا اليوم.

¹ - محمد بلاسي، نحو النهوض باللغة العربية، مجلة الداعي، العدد 08، 2010، ص 34.

² - ينظر: أ.زيد المال نصيرة، وسائل النهوض اللغة العربية في ظل تحديات العولمة، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، مرجع سابق، ص 174.

³ - إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 62.

2.2.3. وجود شكلين للغة المكتوب والمنطوق

هذه الخاصية تتفق مع وضعنا اللغوي كذلك، إذ يوجد شكل مكتوب فصيح يحظى باهتمام وتقدير، يقابله شكل لغوي عامي شفاهي تداولي يحظى هو الآخر باهتمام.

3.2.3. خاصية الوظيفة

وهي التي تحدث عنها وليم مارسي جلية ظاهرة لا يعترها غموض ولا تداخل بقوله "لغة عامية شائعة للحديث"، إذ قيد هذا المستوى اللغوي بشيوعه للحديث، واحترز بذلك عن عاميات أخرى تستعمل إلا أنّها غير شائعة في المحادثة اليومية، ولم يقيد المستوى اللغوي الأدبي المكتوب بالوظيفة وذلك يعود في نظرنا لأحد أمرين، إما أن تكون وظيفة معلومة من العرف بالضرورة، وإما لوجود احتمالية استعماله في ساحته ومواطنه، وكلاهما معروف عرفاً، وبهذه المميزات الثلاثة يمكننا الحكم عند وجودها في أي مجتمع لغوي أن الازدواجية اللغوية كائنة موجودة.

وقد استأنسنا لهذا المنحى حينما وجدنا تعريفاً لأندرية مارتينه (Martinet André) يدعم ما ذهب إليه وليم مارسه ولو ضمناً، حيث يقول عن الازدواجية إنّها: "موقف لغوي اجتماعي، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلاً لغوياً مكتسباً ومستخدماً في الحياة اليومية، وتكون الثانية لساناً يفرض استخدامه في بعض الظروف المسكون بزمام السلطة"¹، فصرح بالخاصية الرئيسية المتمثلة في ظاهرة التنافس، أمّا الخاصيتان المتبقيتان فنقف عليها استنباطاً، وبالتالي فالوضع اللغوي العربي الذي نعيشه لا يخرج إجمالاً عن هذا النطاق بتلك المميزات التي ذكرها كل من وليم مارسي، وأندرية مارتينه.

¹ - أندرية مارتينه، "الشائبة الألسنية والازدواجية الألسنية دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع"، تر: نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، العدد 11، 1990، ص 24.

4. أسباب ظهور الازدواجية اللغوية وتكريسها

ظهر لنا من خلال البحث والتنقيب فيما استطعنا الحصول عليه من مراجع ومصادر، توصلنا إلى أنّ هذه الظاهرة أسباب ودوافع عملت على ظهورها وبروزها، واستشرائها في ساحات شتى، حتى في الأماكن التي ما كان لها أن تدخلها كالمحيط المدرسي، والساحات البحثية مظن الأدب والثقافة، وهذه الأسباب والدوافع تعود في مجملها إلى عوامل تاريخية واجتماعية ولغوية، والجدير بالإشارة أنّ هذه العوامل قد تشترك في كثير من الجوانب مع العوامل التي كانت سببا في تكريس العاميات ومحاولة تقنينها في بعض المواطن من البقاع العربية، وإن كان بعضها أظهر من بعض في إحدى الظاهرتين، وسأقتصر على بعض منها، وهي على النحو الآتي:

1.4. الابتعاد عن المنبع الأول للغة

يقول أحد الباحثين: "إنّ غياب المنطوق الفصيح الذي كان متداولاً أثناء عصور الاحتجاج في التعاملات اليومية، هو السبب الرئيس في عدم انتشار الفصحى، وضعف التحكم فيها من قبل المتعلمين، لأنّها ابتعدت عن اهتمامات الناس اليومية منذ قرون¹، ونتج عن ذلك احتكار العاميات العربية للتعبير عن أمور الحياة اليومية غالبا، وانفراد الفصحى المكتوبة هي الأخرى غالبا بالتعبير عن المجالات الدينية، والأدبية، والفكرية، والثقافية.

2.4. وسائل الإعلام

تعرف وسائل الإعلام اليوم سواء الخاصة أو العامة منها بالتساهل اللغوي والاستعمال العامي في شتى البرامج التي تبثها، ولا شك أن لوسائل الإعلام دورا كبيرا في تكريس هذه الظاهرة التي يسعى إليها المستدمر، وأنفق عليها ما أنفق من الموارد البشرية والمالية "إذ تعد الازدواجية اللغوية من أهم

1 - أ.د. طاهر ميلة، لازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص182.

المخاطر التي تهدد اللغة العربية، وبخاصة بعد تفشيها في الوسائط الإعلامية، ولا يخفى على أحد ما للإعلام من تأثير على العقول وقدرته على توجيه الأراء...¹.

3.4. الاستدمار

لقد سعى الاستدمار الفرنسي ما يزيد عن قرن وثلاثين سنة إلى طمس اللغة ومعالها بشتى الطرق والوسائل، حيث "ظهرت منه حملات مسعورة تتحدث من ناحية على جمود الفصحى وصعوبتها وبدائها وتخلفها عن حاجة العصر، وتدعو من جهة أخرى إلى العامية وتضفي عليها مزايا من الفصاحة والسهولة والمرونة، والقدرة على التعبير عن متطلبات الحياة، وهذا كله مرده أن الاستعمار كان يبغي إحلال لغته محل العربية، فإن تعذر هذا فإنّ اللهجات العامية هي السلاح الذي يقضي به على لغتنا"²، وهذا العامل ساهم بنسبة كبيرة في توسيع الشرخ ما بين الفصحى والعاميات.

4.4. وضع الأسرة العربية الحديثة

"إننا إذا أمعنا النظر في وضع الأسرة في الوطن العربي بصفة عامة، وجدنا أنّ الأسرة العربية في العصر الحديث تختلف عن الأسرة في المجتمع العربي القديم من حيث الاهتمام بلغة الأبناء، وذلك ناتج عن تلك المتغيرات الاجتماعية التي ابتليت بها أسرنا الحاضرة، ومن هنا اتسعت فجوة الازدواج بين الفصحى والعامية"³.

¹ - حدة روباش، انعكاسات الازدواجية اللغوية في القنوات الفضائية على اللغة العربية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج1، ص375.

² - حاتم صالح الضامن، نحو لغة عربية سليمة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات جمهورية العراقية، 1981، ص13.

³ - ينظر: د. صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجاً)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع-الجزائر، 2009 دط، ص51-52.

ثالثا: التمايز بين الازدواجية والثنائية

ومن إشكالية هذا المصطلح وجود منافسة استعمال بينه وبين مصطلح الثنائية، أي يتبادلان الموقع والمدلول عند الباحثين بنسب متقاربة نظرا للجهة المستعملة من الباحثين¹، كباحثي المشرق والمغرب "ونجد من يستخدم مصطلح Diglossia ويقصد به الثنائية اللغوية، ويستخدم Bilingualism ويريد به الازدواجية، ومن يعمل عكس ذلك، فيستخدم Diglossia ويقصد به الازدواجية، و Bilingualism ويريد به الثنائية، ظهر هذا واضحا في الكتابات التي تناولت هذه الظواهر اللغوية، إذ نجد أن علمائنا في المشرق العربي يستخدمون Diglossia للدلالة على الازدواجية اللغوية و Bilingualism للدلالة على الثنائية اللغوية، وشاع لدى علمائنا في المغرب العربي عكس ذلك، فهم يعنون ب Diglossia الثنائية اللغوية و Bilingualism الازدواجية اللغوية"².

إنّ الباحثين اللسانيين من المغاربة ترجموا المصطلح متأثرين بالمدلول الفرنسي وباحثيهم، نظرا لجهة الاستعمار وتمكّنهم من لغته، والمشاركة بحكم تمكّنهم من اللغة الإنجليزية وتأثرهم بها ترجموا المصطلح وأصبغوه المدلول الانجليزي، ونجد أحد الباحثين يعطي مثلا على هذه الرؤية المتباينة حول مصطلح Bilinguisme "فعند المغاربة يطلق على استخدام فرد أو جماعة لمستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة في الاستعمال اللغوي، أما عند المشاركة يطلق على استعمال لغتين مختلفتين في آن واحد عند فرد أو جماعة أي بين اللغة الهدف ولغة أجنبية"³.

¹ - ينظر: جعفر دك الباب، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1989 ص20، وعمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف، البلدة، 2001، ص80.

² - إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية الغوية والثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص59.

³ - صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، دار هومة، الجزائر، 2009، ص40-41.

ولكن هذا الاستعمال بالنسبة للجهة غير مطرد فنجد بعض المشاركة يسلكون مسلك المغاربة، ونجد بعض المغاربة يسلكون مسلك المشاركة في مدلولات هذه المصطلحات وغيرها، ويعود سبب هذا الاضطراب إلى ثلاثة عوامل رئيسة في نظرنا:

- الأمر الأول يعود إلى اختلاف الألسنيين أنفسهم في تحديد الاصطلاحات وماهية الظواهر اللغوية، وقد أشار أندريه مارتينييه إلى عدم وضوح هذه الظواهر اللغوية عند أصحابها فقال: "إن المعيار الدولي في شأن التوسع المفرداتي انطلاقاً من الألسن الكلاسيكية للغرب قلما كان بينا، وهو غالباً اليوم مساء الاستعمال من قبل الألسنيين أنفسهم"¹.

ويؤكد إبراهيم الكايد على هذا العامل قائلاً: "وإذا حاولنا أن نحدد كل مصطلح من هذين المصطلحين وكيفية ظهوره، وجدنا اختلافاً في تحديد كل منهما لدى علماء الغرب ترتب عليه خلط واضطراب لدى علمائنا"².

- الأمر الثاني يكمن خصوصاً في صيغة المفردتين وبنائهما، والتي تمثلت في سابقتي ولاحقتي المصطلحين الأجنيين اللذين عليهما مدار الحديث وهما مصطلح (Diglossia) و (Bilingualism) فكليهما يحملان مدلولاً واحداً بالنظر للاحقة والسابقة والجذر الذي بينهما، يقول الباحث محمود إبراهيم الكايد مفصلاً لبنية هذين المصطلحين: "وعند ترجمة هذين المصطلحين نجد أنهما يحملان نفس المعنى، فمصطلح Diglossia يتكون من سابقة يونانية Di معناها مثنى أو ثنائي أو مضاعف، و gloss معناها لغة، ولاحقة ia للحالة فحاصل الترجمة: صفة أو حالة لغة مثناة أو مضاعفة (الشائبة اللغوية) والمصطلح Bilingualism يتكون من سابقة لاتينية Bi معناها مثنى أو مضاعف، و lingual لغوي، ولاحقة ism الدالة على السلوك المتميز أو الحالة أو الصفة، فحاصل الترجمة سلوك لغوي مثنى أو مضاعف (الشائبة اللغوية)"³.

¹ - ينظر: أندريه مارتينييه، «الشائبة الألسنية والازدواجية الألسنية» دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع، ت نادر السراج، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي بيروت، العدد 11، 1990م، ص32.

² - إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والشائبة اللغوية، مرجع سابق، ص55.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص55، وينظر: إبراهيم صالح فلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص80.

فظاهر المصطلحين يميلان مدلولاً واحداً، لذا كان هذا العامل من الأسباب الرئيسة لظهور الاضطراب لدى الباحثين العرب.

الأمر الثالث هناك من يعتمد على عنصري الفرد والمجتمع ويتخذهما مرجعاً في تفريقه بين المصطلحين، كالباحث إبراهيم كايد حيث يذهب إلى أنّ "الثنائية اللغوية صفة متميزة للتصرف اللغوي على مستوى الفرد، أمّا الازدواجية اللغوية فهي خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع، والثنائية اللغوية هي سمة الاستخدام اللغوي من قبل الأفراد، بينما الازدواجية اللغوية هي صفة لتخصيص المجتمع لوظائف معينة للغات واللهجات المختلفة"¹.

ومن المستحسن أن أذكر أمثلة نلمس فيها هذا الاضطراب حينما ينقلون هذه المصطلحات كمصطلح "Bilinguisme" ومصطلح "Diglossie" في مؤلفاتهم وتحريراتهم، فنجد على سبيل المثال:

- الباحث د. جيلالي بن يشو يقول: "يقابل مصطلح الازدواجية في اللغة الفرنسية "Bilinguisme" "²، وفي الصفحة التي تلي هذا الكلام نجده يقول: "ويقصد بثنائية اللغة le bilingualisme وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما في آن واحد"³، نلاحظ أنه ترجم مصطلح "Bilinguisme" مرة بالازدواجية ومرة بثنائية اللغة.

- نجد باحثاً آخر من نفس البلد يترجم الازدواجية اللغوية بمصطلح "Bilinguisme" والتي تستلزم استعمال لغتين مختلفتين⁴، وحينما شرع في شرح "الثنائية اللغوية" استعمل لها

¹ - إبراهيم الكايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، مرجع سابق، ص 57.

² - د. جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاساته، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج 2، مرجع سابق، ص 52.

³ - المرجع نفسه، ص 53.

⁴ - ينظر: د. أحمد بناني، الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مرجع سابق، ص 101.

مصطلح "Diglossie" وقال: "إن مفهوم الثنائية اللغوية يشير إلى أنها ظاهرة لغوية تعني استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معينة للغتين مختلفتين في آن واحد"¹، فمدار التعريف الذي اعتمد عليه للثنائية اللغوية يدور حول استعمال لغتين مختلفتين، فالباحث يعتمد مفهوما واحدا لمصطلحين مختلفين "Diglossie" و "Bilinguisme" وقد أدرك هذا التشابه فعلق قائلا: "وهذا دليل على تقارب مفهوم الثنائية مع مفهوم الازدواجية حيث تشير الازدواجية فيما تناولناه سابقا إلى تجاور مستويين مختلفين في مجتمع معين"².

- تذهب إحدى الباحثات في هذا المنحى قائلة: "فحدّدوا مفهوم الثنائية (Diglossie) وهو يشمل اللغة الأصل والعامية، أما الازدواجية (bilinguisme) فهي وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد وهو ما سنأخذ به ، ويعود سبب اختيار هذا التعريف لأنه الأكثر استعمالا في أغلب الدراسات والكتب"³.

- ونجد الباحث الدكتور إميل بديع يعقوب مفضلا مصطلح الثنائية اللغوية على غيره قائلا: "يقصد بالازدواجية اللغة "Bilinguisme" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد... فالازدواجية اللغوية الحقة لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كما هو الحال بين الفرنسية والعربية، أو بين الألمانية والتركية أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية والأخرى عربية فصيحة ، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من الثنائية اللغوية "Diglossie"⁴.

1 - د. أحمد بناني، الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مرجع سابق، ص 105.

2 - المرجع نفسه، ص 105.

3 - حامة صندرة، هياشي ليندة، أثر الازدواجية اللغوية على تحصيل اللغة العربية لتلاميذ السنة الأولى ابتدائي-أمودجا-، مذكرة تخرج شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر، إشراف: أ. سيواني عبد الملك، 2016-2017، ص 15.

4 - إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مرجع سابق، ص 145-146.

- ويرى (جون ليونز) الازدواج اللغوي يعد في نظر اللسانيين المحدثين نوعا من الثنائية اللغوية بمفهومها الواسع¹.

- وجاء في المعجم المفصل في الألسنيات مبيّنا أنّ "ازدواجية اللغة هي حالة وجود لغتين مختلفتين عند شعب ما، كتكلم يهود أمريكا اللغتين العبرية والانجليزية، ومنهم من يستخدم هذا المصطلح عانيا به ثنائية اللغة "diglossia"².

وهناك من اقترح مفهوما أعم حيث يذهب إلى شمولية مصطلح الازدواجية اللغوية كل الوضعيات التي يتعايش فيها مستويان أو لغتان في المجتمع الواحد، دون الحاجة إلى هذا التصنيف بين الثنائية والازدواجية³.

وهذه بعض العيّنات تؤكّد وتقرّب لنا صورة الاضطراب ، حيث توسّعت دائرته وانعكس ذلك على مفهوم الطلبة والباحثين، فأصابتهم الحيرة على أيّ مصطلح يعتمد، كما نجد هذا الأثر واضحا في مذكرات التخرّج وأطروحاتهم، و ممّا زاد الأمر تعقيدا وإشكالا أنّ هذا الاضطراب والتداخل كان على مستوى اللفظ وعلى مستوى المعنى، يقول أحدهم: "ولقد حدث اختلاف كبير بين العلماء حول تحديد مفهوم دقيق لكل من الظاهرتين وأدّى هذا إلى لبس عسير عند كثير من الدّارسين لهذا نجد بعض الباحثين قد فرّقوا بين مفهومين، فحدّدوا مفهوم الثنائية "Diglossie" وهو يشمل اللغة الأصل والعاميّة، أما الازدواجية "Bilinguisme" فهي وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو

¹ - جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، تر: د. مصطفى التوني، ص141.

² - محمد التوينجي، راجي الأسم، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، المجلد الأول، ص18.

³ - ينظر: أندري مارتني، مبادئ في اللسانيات، تر: سعدي لالزبير، مرجع سابق، ص130.

جماعة ما وهو ما سآخذ به، ويعود سبب اختياري له لآته الأآثر استعمالا في أغلب الدرّاسات والكتب"¹.

وهكذا يتبادل المصطلحان- "الازدواجية" و"الثنائية"- المواقع بوضع أحدهما موضع الآخر من قبل الباحثين، فتارة يجتمعان، وتارة يفترقان، فالمصطلحان لم يستقرا على مفهوم واحد لهذه اللحظة من التدوين.

حديثنا عن التّمايز الكائن بين ظاهرتي الازدواجية والثنائية، فهو موجود ولا يختلف فيه باحث، وقد ذكر الباحثان محمد المسلمي والعتيبي أهم الفروق الكامنة بين ظاهرتي الازدواجية والثنائية وسأذكرها بشيء من التصرّف منها²:

- 1- الثنائية اللغوية تكون بين لغتين أو أكثر، بينما الازدواجية تكون بين مستويات اللغة الواحدة.
- 2- لا يشترط وجود القرابة بين فصائل اللغات التي تكون في الثنائية، فقد تقع بين لغات الفصيلة الواحدة، كالعربية والعبرية، كما قد تقع بين لغات الفصائل المتعددة كما هو الحال بين العربية من الفصيلة السامية، والفرنسية والانجليزية من الفصيلة الهندوأوروبية.
- 3- الثنائية اللغوية في المجال العلمي ينزاح أكثر على علم اللغة النفسي، بينما الازدواجية اللغوية ينتمي مجالها إلى علم اللغة الاجتماعي.
- 4- الثنائية مبنية على تفرّع لغية من لغة أم كاملة، أمّا الثنائية هي امتلاك الإنسان للغتين من قومين مختلفين.

1 - حامة صندرة، هباش ليديّة، أثر الازدواجية اللغوية على تحصيل اللغة العربية لتلاميذ السنة الأولى ابتدائي-أمّودجا-، مرجع سابق، ص15.

2 - ينظر: بسام محمد المسلمي، وريم سعد الهلال العتيبي، الازدواجية والثنائية اللغويتان في الدول العربية: المفهوم والأسباب، والآثار، المجلد5، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد02، جوان2021، ص417-418.

5- الثنائية تظهر في المجتمع في مدة زمنية أقلّ من المدّة التي تحتاجها الازدواجية للظهور، إذ أنّ ظهور الازدواجية قد يحتاج إلى مرور ثلاثة أجيال على الأقل، بينما لا يحتاج ظهور الثنائية اللغوية لأكثر من جيل واحد.

6- الثنائية ظاهرة تخص الفرد، بينما الازدواجية فهي ظاهرة تخص المجتمع.

علماً أنّنا نتحقّق لهذا الفارق السادس لأنّ الواقع اللغوي لا يثبت هذا المعنى، كما يكون سببا في اختلاط المفاهيم بين الظاهرتين، ويزيد الأمر تعقيدا.

وقصارى القول ممّا سبق أنّ الازدواجية لا تعني الثنائية اللغوية، ولا التعددية اللغوية، فإذا كانت الازدواجية تعني وجود مستويين أو نمطين للغة الواحدة، أحدهما لغة أدبية مكتوبة، أو لغة كلاسيكية، لغة الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات الإعلامية لكنها غير متداولة في لغة الحديث اليومي، والشكل الثاني لغة شفوية هي لغة المحادثات المستعملة في كلّ الأمكنة، فإنّ الثنائية اللغوية تعني قدرة الفرد أو المجتمع حول التحكم في لغة ثانية بسهولة مشابهة للتحكم في استعمال لغة الأم، وبصورة أدق فإنّ الازدواجية لها علاقة مع أشكال اللغة الواحدة، في حين أنّ ثنائية اللغة لها ارتباط بلغتين مختلفتين، أمّا التعددية اللغوية فلها ارتباط بمجموعة من اللغات بغض النظر عن جنسها، إلّا أنّ تلك الظواهر اللغوية الثلاثة تُعتبر هرما يجسّد مشكلة الصراع اللغوي، والذي يظهر في بعدين: أحدهما داخلي ويمثله صراع الفصحى مع العاميات بأنواعها، والثاني خارجي ويمثله صراع الفصحى مع اللغات الأجنبية المختلفة¹.

بما أنّ هناك تنافس وصراع لغوي أين تتجلى مظاهره؟ وفيما تتمثّل مخاطره في هذه الظاهرة اللغوية التي نحن بصدد دراستها؟ لذلك سأتطرق لهذا الصراع بشيء من التفصيل.

¹ - ينظر: عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 39.

رابعاً: ظاهرة الصّراع الفكري واللساني في الازدواجية

إنّ ظاهرة الازدواجية اللغوية والصّراع الذي نتج عنها مظهرٌ موجودٌ في عصرنا لا مفرّ منه، وهو صراع ذاتي، أبعد من أن يكون صراعاً موضوعياً حتى وإن كان هذا أو ذاك فلا بدّ " من الأهمية بمكانٍ أنّ تنهض المؤسسات التي تعنى بالشأن اللغوي برصد كل حركة في إطاره، سواء أكانت عفوية تلقائية تنجم عن الغفلة واللامبالاة اللذين يتولّد عنهما ما يسمح باستشراء ظاهرة من الظواهر السلبية، أم كانت خطة مبرمجة تتعمّد التدرج في تنفيذها، وجس النبض قبل الإفصاح عن هدفها، فاليقظة في مثل هذه الأحوال تكون عنوان الحزم والجديّة والتحلي بالمسؤولية"¹.

وقد شكّلت هذه الظاهرة بعداً ذا أثر خطير، لأنّها قضية تنوّعت ظلالها وخلفياتها واقتراحات حلولها، وقد ولّدت حرباً حقيقيّاً، لاسيما ارتباطها بالوجود الاستعماري في الدول المغلوبة، في القرن التاسع عشر برز اتجاهان رئيسان متناقضان يهدفان إلى التوحيد اللغوي، وكلٌّ واحدة منهما تفرّعت عنها مذاهب وأراء، وهما :

- اتجاه ينادي باتخاذ العامية لغة الإنتاج الأدبي واللغوي في جميع مفاصله تحت غطاء التوحيد والحدّات، وزيادة على ذلك وجود قوى خفيّة دعوية ومادية خارجية تدعّمها بشتى الصّور والمظاهر كتدعيم المستشرقين لها بالتأليف والتصنيف... إلخ.

- اتجاه يدعو إلى التشبث بالفصحى والتّمسك بها في جميع النشاطات الأدبية والعلمية والتداولية بحجّة الأصالة والحفاظ على موروث الأمة.

¹ - محمد صالح الجابري، كلمة ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الفصحى وعامياتها (لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب)، المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص30.

كما هو معلوم أنّ هذا الصراع تجلّى ابتداءً من مصر ثم امتدّ إلى أرض الشام والعراق، ومن ثمّ وجد قبولاً بالجزيرة العربية، وأرضاً خصبة بالمغرب العربي، وعلى إثر هذا التفاعل فقد تولّدت فرقا شتى بين الاتجاهين، كلٌّ منها يدّعي الحلول لهذه الظاهرة وهي كالاتي:

1. أنصار العامية

ويسمّون بالحدّثيين لأنّهم يرون أنّ الحداثة تعني معايشة الواقع وطرح القديم وتقاليده، ونبذ الموروث لجموده وعجزه عن مسايرة الزمن المتجدد، وعدم القدرة على الوفاء بحاجته وملاساته¹، فهؤلاء يرون أنّها من دلائل الحضارة الإنسانية فهي رمز للرفي والتّقدم، لكونها الأقدر على الخروج بالبلاد من التّخلف على زعمهم، لذلك دعت هذه التّلة إلى العامية المحضنة وهدم موروث النحو العربي وعدم التقييد بقيوده.

ومعالم هذا الاتجاه أغلبهم ممّن أُشربت قلوبهم بالحضارة الغربية عندما بعث محمد علي باشا إلى فرنسا أكثر من ثلاثمائة طالب يدرسون علوم العصر فتأثروا بمناهجهم وسلوكهم وتفكيرهم، ولا يخفى من خطر تلك البعثات، وقد أشار إلى هذه الترسبات الفكرية روبرت فليسون بأنّ الذين خلفوا الاستعمار في الحكم كانت تربطهم بالدول المستعمرة روابط قويّة، فقد تعلّم معظمهم فيها، وبلغتها².

ولذلك لا نتعجب إذا وجدنا أنّ أكثر الدّاعين إلى استخدام اللغة العامية في الرواية، وفي الأدب، هم أيضا من أصحاب الولاء للمذاهب الأوروبية بأنواعها، ومن الملاحظات الجديدة بالتنبيه أنّ جميع المستشرقين وعددا ممّن تابعهم من العرب، وبخاصة في لبنان على ما دعوا إليه من نبذ الفصحى واتخاذ العامية لغة ثقافة هم من المسحيين، وهم أيضا من غير المتخصصين في الدّراسات اللغوية، وإذا

1 - أ. سيدي محمد بالقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 02، 2017، ص142.

2 - ينظر: مختار الغوث، اللغة هويّة، مرجع سابق، ص100.

وجد من بينهم من يحمل اسم المسلم، فهو في الواقع منحل خارج عن الإسلام، والنجاح في هذه الدعوة يقوّض صرح العلاقة بين المسلم وبين القرآن الكريم¹.

هؤلاء لا يعرفون من التقدم بابا إلا التقليد والمماثلة، تقليد الغرب وإتباع سننه، ففي نظرهم لا يكون تقدّم أمة إلاّ بتتبع خطوات الغرب، وتبني لغات أجنبية واسعة الانتشار كالانجليزية والفرنسية وغيرهما، واستعمال لغات الشعوب المتقدمة اقتصاديا وسياسيا سوف يؤدي إلى تقدم دولهم النامية ويشمل هذا التيار المنبهرين بالغرب أو ما يسمون بالمتأمركين، أو بالمتأجلزين، أو المتفرنسين² وعلى شاكلتهم نجد سلامة موسى يقول: "يجب علينا أن نخرج من آسية، فرنسا وأن نلتحق بأوروبا فإني كلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي له وتعلقني بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب"³.

إنّ هؤلاء الأعلام ومن كان على شاكلتهم صاروا من الغلاة، ونادوا باستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، وكان للاستعمار ورموزه دورا في ترسيخ هذه المفاهيم، وكانت بدايتها عام 1880م على يد المستشرق الألماني ولهام سبيتا أمين دار الكتب المصرية إبان الاحتلال الإنجليزي في مصر حيث أَلّف كتابا بعنوان "قواعد اللغة العربية العامية في مصر" عام (1297هـ-1880م)⁴، مع مراعاته لشعور المسلمين بمنزلة ذر الرماد بالعيون قائلا: "إنّ لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى

1 - ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص258.

2 - ينظر: أ.د. تحريشي محمد، التخطيط اللغوي في الجزائر وأثره على المناهج التعليمية الحديثة، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج1، مرجع سابق، ص299.

3 - ينظر: مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية، اللغة هوية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2020، ص118.

4 - ينظر: نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، مصر، ط1، 1964، ص207.

ستظل كما هي في كل مكان"¹، إلا أنّ دعوته لم يكن لها قبولا ولا أثرا، لأنّ كتابه كُتب باللغة الألمانية².

وكذلك من المنتصرين لهذا المذهب الكونت كرلودي لندبرج الأسوجي، في تقريره الذي تلاه بمجمع اللغوي في مدينة ليدن سنة 1883، واللورد دوفرين السياسى الإنجليزي بشأن لهجة مصر العامية³.

وتكرّست هذه الدّعوة جليّة في الأنشطة التي اشتهرت عنهم كدعوة المهندس الإنجليزي وليام ولكوكس عام (1313هـ - 1893م) في محاضرة إلى استخدام اللغة العامية تحت عنوان "لمّ لمّ توجد قوّة الاختراع لدى المصريين الآن"، متحجّجا أنّ الفصحى لا ترقى إلى الابتكار والإبداع، حيث يقول: "إنّ من جملة العوامل في فقد قوّة الاختراع عند المصريين استبقاؤهم اللغة العربية الفصحى، لذلك لا بد من إغفالها واستبدالها باللغة العامية إقتداء بالأمم الأخرى وخاصة الأمة الإنجليزية"⁴، وكان كثيرا ما يرّد في أحاديثه العبارات التالية "إنّ الذي عاق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى"، "إنّ اللّغة العربية الفصحى ماتت بسبب جمودها وصعوبتها"⁵، مع استعمال أسلوب الإغراء والشيطنة قائلا: "وما أوقفني هذا الموقف إلّا حبّي لخدمة الإنسانية، ورغبتى في انتشار المعارف، وما أجدّه في نفسي من الميل إليكم الدال على ميلكم إليّ... ولعلي أجد أذنا صاغية وقلبا واعيا، وفاضلا يلي دعوتي، ويؤمّن على مقالتي حتى لا يذهب تعبي هباء منثورا"⁶، وبعده في سنة 1901م نجد القاضي سلدن ويلمور هو كذلك يدعو إلى استخدام العامية في الكتابة والحديث واتخاذها لغة

1 - ينظر: فاطمة هدى نجما، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ط1، 1993، ص213. ينظر:

عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، مرجع سابق، ص273.

2 - ينظر: د. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، مرجع سابق، ص204.

3 - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص121.

4 - ينظر: فاطمة هدى نجما، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، مرجع سابق، ص215.

5 - ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص279.

6 - ينظر: نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، مرجع سابق، ص33.

العلم والأدب، ونبذ الفصحى حيث نحى منحى سبيتا واضعا كتابا موسوما ب"العربية المحلية في مصر"¹.

والحقيقة كما قيل لكلّ حبة لاقط ، وإنّ الناس أسراب كأسراب الطير يتبع بعضهم بعضا، لقد استجاب ثلّة من العرب وبعض مثقفهم، فسخّروا أنفسهم وأموالهم وكتابتهم لهذه الدعوة الاستعمارية الصليبية، ومن العجب العجاب أنّ "عيسى اسكندر المعلوف" كان عضوا من أعضاء مجمع اللغة العربية، وقد أظهر عدائه الصريح للغة العربية، في مقال له نشرته "الهلال" سنة 1902م، دافع فيها عن اللهجات السوقية، مبينا أنّ سبب التخلف الثقافي مردّه الاختلاف الحاصل بين اللغة العامية واللغة الكتابة، ودعا إلى التحرر من رق لغة صعبة المراس، والتمسك بالعامية، كما تُعتبر أول خطوة نحو النجاح، كما يبيّن أنّ ذلك غاية أمله، ومنتهى رجائه².

وهذا عبد العزيز فهمي أحد شيوخ مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي قدّم مشروع إلى المجمع اللغوي المصري في 24 يناير 1944 لاتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية، بشأن تيسير الكتابة العربية ومن حجه الواهية، اعتقاده بأنّ حمل التّاس على تعلم الفصحى إكراه، وهو في ذاته محنة عظمى، إنّه طغيان وبغي، ولو أنّ اللغة الفصحى سهلة المنال كبعض اللغات الأجنبية الحيّة، لكن تناولها من أشق ما يكون³، ومن أقواله التي توحى بالعداوة والبغضاء لهذه اللغة تعريضه: "ونجحت التجربة في تركيا وهم يقرؤون اللّغة التركية بالحروف اللاتينية"⁴.

لم يكن متوقعا أن يصدر مثل هذه التلبيسات و الشبهات الواهية من أحد شيوخ مجمع اللغة، أو أحد من رجال أعضائها، ولكنّه زلل القدم بعد ثبوتها، نسأل الله الثبات على صدق الانتماء لهذه اللغة وخدمتها .

¹ - المرجع نفسه، ص109، وينظر: فاطمة هدى نجما، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، مرجع سابق، ص217.

² - ينظر: عبد القادر المغربي، دراسة في اللهجة المصرية، ج3، مجلس مجمع اللغة العربية، 1993، ص301.

³ - ينظر: نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، مرجع سابق، ص145.

⁴ - محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2004م، ص365.

ومن أنصاره كذلك الذين تأثروا تأثراً كاملاً لهذا النداء مجموعة من المستغربين، وقد ذكر أنور الجندي عناصر منهم بشيء من التفصيل لما يرمون إليه، منهم لطفي السيد عام 1913 حيث كتب عدّة مقالات في الجريدة يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العامية وإدخالها حرم الفصحى، ومن أقواله المعادية للغتنا العظمى*: "إنّ سبب تراجع الأمة العربية تمسكها بالتشديد والتّنين"¹ وقاسم أمين في عام 1912 أعلن تصريحه عن الإعراب وتسكين أواخر الكلم، والخوري مارون غصن عام 1926 حيث ألف كتاب حياة اللغة وموتها اللغة العامية، وسلامة موسى 1926 حيث دعا إلى اللغة العامية وكتابة البلاغة العصرية².

ومن اعتقاداتهم حول تمجيد العامية على سبيل المثال اعتقاد الدكتور أنيس فريحة بأنّ العامية لغة قائمة بذاتها، حية متطورة نامية، تجعل منها أداة طيعة للفهم والإفهام وللتعبير عن دواخل النفس، لأنّها تفتقد الإعراب إذ هو بقيّة من بقايا البدو، كما تتميز بخضوعها لنواميس لغوية طبيعية، وتتصف بالإهمال والاقْتباس والتجديد في المعنى، ووجود العنصر الإنساني في العامية يضفي عليها مسحة من الحياة³، ولكننا نلتمس مجانبة هذا الرأي للصواب، لما تتميز به العامية من التّنوُّع والتغيّر وعدم الاستقرار، وهو نفسه يقرّ بهذه الخاصية قائلاً: "...وأما العامية الدارجة فهي كثيرة الأنواع، تختلف اختلافاً بيّناً لا من قطر إلى قطر فحسب، بل من مدينة إلى مدينة في القطر الواحد أيضاً، حتى إنّها تختلف بعض الاختلاف من حارة إلى حارة، ومن جماعة إلى جماعة في المدينة الواحدة في بعض

* قال الأب أنستاس الكرملّي: "إنّ لسان العرب فوق كلّ لسان، ولا تدانيتها لسان أخرى من ألسنة العالم جمالا، ولا تركيبا، ولا أصولا"، ينظر: الكرملّي أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية وتموّها واكمالها، المطبعة العصرية، القاهرة، 1938م، ص1، ويقول كارل نيلينو: "اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقا وغنى ويعجز اللسان عن وصف محاسنها" ينظر: أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب، بيروت، 1982، ص308. وينظر: الأقوال في منزلة اللغة العربية وشرفها من هذا البحث.

1 - محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، مرجع سابق، ص360.
2 - ينظر: أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م، ص185.
3- أ.د. أنيس فريحة، نحو عربية ميسّرة، دار الثقافة، بيروت، 1955، ص117-133.

الأحيان"¹، فكيف يمكن لنا أن نثبت لها القواعد والأصول، ونتخذها مسلكا في تحصيل العلوم، إلا على وجه التكلّف والعناد.

ونجد الشيخ جوزي المندي يدّعي أنّ كثرة النقط والخطوط في الحرف العربية تجعلها ضارة بالبصر،² وقد أشار الباحث المغربي عبد القادر الفاسي الفهري إلى بعض هؤلاء الدعاة وتبريراتهم مستنكرا قائلا: "وأما الدفاع من أجل إحلالها-العامية- محل الفصحى بدعوى أن هذه الأخيرة ميتة ومتحجرة، أو غير حيوية وغير فطرية، وحلم البعض أن يتحول إلى دانتي العرب Dante، بدءا من سلامة موسى إلى فرانك سلامة، مروراً بليوطي Lyautey، وبالفرنسيين الجدد أمثال بنطوليا Bentolila، وحجاج Hagège، فهي استدلالات ومقارنات وإسقاطات تفتقد إلى الكفاية والإقناع. فما مبرر تعميم نموذج اللغة اللاتينية وبناتها الرومانية على العربية ولهجاتها، عوض أن تكون الازدواجية العربية موازية للازدواجية الألمانية أو الصينية، حيث تتكامل الصيغ المكتوبة والمنطوقة المتنوعة؟"³.

كما وجد للكاتب أنطوان مطر في مقال له عام 1974 بعنوان "اللغة العربية والظروف الحاضرة، وما ينتظر تحقيقه من آمال في مستقبل عالم المتكلمين بها" في مجلة (ديوجين) التي تصدرها منظمة اليونسكو، حيث أظهر عداوته الشديدة للغة الفصيحة بلباس النصح والإرشاد، ومن بين سهامه المسمومة بأنّ اللغة العربية الفصيحة لا تصلح في نقل الفكر الحديث معللا بأسباب منها:

- اللغة العربية وسيلة معبّرة عن حضارة قديمة، وبالتالي لا تعدوا أن تكون أداة تعبيرية عن التاريخ.

1 - ينظر: د. أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص5.

2 - ينظر: محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007، ص39.

3 - أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربي الجامع بين التماسك والتنوع والتعدد، التعدد اللساني واللغة الجامعة، مرجع سابق، ص31-32.

- تجاوز التطور الاجتماعي والاقتصادي العالم العربي، كما تجاوزه التطور التقني، بزعمه أنّ العالم العربي كان منفصلاً عن حركة التقدم.¹

مهما تعددت هذه العلل الواهية فهدفها واحد عند أصحابها، والذي يتمثل في تكريس لهجات العامية، والعمل على تقنينها وتقعيدها، إلا أنّ هذا الهدف يحمل في طياته بذور فناءه، والذي يكمن في الروح الوطنية الحاقدة المتعصبة، تلك الدعوة التي ارتبطت بظهور القومية المصرية أواخر القرن التاسع عشر، ويعتبر أحمد لطفي السيد من أكثر الأدباء تحمُّسًا لفكرة تمصير الأدب لغة وموضوعاً، وسلك مسلكه محمود تيمور، ومحمد حسين هيكل، وتوفيق الحكيم²، كما نلتمسها كذلك واضحة جلية عند اللغويين واللسانيين المحدثين، فكل يدعو إلى عامية وطنه، وأعتبر أنّ هذه الخاصية كافية لنسف دعوى هذا المسلك لأنها تنافي أسماً مقاصد اللغة الذي يتمثل في توحيد الفكر وشمل المجتمعات من جنس واحد.

إنّ العصبية اللهجية قد بلغت ذروتها، واستحال سلوك التنازل عنها، ولاسيما مع وجود دعوات استشراقية تغذي هذه الظاهرة المنبوذة، وسأسرد بعض الدعاوى للعصبية اللهجية، حتى يتجلى لنا حجم هذه الحمية الممقوتة، العاملة على تشرذم الأمة الواحدة، وعليه تبطل كل المزاعم التي تدعو إلى استبدال العامية بالفصحى، ومن الأمثلة على هذا السلوك المنبوذ:

- اللهجات الحجازية والمصرية:

يقول عبد الواحد وافي في بيان مجموع اللهجات ومقارنتها بين العربية الحديثة والعربية الفصيحة قائلاً: "أدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعتا اللهجات الحجازية والمصرية" ويقول بنبرة أخرى: "وأبعد هذه المجموعات عن العربية الفصحى المجموعتان العراقية والمغربية، أما

¹ - ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، مرجع سابق، ص274.

² - ينظر: نفوسة زكريا تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، مرجع سابق، ص138 وما بعدها.

العراقية فلشدة تأثرها بالأرامية والفارسية والتركية والكردية، حتى أن قسما كبيرا من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربي الأصل ولذلك يجد المصري مثلا صعوبة كبيرة في فهم العراقي¹.

وقد نفى الدكتور كاصد الزبيدي العراقي دعوى الدكتور عبد الواحد وافي وأثبت أن اللهجة العراقية ولاسيما بدوها تتميز بالفصاحة اللغوية².

والأعجب من هذا حينما نجد الباحث المصري أنيس فريجة يعتقد أنّ العامية التي يريد تعميمها هي لغة المثقفين المصريين، فتصبح لغة مشتركة تجمع ألسنة الأمة العربية، معللا ذلك بأنّ مصر تتمثل مركز الزعامة في العالم العربي نظرا لرقبتها الحضاري والثقافي واستقرارها الاقتصادي³.

- اللهجة الجزائرية:

تقول باحثة جزائرية الدكتور مياء: "وقد برهن عبد الملك مرتاض بعشرات الأمثلة على فصاحة العامية الجزائرية، ووضّح جليا بأنّها أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى مقارنة باللهجات العربية الأخرى من خلال استعراض أصول طائفة من التعابير والألفاظ الدالة على معان مختلفة"⁴.

يقول الدكتور عبد المالك مرتاض: "فإنّ الواقع يصدّق ما كنّا ذهبنا إليه من أنّ العامية الجزائرية هي أنقى العاميات العربية على الإطلاق) ولسنا هنا نتحدث عن عاميات المدن الجزائرية الكبرى فهي

1 - عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص117.

2 - ينظر: د. كاصد الزبيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص32 وما بعدها.

3 - ينظر: إبراهيم أنيس، محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، ص66-71.

4 - د. مياء مرتاض-نفوسي، كتابة اللغة العربية في الخطاب الإشهاري: تحليل لعينة من الومضات الإشهارية في القنوات التلفزيونية الجزائرية، مجلة جسور المعرفة، شلف، الجزائر، مج2، ع8، 2016، ص96.

خليط عجيب من الفرنسية والتركية والإسبانية)، وهو ما ركّز عليه إبراهيم السّامرائي في أحد كتبه بسخرية وسوء نية وبدافع النيل من كرامة الشعب الجزائري¹، نعم إنها حرب اللغات والعاميات.

وفي ثنايا البحث والتنقيب وقفنا على رأي للدكتور نهاد الموسى يشير إلى هذه العصبية اللهجية ساردا أقوالا في هذا المضمار لأصحابها المتعصبين، منها:²

- لهجات الجزيرة العربية:

يقول أبو أوس إبراهيم الشمسان في بحث له سنة 2005م: "وأما لهجات الجزيرة العربية فهي أقرب اللهجات العربية الحديثة.

- اللهجة اللبنانية:

يقول مارون عبود في كتابه عن أحمد فارس الشدياق: "قابلت لهجة لبنان بلهجات الأقطار الأخرى فوجدت لغتنا العامية أقرب إلى الفصحى من جميعها، وقد لا تضاهيها في ذلك الأقاليم الأعرابية، لم تدخلها رجل غريبة، إنها لا تحتاج إلا إلى تحوير بسيط لتصير فصحي بلا عناء".

- اللهجة المغربية:

يعلن إبراهيم حركات في عنوان عريض أن الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية.

- اللهجة السودانية:

قد اعترض أحمد المبارك عيسى ما ذهب إليه وافي مقررًا: "أن بالسودان-وخصوصا أواسطه- لهجة هي أدنى اللهجات إلى العربية الفصحى إن لم تكن أدناها جميعا.

¹ - د. عبد الملك مرتاض، فصيح العامية الجزائرية، الفصحى وعامياتها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008، ص402.

² - ينظر: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ص141 وما بعدها.

ومن المستشرقين الذين يدعون إلى إحياء اللهجة العصبية نجد المستشرق الألماني الدكتور "غروتسفليد" يدعو إلى اعتماد اللهجة الدمشقية أساساً لحل قضية الازدواج اللغوي معللاً بأنها أقرب إلى اللغة العربية الفصحى¹، وثبت أنّ اللغوي الألماني كارل كرمباخر (krumbacher1902) لما تطرّق إلى طبيعة ظاهرة الازدواجية وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص إلى نتائج منها: دعوته للعرب أن يتركوا فصيح لسانهم وتبني إحدى اللهجات مفضلاً اللهجة المصرية لغة قومية لعدة اعتبارات²

ويجدر التنبيه أنّ هذا الصراع انتقل من ألسنة وأقلام علماء اللغة واللسانيات، إلى الفضائيات العربية حيث صارت تفعّل هذا التنافس والصراع اللهجي، وإن كان عن طريق الحرب الباردة، إذ أصبح يتحدث فيها العلماء والفقهاء ورجال الدين والسياسيون والإعلاميون وكلهم يتحدثون بدارجات بلدانهم، فالفضائيات اللبنانية والمصرية والسورية والخليجية والمغربية والليبية، كلّها تتسابق في تقديم برامجها باللغة العامية المحلية لهذه البلدان، حتى إنّ المتتبع لهذه الظاهرة ليحزم بأنّ هناك تسابقاً بين هذه الفضائيات في الترويج للغات العامية المحلية كبديل عن الفصحى³

نستشف من هذه الأقوال أنّ أصحاب الشأن في المجال اللساني واللغوي يدعي كل منهم الوصال بالموصول، فلا أحد من الجماعة اللغوية مستعد للتفريط في لهجته كما نلمسه في تلك الشواهد، ويزداد الشرخ حين يدعون إلى الاستعانة بالعامية لتعلّم الفصحى لغير الناطقين بها، كما هو الحال في الجامعات والمعاهد الخاصة لتعليم اللغة الفصحى للأجانب، ويؤكدون أنّ من حسن عملية التعلّم أن يبدأ الأجنبي بالعامية الأقرب إلى الفصحى، وهنا يشتدّ الصّراع أيّة عامية أقرب؟

¹ - ينظر: د. جعفر دك الباب، ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها، مجلة المعرفة العددان 222-223، سنة 1980م، ص50.

² - ينظر: د. جلال بن يشو، الوضع اللغوي في الجزائر بين الازدواج والتعدد، مرجع سابق، ص65.

³ - د. علي فهمي الخشيم، العامي والفصيح والمشارك بينهما، الفصحى وعامياتهما، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008، ص40.

من المعلوم أنّ الدرس اللغوي لا يقر بمبدأ المفاضلة بين اللهجات - العاميات - فهي تتساوى من الناحية العلمية في الرتبة والمنزلة، إلا إذا تدخلت مؤثرات خارجية مثلما تعيشه جلّ اللغات في عصرنا اليوم، زد على ذلك أنّ أيّ عامية من هذه العاميات ليست لها خصائص مميزة تؤهلها لتكون لغة مشتركة بين الجميع هذا من جهة¹.

من جهة ثانية لو فرضنا علميا تأهيل العاميات لسد الحاجات العلمية والتواصلية المنشودة، سيتحتم علينا التساؤل على أيّ عامية نعتمد عليها ونسلك سبلها للقضاء على الازدواجية؟ أللهجة المصرية أم الدمشقية أم المغربية أم الجزائرية؟... فهذا ممّا يصعب التوافق عليه، بل هو ضرب من الخيال والاستحالة بما كان، زيادة على ذلك أنّ اللهجة الوطنية أو القومية في حد ذاتها لا تسلم من هذا التنوع والاختلاف.

ويشير نهاد الموسى إلى استحالة تبني العاميات لفقدانها خاصية الاستقرار والثبات المعبر قائلًا: "وسيفضي بنا التسليم للعامية إلى الاسترسال معها في أطوارها المتلاحقة المتغيرة على تعاقب الأزمان بلا نهاية، وستصبح كل عامية من العاميات المتفرقة في المدى العربي الحاضر عاميات متغيرة على تراخي الزمن"²، ومعنى ذلك أننا نضطر على رأس كل جيل تغيير لغة الكتابة وروافدها بأخرى مناسبة للحال، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه الفوضى في الإنسانية³.

ومن المعلوم ضرورة أن اختلاف اللهجات المتواجدة التي لا حصر لها في الدول العربية اعتبارا ما يكون، يؤدي حتما إلى الوقوف على الحقائق التالية:

¹ - د. أحمد العلوي العبدلاوي، دور اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج1، مرجع سابق، ص241.

² - نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، ص1930.

³ - ينظر: عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص123.

- اللهجات العامية تؤدي إلى إضعاف التواصل بين الدول العربية فيما بينها، فتصبح العاميات عامل تفكيك لا عامل توحيد بما تمثله من خصوصية عشائرية أو إقليمية تدعو في بعض الاحتمالات إلى التدابر أو الفتنة أو التقوقع¹، وقد قال أحد الباحثين مؤكداً على أسوأ عيوبها قائلاً: "فما أكثر عيوب تلك اللهجات ومساوئها، وفي مقدمتها أنها عاجزة عن تكوين تلك الوحدة، فلكل قطر لهجته ومميزاته التي تجعل منها أداة غير صالحة للتفاهم في أمة تسعى لتحقيق وحدتها اللغوية"².

إنّ التحول إلى العامية خيار خطير يعصف بثوابت الأمة ووحدها فيجعلها مجزأة ذات انشطار شديد "ولعله من هذا الباب أهملت اللهجات العربية القديمة، ولم توثق منذ عصور الفصاحة، حتى لا تكون دافعاً للعصبية القبلية التي قد تؤدي بوحدة الأمة وقوتها، فجاءت تبعاً لذلك ممسوخة ومشوهة ومبتورة ومجهولة المصدر"³.

نعم إذا نظرنا إلى المسألة نظرة شاملة دون إجحاف ندرك أنّ العامية - مع ما فيها من إيجابيات - تُعدّ وسيلة تفريق بين العرب، لأنّ لهجات بعض الشعوب العربية غير مفهومة لدى بعضها الآخر، ولا شيء يربط بين العرب على اختلاف أوطانهم بعد الرابط الذي مثل اللغة العربية الفصحى⁴، وقد أحسن أبو خلدون ساطع الحصري عندما أكدّ " إنّ كلّ أمة من الأمم تحتاج إلى لغة (موحدة) تزيدها تجاوباً وتماسكاً فتكون موحدة، لأنّ مهمّة اللغة في الحياة الاجتماعية المعقدة لا تنحصر في ضمان التفاهم بين المتخاطبين الذين يعيشون في قرية واحدة، أو مدينة واحدة، ولا بين

1 - ينظر: نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، ص193.

2 - ينظر: د. يوسف العايب، ازدواج اللغة العربية بين الفصحى والعامية وتداعياته على النسيج الاجتماعي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، العدد22، جوان2017، ص45.

3 - أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983، ص85.

4 - ينظر: د. عمر بورنان، دور الإعلام في دفع اللغة العربية نحو التطور والازدهار، أعمال الملتقى الوطني: ازدهار اللغة العربية، -الآليات والتحديات-، مرجع سابق، ص178.

الذين ينتسبون إلى إقليم واحد، أو قطر واحد، بل هي ضمان التفاهم والتكاتب والتخاطب والتجاوب بين جميع أبناء الأمة على اختلاف مدتهم وأقطارهم"¹.

وقد تحدّث الرئيس الراحل هواري بومدين عن أهمية اللغة وخطر اللهجة في توصيفه الوضعية اللغوية الجزائرية وما آلت إليه مقترحا ما يراه من العلاج، حيث يقول في هذا الصدد: "إنّ الجزائر بلد عربي مسلم، ولا يجمع بين العرب ويوحد بين أجزائهم إلاّ اللغة العربية الفصحى، ولذلك فبدلا من أن تنزل إلى مستوى اللهجات المحلية لإحيائها يجب علينا أن نرتفع إلى مستوى اللغة العربية الفصحى التي توجد بين أفراد المجتمع الجزائري، وتوجد بين أفراد المجتمع العربي من الخليج إلى الخليج"².

إنّ المستفيد الوحيد وراء هذه الدعوة الحالقة لوحدة المجتمعات العربية أعداء العروبة و الإسلام كما بيّنه أحد الباحثين قائلا: "إنّ اللجوء إلى استعمال اللهجات يعني بالضرورة خلق كيانات منعزلة مستقلة، بعدد اللهجات المختلفة، وهو أيضا بابا من احتمال التمزق العربي إلى كيانات أصغر،...، هو ما يريده أعداء العروبة والإسلام من أوّل سببنا إلى آخر أنطوان"³، هذا لمن يعتبر النزعة القومية، بل هي أوسع من تفريق العرب إلى تمزيق الوحدة الإسلامية العالمية إذا اعتبرنا الواجب المتمثل في النزعة الدينية.

- الدعوة إلى العامية لم تكن منزهة سياسيا " من هنا يسعى المجتمع الدولي حثيثا لإقرار هذه الحقوق (الإثنيات وخصوصياتها الثقافية واللهجية) وبالتالي لتشجيع كل ما يستتبع ذلك من إبراز للخصوصيات الثقافية وتجميع للتراث الشعبي، وتسجيل للمرويات الشفهية، وتدوين للغات واللهجات المحليّة المنطوقة وتقعيدها"⁴، وذلك الاهتمام والحرص الشديد منهم لتكريس العاميات

¹ - ينظر: د. أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص5-6.

² - من خطاب إلقاء الرئيس في قصر الأمم بمناسبة الإنتهاء من مناقشة مشروع الميثاق الوطني [/https://www.echoroukonline.com](https://www.echoroukonline.com)

³ - عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص277.

⁴ - نادر السراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي، مرجع سابق، ص226

ومحاولة تقنينها وتقييدها وتفعيلها لم يكن إلا من أجل تحقيق قطع الوصال ما بين مسلمي العرب والعجم وكتابهم المقدس، والآثار الثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم والرّعيّل الأوّل، كما يسعون إلى تحقيق سياسة الفصل والعزلة ما بين الدول العربية لنشر النزاع وقد أشار إلى هذا الإضمّار الخفي من وراء هذه الدعوات الدكتور عبد الصبور شاهين تحت فصل جذور الدعوة إلى العامية قائلا: "ولنحاول أن نلقي ضوءاً على تاريخ الدعوة إلى استخدام العامية وإحلالها محل الفصحى، لنعطي صورة للقارئ عن هذه الدعوة الخبيثة التي لا تستهدف أساساً سوى محاربة القرآن، دستور الإسلام الخالد"¹، فالإسلام هو المستهدف الأوّل والحقيقي من قبل أصحاب الدعوات إلى العامية، وذلك بإهمال الفصحى وإضعافها والتقليل من مكانتها، من شأنه أن يخفت بشكل أو بآخر صوت الدين الحنيف، الذي يعتمد الفصحى أداة لفهم النص القرآني واستيعابه².

- إضعاف التواصل بين الحال والماضي بل يؤول ذلك للانقطاع التام بيننا وبين أجدادنا، بيننا وبين تراثنا وحضارتنا، وهذه لا تقل خطراً عن الأخطار الأخرى فإنها تتمثل في "قطع الصلة بين مستقبلنا وماضيها وحرمان أجيالنا القادمة من تراث أجدادهم"³.

وأشير باهتمام إلى هذه الحقيقة - إضعاف التواصل بين الحال والماضي - لا يظهر خطرها جلياً في الأمم الأخرى، لأنها غير مرتبطة بمرجعية دينية حقيقية، ولا يربطها قاموس لغوي موحد، لذلك حدث لها ما حدث من انشطار لغوي إلى لهجات، ومن ثم تحولت إلى لغات، كالذي حصل للغة اللاتينية إذ تحولت لهجاتها في إيطاليا وفرنسا ورومانيا إلى لغات.

لكن نجد الأمة العربية والإسلامية خلافاً للأمم الأخرى، لأنها تتميز بارتباط وثيق، وميثاق غليظ بكتابتها المقدس ألا وهو القرآن الكريم المنزل باللسان العربي المبين، لاسيما أنّ هذه المرجعية تُعتبر

¹ - عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص 260.

² - ينظر: نادر السراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي، مرجع سابق، ص 222.

³ - محمود إبراهيم كايد، العربية الفصحى، مرجع سابق، ص 75.

عندهم مصدرا ومنبعا للعزة والسيادة والقوة والمنعة والصحة والأمن والأمان... فمن تمسك به لا يضل ولا يشقى، ولا يجد معيشة ضنكا، لذا ضرورة يستوجب العجز عليه بالنواجذ، والطريق الموصل لكنوزه التي لا تنقضي هو اللسان العربي وهذا الأخير مرتبط ارتباطا وثيقا بكلام العرب، فلا يمكننا الاعتراف منه إلا بالرجوع إلى المرجعية التي تفتقدها الأمم الأخرى والتي تتمثل في وحدانية القاموس اللغوي.

إذا هذه الأمة مرتبطة بثابت شديد وهو القرآن الكريم وهذا الثابت عمل على حفظ اللغة، وتثبيت صورتها اللفظية والتركيبية على ممر القرون المتسلسلة والمستمرة، لذا لا يمكن الوصول إليه إلا باللسان العربي، وهذا اللسان يصعب مناله إلا بالقاموس اللغوي، والقاموس اللغوي ليس بإمكاننا الولوج إليه والاعتراف من كنوزه، ومفاتيحه، إلا إذا تمسكنا بلغتنا الفصيحة، وعضضنا عليها بالنواجذ، وعليه يظهر لنا خطر العامية، وفي النهاية لا تكون سوى حائلا بين الأمة ومركزها المرجعي، ولو تحقق ما يدعون إليه "لكان فيه الطامة الكبرى التي نخسر معها ديانا وآخرتنا، بضعف الشعور القومي والوازع الديني الذي قد يسببه فقدان الفصحى فنصبح كالمبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ولا أظن أن هناك عاقلا واحدا يرضى أن يتخلى عن تراثه الغني الذي يعطي لوجوده معنى"¹.

علاوة على ذلك هب أن هذا اللسان لم يرتبط بمقدسات، وكانت بينه وبين العاميات منافسات، أيعقل أن يُترك - لسان واحد ذو تفعيد محكم - من أجل لسان غير ثابت ولا مستقر، ويُتخذ مسلكاً للتحضر والتقدم، وقد أحسن القائل " فهل هناك أمة في العالم وعبر التاريخ تقدمت علميا وحضاريا باستعمال اللغة العامية وتخلت عن لغتها الأم التي انبثقت عنها؟ الجواب طبعاً بالنفي، وما تقدم العرب في عصورهم الذهبية إلا بلغتهم الفصحى"².

¹ - د. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، مرجع سابق، ص 207.

² - د. أحمد العلوي العبدلاوي، دور اللغة الجامعة في تحقيق الأمن الثقافي للبلاد العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج 1، مرجع سابق، ص 241.

- إنّ اللهجات العامية إذا لم تجد مدافعة حقيقية ستؤثر لا محالة على الصورة الكتابية للفصحى، وإنّه مألٌ محققٌ لا ريب فيه ولا مفر منه، وذلك إذا تحقق ما يصبون إليه" فإنه يتعيّن إحلال العامية محل الفصحى في كل مجالات الحياة، ولئن كان للفصحى دور في مجال الكتابة مثلاً، فإن هذا الدور ينتهي مع هذه الحياة، وهذا يعني إلغاء الفصحى من حياتنا وإقصاءها عن تفكيرنا، هذه الفصحى التي كتب بها تاريخنا وتراثنا عبر قرون طويلة"¹.

- إنّ العامية عاجزة عن استفاء المعارف لعجزها اللغوي، إذ هي ضعيفة في مادتها فقيرة في ألفاظها وقد أشار الدكتور أحمد سعدي إلى هذا قائلاً: "لا تكون العامية لغة للعامية سوى في المجتمعات التي تعاني من الازدواجية *la Diglossie* حيث تكون لغة المدرسة ولغة الكتابة غير لغة الشارع المنخفضة التي لا تؤدي غير الأدوار التواصلية النفعية البسيطة والسهلة الهامشية"²، حتى دعاة العاميات لا يستطيعون تفعيلها ميدانياً إلا عن طريق الحشو والاستعانة بالفصحى، لأنّ الواقع يثبت أنّهم "إذا حاولوا صياغة أفكارهم بالعامية لما استطاعوا، ولو فعلوا لأخفقوا ووجدوا أنفسهم أمام لغة غثّة تعجز عن التعبير الدقيق والأسلوب المحكم الذي تمتاز به لغة القرآن"³.

وفي الأخير يبقى هذا الخيار ضرب من الخيال والسراب، وإن كان ينعق به بعض البقايا من فينة إلى فينة، فهو مجرد وهم غير قابل للتمثّل، ولا مكان له في مكن سرّ هذه الأمة، ذات التّعظيم للسان كتاب ربها، ولغة نبيها، للأسباب التي أشرنا، و يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- لغة هذه الأمة تختلف عن لغات الأمم الأخرى قوّة واعتقاداً وجنساً، لذلك لا يمكن قياسها باللغات الأخرى، كالاتينية واللغات المتفرّعة عنها مثل الإيطالية والإسبانية والإنجليزية، بخلاف

¹ - عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 62.

² - د. أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، مرجع سابق، ص 83.

³ - ينظر: د. نذير محمد مكتبي، الفصحى في مجال التحديات، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991، ص 164.

الفصحى فقد بقيت محتفظة بمكانتها بفعل عوامل غير لغوية، كارتباطها بالدين الإسلامي وحرص أهله عليها.

- إنّ العامية ليست واحدة إنّها عاميات متعدّدة وكثيرة، وقابلة للانحطاط، على أيّ عامية نعتمد؟، فصفة الدور ملازمة لها فتحقق بطلان الدعوة إليها.

- الدّعوة إلى العامية مطيّة لهيمنة استعمارية ولا سيما "حين بدأت الدّراسات الأكاديمية تتوالى من المستشرقين وغيرهم، وتنصب في الغرب والشرق على العاميات العربية بدعوى صريحة إلى إحلال العامية محلّ الفصحى"¹.

- العامية عاجزة عن الوفاء بحاجة التعبير وخاصة العلوم الفلسفية والعلوم التجريبية، وقد تقرر في النفوس السوية أنّ الفصحى " ذات قدرة اتصالية أكبر من العاميات التي تنحصر قدرتها على تحقيق التواصل في إقليمها أو قطرها الضيق"²

- العامية تفتقر إلى الاستقرار فهي غير ثابتة على حالة واحدة، فهي عرضة للتطور في أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها، وبالتالي في كل فترة من الزمن يقعد لها، أنستبدل الذي هو أدنى-المتغير- بالذي هو خير-المستقر-؟

- العامية محلية عرفية لا تتحقّن إلى الشّمول والعموم لما لها من مقوّمات وجودية مختصة بها. وقد استوفت الدكتورة نفوسة زكريا سعيد (ت1989) هذه القضية دراسة علمية مستوفاة تأريخا وتوصيفا وتحريرا، وذلك في كتابها الجامع في هذه المسألة بعنوان "تأريخ الدعوة إلى العامية

¹ - د.عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، مرجع سابق، ص202.

² - وليد العناتي، اللسانيات التطبيقية وتعليم العربية لغير الناطقين بها، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص225.

وآثارها في مصر"*، ولمن أراد أن يدرك البعد السياسي، والعقائدي لهذا الصراع بين دعاة العامية ودعاة الفصحى فعليه بكتاب الموسوم بـ "أباطيل وأسمار" وهو عبارة عن مجموعة من المقالات في مجلة الرسالة، للعلامة المحقق والأستاذ محمود محمد شاكر.

2. أنصار النظرة المحايدة

قد يكون هذا الرأي مشابهاً أو متولداً عن الرأي الأول، ويتمثل هذا الاتجاه في توحيد الخطاب واللغة بنظرة المحايدة كما يزعمون، حتى ولو كان على حساب الهوية، وضياع الفطرة التي جُبل عليها الإنسان، حيث يذكر إبراهيم الكايد هذه الصورة المحايدة لأصحابها التي يتشدقون بها دون عناء وحياء، فالحل عندهم لا ينحاز للفصحى بعينها، ولا للعامية الخالصة بعينها، بل يكون في لغة أخرى حتى ولو كانت غير عربية من الأساس¹، ونجد الدكتور أحمد سعدي قد أشار إلى هذا الاتجاه بتبنيه جزئية من هذه الكليّة، حيث يشترط للغة الإشهار ألا تكون بالعامية، وإنما تكون بلغة راقية حتى ولو كانت باللغة الإنجليزية²، وهذه هفوة منه، لا غرّو فإن لكل جواد كبوة ولكل باحث صادق هفوة*، وهذا الاقتراح سواء أكان عن دراية أم عن جهالة مرفوض لأسباب منها:

- هذا الحل لم يقل به أيّ عاقل يتمتع بالهوية والشخصية إلاّ من اشرب قلبه وتشبع بروح الغرب وأفكارهم.

* لمن أراد الاستفاضة حول هذه المسألة ينظر الدراسة القيّمة التي قدمها الطيّب البكوش تحت عنوان "إشكاليات الفصحى والدارجات" ضمن كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص 173-214، وكذلك ينظر الفصل الذي عقده الدكتور محمد الكتاني بعنوان "الصراع حول العامية والفصحى" ضمن كتابه الصراع بين القديم والجديد، ص 751-833.

¹ - إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والشائبة اللغوية، مرجع سابق، ص 68.

² د. أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، مرجع سابق، ص 77.

* قد بسطنا القول في هذه المسألة في مقالتنا "الازدواجية والتهجين في الخطاب الإشهاري-الشبكات الجزائرية أمودجا"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 7، العدد 5 (ديسمبر 2021)، ص 616.

- من الناحية التطبيقية يصعب تمثيل هذا الاقتراح في الواقع، لأنّ استبدالاً لغويًا في هاته الحالة يتطلب عدّة عقود، ومن ثمّ لا تثبت على الاستمرارية فينشأ عنها الازدواج مرة أخرى حسب نظريتهم الطبيعية لظهور نمط الازدواج، وبهذا يثبت بطلان الدور.

- من الناحية المعنوية إذ تعارضت أيّ فكرة مع الأساس التي تتمتع به أيّ جماعة لغوية، يُقدم الأساس عن الفكرة لما لها من آثار التثنية والتدمير للهوية.

علما أنّ السبب الثاني أشار إليه كثير من الباحثين، كالباحثين عباس المصري وعماد أبو الحسن في دراستهما¹.

3. أنصار الاستسلام

ونقصد بمؤلاء الذين استسلموا لهذه الظاهرة، واعتقدوا بقول القائل "دع لغتك تجري وشأنها، ثم خذها وصفها في كل مرحلة كما هي، فهي نتاج حضارة تلك المرحلة، ووسيلة التفاهم بين المتحدثين لها في ذلك الوقت"²، إذ يرونها من علامات الرقي الإنساني فهي رمز للتمدّن والتّقدم، ولا ضير في اختلاف الكتابة عن لغة التخاطب اليومي لأنها ظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية بل تشترك فيها كل اللغات الإنسانية³، كالباحث عبد الصبور شاهين - مع وجود اضطراب في أفكاره - حيث يرى لا تأثير للعامة على الفصحى ووصف ذلك أنّه: "غلو لا فائدة منه"⁴، ونجد صالح بلعيد ينحى هذا المنحى مؤكداً "أنّ الدارجات من الازدواجية اللسانية كذلك فهي ثابتة الوقوع وملازمة للوجود

¹ - ينظر: عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 61.

² - ينظر: عبد المحسن بن فراج القحطاني، أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامة، ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية (17-10، 1995م)، جامعة الإمام محمد بن سلمي، الرياض، المملكة العربية السعودية 82/1.

³ - ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، مرجع سابق، ص 125.

⁴ - عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص 223.

اللغوي ذاته، وليس فيها ما يزعج أو ينذر بقيام الساعة، ولم تطرح سابقا كمشكلة يجب القضاء عليها¹ ، وإن كانت له آراء أخرى متضاربة لتضارب الآراء السياسية والقوى المهيمنة.

وقد أشار أحد الباحثين لهذه الطائفة حين تكلم عن سلطان اللغة العربية واسترداده إلى ذروته لابدّ أن تخوض حربا ضروسا ضد الأفكار الكسولة المروّجة لسهولة العامية حتى تلوث اللسان العربي وفشا اللحن سيلا قحافا اقتلع الجذور والجدوع، ولم يبق لها من الصفاء والصحة إلا ما يبقيه الوشم في ظاهر اليد².

والملاحظ أن هذا الاتجاه قد تأثر بمنطق النواميس الطبيعية، وهو قانون يسميه اللسانيون قانون التحوّل اللساني ، الذي أشار إليه كل من Ferguson وFishman وGumpaz وعدّوا هذا نوعا من (الازدواجية الثنائية) ورأوا بأنّ هذا طبيعي، لأنّه يحصل في معظم أو في كل اللغات شرط أن لا يكون الفرق شاسعا بين المستويين³ ، واستسلم له دون مجاوزته إلى أخذ الحيلة والتدابير اللازمة تحسبا لأي حادث يحدث وتركوا الأمور على ما هي عليه.

يشير أحد الباحثين إلى هذه الخطورة قائلا: "التسليم بهذا الرأي والركون إليه دون الأخذ بتدابير معينة للحيلولة دون استفحاله وتوسع الشقة بين المستويين فيه من السداجة والدعوة إلى الخمول وعدم مواجهة المشكلة، خاصة في العربية، فلا يمكننا أن نقول دع الأمور تجري في أعنتها وننام، لأن التطور اللغوي والميل إلى السهولة واليسر قد يصل بلغتنا إلى ما وصلت إليه اللاتينية"⁴ وهذا وما يتفق ومبدأ "دع الأقدار تعمل عملها" أو لغة "دع لغتك وشأنها" الذي كان شعارا لدى

¹ - د. صالح بلعيد، اللغة الأم، والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص32.

² - ينظر: د. جميلة روقاب، اللغة العربية في عيون الشابكة - بين الاستعمال والإهمال - أعمال الملتقى الوطني: ازدهار اللغة العربية - الأليات والتحديات - ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2017، ص133.

³ - ينظر: الفصحى و عامياتها لغة التخاطب بين التقريب و التهذيب، مرجع سابق، ص6.

⁴ - د. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص202.

بعض اللسانيين الأمريكيين، ولا يخفى ما يترتب على هذا الاتجاه من خطورة تزايد الشرح بين العامية والفصحى لحساب العامية ولاسيما مع دعائها وما يساندها من القوى الظلامية والعلانية، "إنّ خطر العامية على اللغة العربية يزداد يوماً بعد يوم، وذلك نتيجة الفارق الواضح والكبير بين المستوى الرسمي والعامي، فكلّما كان البون شاسعاً بين المظهرين أو المستويين، كان الشرح كبيراً وهو شرح يصب في غير مصلحة الفصحى، ويترتب تباعد عنها، قد يفضي إلى الجفوة والنسيان، وربما إلى الانقراض"¹، لا يمكن أن يكون التسليم لذلك الرأي من الطبيعي والمنطقي.

ومن جهة أخرى سيترتب على هذا الفكر سلوك اللامبالاة وعدم الإحساس بالذات، وغياب صدق الانتماء لهذه اللغة، ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان هذا السلوك صادراً من طبقة المثقفين "فهذه النظرة المغلوطة من المجتمع عامة والمتعلمين بخاصة أدت إلى آثار خطيرة ومؤسفة، أقلها أنّ الجهل بالاستعمال الصحيح للغة ليس أمراً هيئاً مع أنّه يعتبر من المتعلّم جهلاً مركباً ودليلاً على فقدان الإحساس بالذات، والانتماء"².

فهؤلاء يرون أنّ الازدواجية اللغوية ظاهرة اجتماعية معروفة في كل الألسنة البشرية، وهذا الأمر ليس حكراً على العربية وحدها، وأنّه تطوّر طبيعي يجب التسليم به، بل إنّه إحدى السمات الحضارية، إلّا أنّنا نقول نعم نؤمن بهذا الاتجاه لو كانت لنا نظرة موحدة خالية من الصراعات الداخلية والخارجية لكثير من التصورات التي نتفق عليها ابتداءً منها:

- إنّ كلّ لغة فصيحة من لغات البشر إلا ويتولد عنها لغة عامية.
- كل اللغات تخضع ضمن السياق التطوري الطبيعي.
- استحالة ثبات أي لغة في خضم التوسع الحضاري وإن كانت بعض اللغات تتأثر نسبياً.

¹ - ينظر: عباس المصري وعماد أبو الحسن، الازدواجية العربية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 42.

² - محبوب عباس، مشكلات تعليم اللغة العربية حلول نظرية وتطبيق، دار الثقافة، دوحة، قطر، 1986، ص 86.

- إمكانية معايشة اللغة الأصلية مع وليدتها أو أي لغة أخرى.
- تجرّدها من أيّ اتجاه سياسي أو إثني.
- ألاّ تُحدث شرخا كبيرا في مكوّنات عملية التداول اللغوي اليومي أي تسعى لتحقيق الانفصام بين مستويي الكتابي والشفهي.
- وبناء على ما تقدم لا يمكن القبول به حلا ممكنا على الإطلاق، لعدم انتفاء الموانع، وتوفّر الشروط، لا سيّما أنّ كثيرا من الباحثين توصّلوا لهذه النتيجة.*

4. أنصار الفصحى المخففة

اشتهر هذا الاتجاه عموما عند الكتاب المسرحيين كتوفيق الحكيم، فرح أنطوان، ويوسف السباعي، وهناك من يسميها بـ "الفصحى المخففة" و "العامية المنقحة"¹، وممن دعا إليها محمد تيمور²، وقد يُطلق عليها الفصعية، والمقصود من هذا الاسم المنحوت من كلمتي "الفصحى" و "العامية" اللغة الوسطى التي تمزج بين المستويين الأعلى بالأدنى، وقد يدخل في ساحة هؤلاء قاسم أمين لما قال: "فإذا أتخنا اللغة العربية أن تستوعب المصطلحات الأوروبية الجديدة الخاصة بالاختراعات أثريتنا اللغة، وإذا انتقينا من العامية الكلمات الفصيحة أو التي لها أصل عربي فصيح لم نحتج إلى الاشتقاق والنحت، فنحن خلفاء العرب، وما تخترعه ملكاتنا في اللغة يعدّ عربيا"³، ويؤكّد هذا الاتجاه توفيق الحكيم قائلا: "إنّها تجربة النزول باللغة العربية الفصحى إلى الأدنى لتلاصق العامية

* على سبيل المثال د. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص202، عباس المصري وعماد أبو الحسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، ص60.

1 - ينظر : د. محمد كامل حسين، اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص88.

2 - ينظر: محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مرجع سابق، ص157-206.

3 - ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مرجع سابق، ص282.

دون أن تكون هي العامية، والارتفاع بمستوى العامية دون أن تكون هي الفصحى ، إنّها اللغة الثالثة التي يمكن أن يتلاقى عندها الشعب كلّ¹.

لكنّ هذه الدّعوة مألها إلى بلورة لغة جينية، واعتمادها فلا يقل خطرا عن الدّعاوى التي تنخر في جسد هذه اللغة، لذلك يسقط هذا الخيار أيضا لما يحمل من بذور الانحلال "ومن تصفح تاريخ الأمم والشّعوب رأى أن انحلال الأمّة يبدأ بانحلال اللّغة"².

5. أنصار الفصحى

لما ازداد الشرح اتساعا بظهور العاميات واستشرائها في مجالات ما كان لها أن تدخلها، وعلت أصوات أصحابها بعداوة اللغة، وإلقاء الشبهات من أبناء جلدتها فتصدّى لهم جمع من: " كتاب الفصحى وأنصارها من مثل: عباس محمود العقاد، طه حسين، مصطفى صادق الرافعي، أحمد حسن الزيات،، توفيق الحكيم، المازني، محمود شلتوت، المراغي، عبد الحليم محمود،، هيكل، محمد كرد علي، حسني سبوح، عدنان الخطيب، معروف الرصافي،...، واستطاع هؤلاء أن يفسلوا الدعوة إلى العامية، ويرسّخوا مزايا الفصحى"³.

فقد عمل دعاؤها "على محاربة العامية في الحياة اليومية للجزائريين، حيث كانوا يشمئزون منها ويعتبرونها متغيّرة، فاللهجة تدل على جهل صاحبها، ومن اعتقد أنّها وسيلة للثقافة، فهو في الواقع لا يريد إلاّ ترسيخ الأميّة وترسيخ التخلف الثقافي"⁴ ، كما يعتبرون زواد العاميات بأنهم أذيال الاستعمار وخلفاء لمخططاته التي تهدف إلى أن تضمحلّ وتزول هذه الركيزة اللغوية التي تُعتبر من الأسس والروابط التي تربط ما بين الأمم العربية والإسلامية، بل من المؤكّد أنّ العاميات العربية " أثر

¹ - ينظر: د. صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة، الفصحى والعاميات ، مرجع سابق، ص171.

² - محمود أحمد عمر النشوي، نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجتمع اللغوي، مكتبة المعاهد العليا بالصادقية، مصر، ط1، 1353هـ، ص14.

³ - ينظر: صالح بلعيد، الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟، الفصحى عامياتها، مرجع سابق، ص169.

⁴ - علي عقله، وقفات مع المسرح العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1996، ص208.

من آثار التخلف والجهل، وسمة من سمات الأمية وعامل من عوامل الفرقة، ومعوق من معوقات انتشار التعليم، ويقظة الوعي الوطني والقومي، وهي متشعبة ومنقسمة إلى محليات متفاوتة من حيث مكوناتها وعناصرها، ولكلّ منها معجمها المفرداتي المختلف عن المعجم الآخر، ولذلك لا يصلح أن تخاطب بها الأمة بكل فئاتها وطبقاتها وفي كل مواطنها وأقطارها"¹.

ويبيّن في هذا الصدد الدكتور محمد الأوراعي أستاذ اللسانيات في جامعة محمد الخامس بالرباط أن العاميات تفتقر إلى الحمولات الثقافية، والديوان الحافظ لها، وذلك لغياب الرمز الحرفي للتقييد والحفظ قائلا: "أنه لا يمكن استعاضة الفصحى بالعامية لأنّ العربية الفصحى تتفرّد بجمولة ثقافية ولا تنازعها اللهجات العامية في وظيفة التثقيف الوطني، إذ لم تكن يوما ديوانا للثقافة بسبب افتقارها إلى النسق الحرفي اللازم لنقل المعرفة بالكتابة لهذه اللهجات وبسبب قطريتها"².

ولسان حال كثير من الباحثين والكتاب والعلماء يعتقدون هذا الاعتقاد ويعتقدون هذا المذهب، وإنّ اختلفوا في طرح المخارج، وذلك نظرا لكون اللغة تشكّل المهاد النفسي والقومي والمشاعري والثقافي والفكري للناطقين بها، والفصحى تحديدا هي لغة الدين والعلم، وهي الامتداد الثقافي والحضاري، وقد شكلت على الدوام رمزا لوحدة أمتنا وأداة لتواصلنا وتآلفنا، وإحلال العامية محلها سيعمل على تفتيت هذه الوحدة وتمزيق هذا الرباط التآلفي والتّعارفي وسيجعل من الأمة أمما شتى، وأقواما متفرقين"³، وأمّا الواجب على أنصارها ودعائها أن يقفوا وقفة واحدة كالجسد الواحد سيّما العرب منهم، وألا يقبلوا أنصاف الحلول، ولا نقاش في المبادئ وقد نادى أحدهم لتحريك

¹ - حكيم رحمون، مستويات اللغة العربية بين الواقع والمأمول، ص109.

² <https://WWW.DW.COM/AR.29.04.2010>.

³ - عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، مرجع سابق، ص55.

المهم قائلًا: " ونحن كعرب جنسا وتاريخا وثقافة وعقيدة، لا يسعنا إلا أن نفخ أمام هذه المؤامرة ضد لغتنا القومية موقفا صلبا لا هوادة فيه"¹.

هؤلاء الأنصار لهم آمال كبيرة في إحياء المنطوق الفصيح وتحويله إلى لغة وظيفية وعفوية في حياتنا المعيشية، إذ يرون " أن تبني العربية الفصيحة أداة تواصل في الحياة اليومية يمكن تحقيقه، لأنّ الأداة اللغوية جاهزة، لا تحتاج إلى تفصيح ولا إلى تهذيب، بل هي في حاجة إلى نشرها بكيفية مكثّفة في الحياة العامة بالوسائل السمعية البصرية وبشبكات الاتصال الحديثة المختلفة التي يعرفها عصرنا الحالي، مع الأخذ بعين الاعتبار ما توصلت إليه بعض البحوث اللسانية التطبيقية وخاصة في التعليمات والتخطيط اللغوي"²

أودّ أن أذكر كلاما لأحد روادها عاش الوبلات اللغوية العربية، والمعركة الضارية غير المتكافئة، صارخا ومصوّرًا لسان اللغة العربية وهي تنعي حضنها من أبنائها عام 1903م لشاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم قائلًا³:

.....
رَمَوْنِي بِعُغْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي	عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي	رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَعَايَةً	وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ	وَتَنْسِيْقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

¹ - محمد الطاهر فضلاء، المسرح تاريخًا ونضالًا، مجلة الثقافة، العدد 90، نوفمبر - ديسمبر 1985، ص 280.

² - د. طاهر ميلة، الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، الفصحى وعامياتها، مرجع سابق، ص 191.

³ - ديوان حفظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987، ص 253.

فَهَلْ سَأَلُوا الْعَوَّاصَ عَنْ صَدَقَاتِي؟	أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ - أَسَاتِي	فِيَا وَيُحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي	فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِتْنِي
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بَعَزَّ لُغَاتِ	أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ	أَتُوا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفُنُّنَا
يُنَادِي بِوَادِي فِي رَيْعِ حَيَاتِي؟	أَيُّطِرْكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ
.....

6. أنصار تفصيح العامية

تفصيح العامية مبنية كما يزعم أصحابها على دراسات جادة لتتبع ألفاظ العامية ذات الأصل الفصيح، والغرض من هذا الاتجاه إثبات اللهجات بأنها مزدانة بالعربي الفصيح عن طريق البحث والاستدلال اللغوي، وقريبا من هذا الرأي قول القائل واعتقاده أن: "الاستعمال العفوي في الواقع التداولي هو الذي يضمن تجذّر العربية في القلوب والعقول، وتمكنها من الألسنة، وسبيل ذلك هو تقبل التنوّعات اللهجية المتعددة، والعمل على تقاربها تدريجيا، وشيوع الألفة بين الأنماط اللسانية المتباينة في الأمة العربية الواحدة وتنقيتها شيئا فشيئا بفعل الاستعمال الواعي من الشوائب، مع الاحتفاظ بطبيعتها الفصيحة وجوهرها الأصيل"¹.

إنّ دراسة اللغة الدارجة التي نستعملها في حياتنا اليومية ذات أهمية في الدّراسات اللسانية الحديثة كما يزعمون، وذلك أنّها تضع أيدي الباحث في هذه الدراسات على عدة أمور كما يعتقد

1 - أ. ياسين مدّان، أثر الاختلافات اللهجية في الخطاب العربي الفصيح، مجلة التواصلية، مج6، جامعة يحي بن فارس المدية، الجزائر، ع18، ديسمبر 2020، ص485-486.

كثير من أصحاب هذا الاتجاه، ومنهم الباحث العراقي كاصد الزيدي، إذ يذكر بعض النقاط المهمة حول هذا الشأن وسأذكرها بشيء من التصرف والاختصار¹:

- الكشف عن مواطن القوة والضعف في كلامنا اليومي؟، وذلك برده إلى الفصح الذي يكشف عن أصالته العربية.

- إنّ هذه الدراسة تفيدنا في معرفة التطور اللغوي التاريخي للغة الفصيحة ولصورها التي كانت عليها ثم ما طرأ عليها من تغيير وتبدل كالقلب المكاني.

- إنّ هذه الدراسة توقفنا على تاريخ الانحراف اللغوي أو الغلط للفظ من الألفاظ من حيث المعنى، أو توقفنا على هذا الانحراف من حيث اللفظ.

- دراسة الألفاظ العامية وتسجيلها أمر ضروري تمليه الدعوى إلى الفصحى لا العامية، لأننا إذا علمنا بعد هذه الدراسة المستوعبة لأكثر عدد من الألفاظ أن لعاميتنا أصولاً فصيحة من كلام العرب فيكون عاملاً على استعادة لغة الآباء والأجداد.

- إنّ تسجيل اللهجة العامية يحفظ الفصحى من التبدل إلى العامية ويقرب العامية من الفصحى، لأنّه قد يصحب هذا التسجيل نقد لغوي ويدعو للعودة إلى الاستمساك باللفظ العربي ومن ثم العودة إلى الفصحى في لغة التخاطب اليومي.

من جهة أخرى يظهر لنا أنّ البحث وتسخير الجهد حول العاميات أهي عربية الأصل، أم لا؟ ليس كبير فائدة في الحالة اللغوية المزرية التي تعيشها الأمة العربية اليوم، هب أنّ أصولها عربية 100% أتزل عقدة اللسان عن أبناء الأمة العربية، أتجعل ألسنتها ذات طلاقة وسلاسة، أتزيل غموض الألفاظ في العملية التواصلية ما بين أبناء الأمة، وهل يلزم من أنّ أصولها عربية إخراجها من دائرة الغرابة والألفاظ العامية؟...

¹ - ينظر: د. كاصد الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، مرجع سابق، ص 37-41.

وهذا المذهب في نظرنا متأثر ببعض الأعمال اللسانية حول أصل اللغة كالدراسة التطبيقية للدكتورة تحية عبد العزيز إسماعيل في كتابها العربية الفصحى أم اللغات الهندية والأوروبية وأصل الكلام، الذي نشرته باللغة الإنجليزية، قالت: إنَّ بحثها هذا هو خلاصة جهد استغرق عشر سنوات، وأكدت أن 80% من أفعال السكسونية عربية الأصل، وأن 75% من أفعال اللغة اللاتينية عربية الأصل، فهذا لا يغير من أعجميتها شيئاً، ولا من إزالة غرابتها¹، فإذا سألت كثيراً من هؤلاء الدارسين عن هدفهم من هذه الدراسات، قالوا الأوربيون يفعلون ذلك!

ويعتقد بعض الباحثين أن هذا الاتجاه يبقى خطوة مهمة في سبيل التقريب بين مستويي الفصحى والعامية، قد تُقبل هذه النظرة إن كان المقصود منها التصحيح ما اعوجَّ في ساحتها، وبيان انحرافها فتلك دعوة خادمة لمصلحة تكريس الفصحى وتطهير هذه الظاهرة، شريطة ألا ينصب جل اهتمامنا حولها.

وإن كان المقصود بها كما يدعو بعض الباحثين أن تُسخرَّ جلَّ اهتمامنا حول هاته المسألة كقول أحدهم "يجب علينا أن ندرس اللغات العامية (dialects)، واللهجات المحلية (patois)، المنتشرة في مختلف البلاد العربية: ما هي أنواعها؟ وما هي خصائص كل نوع منها من حيث الكلمات والألفاظ والتعابير؟ وما هي حدود انتشار كلِّ واحدة من تلك الكلمات والأساليب والتعابير؟ وما هي أسباب اختلاف هذه اللهجات عن الفصحى من ناحية، وبعضها عن بعض من ناحية أخرى؟"²، وهذا الطرح لا يتناسب عقلاً مع الظاهرة اللغوية التي لا تتميز بالاستقرار والثبات، إذ ما الفائدة المرجوة من هذه الدراسات التي تأخذ العمر كله؟!

والعجيب أن هؤلاء عززوا هذه الدعوة بشرعية لغوية التي قام بها الرِّعيل الأول، إضافة إلى القرن الرابع، حيث سخَّروا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة اللغة بجميع مستوياتها، انطلاقاً من مبدأ ما لا يتم

¹ - ينظر: محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق، ص 26.

² - ينظر: د. أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص 8.

الواجب إلاّ به فهو واجب، ولا نراه إلاّ قياساً مع الفارق، حيث يقول أحدهم: "ويجب علينا أن لا ننسى أنّ علماء اللغة القدماء تجوّلوا بين القبائل، ودوّنوا ما سمعوه وما لاحظوه بكلّ تفصيل واهتمام، فيحسن بنا أن نفتدي بهم في هذا المضمار، فنلاحظ ونسجل ما نسمعه من خصائص الكلام، في كل مدينة، وفي كل بيئة، بين الزارع والعمال وبين البنائين والتجار، إلى المدن والأرياف ن بين الرجال والنساء بين الكهول والأطفال"¹.

لا يُرى هذا إلاّ ضلالاً في السعي وهدراً للأموال والأعمار والجهود* بدليل أنّ تلك الجهود ظهرت في الساحة العربية منذ 1913 إلى يومنا هذا على شكل مؤلفات ومؤتمرات وندوات، ومدكرات التخرج وغيرها فلم تؤت أكلها، بل انتشر التهجين في كل البلدان العربية، سيما في الجزائر فقد غرز مخالبه، وكاد أن يعصف باللغة، حتى صرنا مثلاً يُذكر في الاحتجاج كما فعل الدكتور عبد الصبور حينما أشار إلى خطر الدخيل على العامية المصرية قائلاً: "يوشك أن تغرق العربية الشعبية في طوفان الدخيل، وحينئذ قد نواجه ما واجهت شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) من استعجاب ألسنة الناس، يومها لن نجدنا أن نبدأ جهوداً مضادة لتعريب الألسنة على طريقة قل ولا تقل"².

ولو تمثلت الأمة منذ ذلك الحين (1913م) لتفعيل ما كتبوه في هذا المجال ميدانياً في شتى زوايا الحياة لقطعنا شوطاً كبيراً في تضيق دائرة العامية المهجينة، وقد أجاد ابن المقفع لما قال: "لا يتم حسن الكلام إلاّ بحسن العمل، كالمريض الذي علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداو به لم يغنه علمه"³

¹ - ينظر: د. أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص10.

* على سبيل المثال: يقول الباحث العراقي كاصد الزبيدي بأنه قضى سنين كثيرة تقرب من خمسة عشر سنة في دراسة العامية ووشحتها بالفصحى، ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو، ص32.

² - عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، ص253.

³ - عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1977، ص57.

، فالفطرة السوية تملئ علينا أنّ المعرفة الناجعة للنظريات هي التي تُنزل في حيز التنفيذ والتفعيل وإلاّ ظلّت حبرا على ورق، ونفخة في الرماد.

ومن صور التّفعيل والتّطبيق على سبيل التّمثيل ما ذكره الدكتور عبد الملك مرتاض حيث يقول: "لو كان في كل حي خمسة عشر مثقفا أو أكثر، وأصبح كل واحد منهم يتكلّف عبارات وألفاظ فصيحة في أحاديثه مع جيرانه ومعارفه، لطمعنا في أنّ قومنا لا تتعرب لهجاتهم وتحسن لغتهم فحسب، ولكن لعلهم أن يصبحوا ممن يستعملون في أحاديثهم اليومية كثيرا من الألفاظ الفصيحة العالية"¹، بل يؤكّد ويجزم على أنّ المثقفين لو أخلصوا - يشير إلى صدق الانتماء - في عملهم - تنقيح العامية - لتوصلا إلى نتائج ثورية²، وما هذه في نظرنا إلا حلولا ترفيحية تعمل علي منع اتساع الخرق على الراقع.

هذا الاتجاه أثبت الواقع على عدم جدواه، سيما أنه قطع فترة زمنية معتبرة للتغيير تُقدّر بجيلين ونصف، مع الأعمال الهائلة النظرية التي ساهم بها تقدّر بالآلاف، ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها:

- انجراف العامية على الساحة العربية وخاصة بعد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي.

- عدم تفعيلها على الساحة لأنها تفتقر إلى صدق الانتماء.

- لم تعن بالاستقراء التّام في جمع المادة.

- كثير من هذه الدّراسات قد خالطها شيء من الغلو، والتّكلف في إرجاع كثير من ألفاظ عامية إلى أصلها الفصيح.

ولكن بعد التّظر في هذا الاتجاه بتأنٍ وتؤدة وعمق يميل رأينا إلى أنّ هذه الدّراسات اللهجية تكتنفها الصّعوبة، بل تكاد تقترب من الاستحالة، لأنّ العاميات كائن حيّ ينمو بدون توقف ،

¹ - د.عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 198، ص9.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص11.

وبخاصة في الأزمنة الحديثة كأثمة انجراف، وقد استأنسنا لهذه الصعوبة لما وجدنا من يذهب إلى أنّ هذه الدراسات لا يمكن تحقيقها واستيفائها إلا بشروط خمسة وهي:¹

1- استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحيتين الصوتية والدلالية وتدوين ذلك في معاجم وأطالس لغوية.

2- إتاحة الفرصة لبعض المتخصصين في الدراسات اللغوية والصوتية للقيام برحلات إلى البلدان العربية، وتسجيل نماذج من لهجاتهم الحديثة في جانبها المحلي والطبقي.

3- القيام بعد ذلك بدراسة صوتية مقارنة بين هذه اللهجات للكشف عن مدى ارتباط هذه اللهجات الحديثة باللهجات القديمة.

4- استقراء الروايات التي وردت عن اللهجات القديمة في كتب اللغة والأدب والنحو والتأريخ.

5- الاستعانة بالمتخصصين في التأريخ الإسلامي، لبحث هجرة القبائل العربية وتنقلها في عصور مختلفة.

من اطلع على هذه الشروط يتيقن بلا ريب بأنّ هذه الدراسة لا يمكن تحقيقها في ظل هذه الشروط مع السياسة المنتهجة في الأوطان العربية، إلا إذا كانت أعمالا في إطارها الضيق على وجه تصحيح الغلط واجتنابه، وتفعيله في بعض المواطن، لأنّها صعبة التعميم، إن لم تكن مستحيلة التفعيل كما أشرنا آنفا.

بناءً على ما تقدّم من التّأصيل والتوضيحات يجدر بنا أن نتساءل من باب محادثة النفس ومراجعتها: هل من الضروري أن نتمسك ببعض آراء المحدثين بدراسة العاميات وتأصيلها؟ ونعتبرها القول الفاصل فيها، أفلم يختلف هؤلاء أنفسهم في الحلول البديلة الناجعة؟ هل يتحتّم علينا أن نصرف قوانا في سبل البحث والتنقيب عن اللّهجات والعاميات التي لا ينتهي تنوعها؟ أليس هذا من

¹ - ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع 7، ص 316-318.

بطلان الدور؟ ألا يمكننا أن نصرف هذه القوى في سبيل نشر وتعميم الفصحى، لاسيما مع وجود الآليات بشتى أنواعها؟ ألا يمكننا أن نفعل مجهودات المجلس الأعلى للغة العربية؟ أفلا يحسن بنا أن نلجأ إلى هذا الاقتراح ولو على سبيل التجريب والاختبار؟ أيعز علينا أن نصرف عشر المعشار من الوقت الذي سخرناه للعاميات لتفعيل الفصحى وممارستها؟ ألم يأن للصادقين أن يتفطنوا لتضييع الوقت فيما لا يغني ولا يسمن من جوع؟

إذا الإشكالات مطروحة في الساحات اللغوية، وأنصاف الحلول وشبهها موجودة في التوصيات والاقتراحات، إلا أنّها بعيدة المستساغ، صعبة المرام والتفعيل، إنّ حال اللغة الفصحى تعيش "ما بين هذا وذاك تبدو المسافة كبيرة وشاسعة، فلا الفصحى تتغير أو تنتصر، والعامية تتبعثر وتندثر، واللسان مبلبل بين هذه وتلك، إنّ أمر مفروض علينا شئنا أم أبينا ومن المفيد أن نقرأ الواقع اللغوي جيّدا علنا نصل إلى حدّ التداول الآمن للغة، بعيدا عن التكلف والتفريط، تكلف الفصحى التراثية الكلاسيكية أو التفريط بها"¹.

ومن الحلول التي نراها علاجا موضعيا، وخادمة لهذا الاتجاه -ولو على سبيل الإسعافات الأولية- الأخذ ببعض التوصيات والاقتراحات المنبثقة عن الندوة العلمية الدولية التي جرت فعاليتها في فندق الأوراسي يومي 4-5 جوان 2007 حول: الفصحى وعاميتها، كما تنفع جل التوصيات التي انبثقت عن اليوم الدراسي حول "اللغة العربية بين التهجين والتهذيب الأسباب والعلاج" المنظم كذلك من طرف المجلس الأعلى للغة العربية عام 2010م، فهذه مجموعة من الحلول كفيلة أن تحوّل دون هذا الانحراف والدوبان، والتي يمكن إيجازها على النحو الآتي:²

¹ - الحاج كمال، في فلسفة اللغة، دار النهضة للنشر، بيروت، ط2، 1972، ص222.

² - الفصحى وعاميتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، منشورات المجلس 2008/ص488-489، وينظر: الأستاذ عمر لحسن، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب "الأسباب والعلاج" المقرر العام، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص405.

- تنقية العربية من التهجين والتشويه اللغويين في الوسائط السمعية البصرية بتهذيب العاميات وتقريبها من الفصحى في البرامج والحصص الموجهة للفئات الشعبية.
- تعزيز مكتسبات الطفل اللغوية عن طريق البرامج الثقافية والترفيهية بما يساعده على استعمالها بيسر من حيث الاستيعاب والتعبير.
- اعتماد اللغة العربية في شتى مجالات البحث العلمية والتكنولوجية، وبخاصة في مجال الشبكة أو الإنترنت وهذا من شأنه أن يثري العربية ويساعد على بناء مجتمع المعرفة والإدارة الإلكترونية.
- العناية باللغة العربية في كل الملصقات واللافتات وعلى واجهات المحلات.
- التخفيف من وطأة العاميات واللغات الأجنبية التي تزاحم العربية، وإقناع الناس بأن الدفاع عنها دفاع عن الأمة كلها، ودفاع عن هويتها.
- تفعيل دور الأسرة في تعليم اللغة العربية السليمة، سواء بحثهم على استعمال العربية في تعاملهم اليومي، أم بتشجيعهم على المطالعة، ومشاهدة برامج الأطفال التي تقدم على التلفزيون باللغة العربية الحديثة.
- تهذيب لغة الطفل في المدرسة الجزائرية، والاستفادة من مخزونه اللغوي عن طريق إنشاء معجم لغوي لما يرصده من مفردات وألفاظ تساعد الطفل على تلبية حاجاته والتعبير عن أفكاره ومشاعره، والاستعانة بمعاجم اللغة الفصحى والعامية ومعاجم المصطلحات العلمية.
- العمل على توجيه الازدواجية اللغوية بين الفصحى والعامية، واستثمار الزخم اللغوي خدمة للفصحى، وتبقى المسؤولية مشتركة بين المدرسة والمحيط.
- دعوة المدارس إلى تفعيل اللغوي داخل الأنماط اللغوية السليمة، وأن يكون المعلم قدوة في الاستعمال اللغوي السليم.

قصارى القول أنّ الدعوة إلى العاميات وشبهها دعوة استعمارية صليبية تمتدّ جذورها إلى أكثر من قرنين من الزمن، وقد عرفت في أواخر القرن الماضي وبدايات القرن العشرين أوج صراعها الضاري، بين دعاة العامية ومن ورائهم الاستعمار الأوربي وبخاصة الفرنسي والإنجليزي، وبين حماة العربية المتمسكين بها وبتراثها، وبوسائلهم المحدودة، وهذا لا يعني أننا نحدد منزلة العامية من المحيط الإنساني، إذ هي لغة التواصل اليومي، ولغة التعبير العفوي، طالما كانت العاميات في حدودها، فلا تتأثر بالتأثيرات التي تخرجها عن ملتها وأصولها، فتجعلها هجينة غريبة، ومن ثمّ عدواً منافساً بأيدي أعدائنا، وإلاّ اتخذت ظهرياً ونبذناها وحاربناها بكلّ ما نملك من الحجج لأنّها عامل من عوامل الاختراق اللغوي.

في حين يتوجّب علينا أن ننزل اللغة الفصحى منزلتها، ونعطي حقّها، ونصون محيطها وجمها، وأن نعمل على نشرها، وهو رأي كلّ المجمعين، وكذلك جلّ اللسانيين المعاصرين الذين ينتمون لهذه اللغة، كيف لا وهي لغة الدّين والعلم والحضارة، والحبل الرابطة ما بين ماضينا وحاضرنا، زيادة على هذه المزايا فقد أخذت مكانتها بين اللغات العالمية، كما اعترّف بها لغة رسمية تُستخدم في الهيئة العامة للأمم المتحدة، وفي تنظيماتها، كمنظمة الأمم التربيّة والعلوم والثقافة، ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمال الدولية، كما أنّها لغة رسمية ولغة عمل لمنظمة الوحدة الإفريقية، وإلاّ حالنا شبيه بالعبير الذي يمشي في الفيافي وهو ظمآن والماء على ظهره، وقد قال الشاعر طرفة بن العبد:

وَأَمْرٌ مَا لَقَيْتُ مِنْ أَلْمِ الْهَوَىٰ قُرْبُ الْحَيْبِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعَيْسِ* فِي الْبَيْدَاءِ يَفْتُلُّهَا الظَّمَا وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

الفصل الرابع :

آثار الازدواجية على المهارات اللغوية في الطور الثانوي

أولاً: الاستماع

ثانياً: التعبير الشفوي

ثالثاً: إجراءات الدراسة الميدانية

رابعاً: دراسة النتائج وتحليلها

خامساً: التوصيات

نظرا للأهمية التي يملها موضوع الدراسة، وبعد الإنهاء من الجانب النظري الذي تناولنا فيه بعض المفاهيم المتعلقة بالازدواجية وتحديدتها، ورفع اللثام عن بعض الشبهات وردّها، كان لزاما علينا أن نخوض الدراسة الميدانية* لتأكيد الفرضيات أو نفيها التي أشرنا إليها في مبحثنا، ومدار أمرها ينصبّ على الآثار التي تتركها الازدواجية على المهارات اللغوية لدى تلاميذ التعليم الثانوي • وركزنا على مهارتي الاستماع والمنطوق كتوطئةٍ لِمَا لهما من أهمية في الحياة التعليمية والمعاملات اليومية.

ومن جهة أخرى أن كثيرا من الباحثين والمتخرجين من كليات الآداب واللغات تطرقوا إلى المهارات الأخرى كمهارة القراءة والكتابة باستفاضة، وإليك هذا البيان:

أولا: الاستماع

1. لغة

يعرفه الدكتور إبراهيم حراشة بقوله: "الاستماع لغة من سَمِع، والسمع قوة في الأذن بما تدرك الأصوات والجمع أَسْماع"¹

* الدراسة الميدانية: "هي الدراسة التي ينزل فيها الباحث أو فريق البحث إلى المجتمع أو الجماعة ويقوم بجمع للمعلومات والبيانات تنطوي على تحقيق الفرصة إما من أفراد المجتمع بأسره، إذا كان صغير الحجم، وإما من عينات مسحوبة منه وذلك بجميع الوسائل الممكنة المتاحة والمناسبة له وهذه البحوث تجري في مجال العلوم الإنسانية والحيوية والطبية"

مروان عبد المجيد إبراهيم: أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل العلمية، مكتبة الوراق، عمان، ط1، 2000م، ص37.

• يقصد بالتعليم الثانوي "المرحلة التعليمية العامة التي تستغرق ثلاث سنوات دراسية، وتأتي مباشرة بعد دراسة تسع سنوات في مرحلة التعليم الأساسي، والتي تعد السنة الأولى من هذه المرحلة العامة، أما السنتان الثانية والثالثة فينقسم التعليم فيهما إلى قسمين رئيسيين هما القسم الأدبي والقسم العلمي".

أحمد طعيمة، محمد السيد مناع، تدريس العربية في التعليم العام(نظريات وتجارب)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1421هـ/2001م، ص241.

¹ - د.إبراهيم محمد علي حراشة، المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق، دار الخزامة للنشر والتوزيع، 2008، ص130.

2. اصطلاحا

جاء في المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق أن الاستماع هو: "فهم الكلام أو الانتباه إلى شيء مسموع مثل الاستماع إلى متحدث بخلاف السمع الذي هو حاسته وآلته الأذن"¹.

وهناك من عرّفه بكلمات أوسع في الإدراك حيث يعرفه الدكتور أحمد صومان بقوله: "هو عملية إنسانية مقصودة تهدف إلى الاكتساب والفهم والتحليل والتفسير والاشتقاق، ثم البناء الذهني"².

ويرى بعض المربين أنّ الاستماع نوع من القراءة لأنّه وسيلة إلى الفهم، وإلى الاتصال اللغوي بين المتكلم والسامع، فشأنه في ذلك شأن القراءة التي تؤدي إلى هذا الفهم وهذا الاتصال³

فالاستماع هي العملية الإدراكية فهما وتحليلا وتفسيرا، الحاصلة من استقبال المعاني والأفكار وراء ما يسمعه من الألفاظ والعبارات، "إذ هو عماد كثير من المواقف التي تستدعي الإصغاء والانتباه كالأئلة والأجوبة، والمناقشات والأحاديث، وسرد القصص والخطب والمرافعات والمحاضرات... وفيه تدريب على حسن الإصغاء، وحصر الذهن، ومتابعة المتكلم، وسرعة الفهم، وتبدوا هذه الأهمية لطلاب الجامعات لأنّ عماد الدراسة لديهم إنّما هو المحاضرات والاستماع إليها"⁴.

من المعلوم أن الاستماع أول فن ذهني عرفته البشرية، وترت عليه، إذ تدور عليه عملية المعرفة في كل مرحلة من المراحل المعرفية، وهو أساس كل المهارات لأنه عملية واعية مدبّرة لغرض معين يتمثل

1 - د. إبراهيم محمد علي حراشة، المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 130.

2 - د. أحمد صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، زهران للنشر، عمان، د ط، 2009، ص 143.

3 - ينظر: جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، ط 13، 1433هـ/2012، ص 89.

4 - المرجع نفسه، ص 90.

« Didactique »، وغيرها من مستلزمات الحياة، ولا تتحقق هذه المهارة إلا بوجود المكونات الإدراكية وهذا ما أشار إليه الدكتور إبراهيم محمد في قوله: "هو تمرين التلميذ على الانتباه وحسن الإصغاء وإحاطتهم بمعنى ما يسمعون... ويتطلب مهارات عقلية عليا مثل التمييز والفهم، والتفسير والنقد والتقويم"¹.

فينبغي أن نولي لهذه المهارة اهتماما مبكرا وجعلها جزءا أساسيا في مقررات التعليم، فيتمرن أطفالنا وتلامذتنا على استخدامها في مواطنها بكفاءة في حياتهم التربوية والثقافية والاجتماعية، إلا أنّ الظاهر في مؤسساتنا إهمال هذه المهارة مما أثرت سلبا على المهارات الأخرى، "تشير الاختبارات إلى أنّ كثير من الطلاب يفقدون ما يقارب نصف الأفكار الرئيسية، وتقريبا ثلاثة من كل خمسة من التفاصيل أثناء الاستماع... ولكنّ الكثير منهم يواجهون المشاكل بسبب عدم تطويرهم لمهارات الاستماع"².

3. مهارات الاستماع

إن لهذه الملكة عدة مهارات أساسية وقد ذكرها كثير من الباحثين في مجال التعليمية منها:³

- 1- أن يميّز بين الكلمات ذات الأصوات المتشابهة في النطق (وفي تراثنا كتب كثيرة منها الأشباه والنظائر).
- 2- يفهم محتوى الجملة عند الاستماع إليها.
- 3- يختار العنوان المناسب للموضوع الذي سمع إليه.
- 4- يحدد الأفكار الجزئية ذات الصلة بالموضوع الذي يستمع إليه.

¹ - د. إبراهيم محمد علي حراشة، المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق، ص 131.

² - عبد الله علي مصطفى، مهارات اللغة العربية، دار المسيرة، ط1، عمان، 2002، ص 66.

³ - ينظر: د. أحمد جمعة أحمد نايل، الضعف في اللغة تشخيصه وعلاجه، دار الوفاء، مصر، ط1، 2006، ص 144.

5- يرتب ما يستمع إليه من أفكار.

6- يستخلص أهم الأفكار التي ينتفع بها ويستفيد منها.

وهناك مهارات أخرى مثل التمييز بين الخيال، وتوقع ما يقال، فهم الكلام قبل أن يفسر، القدرة على الانتباه، تنمية الذوق الجمالي لما يستمع إليه، وكل هذا مبني على استعمال العقل والفكر.

فالاستماع أبو المهارات اللسانية، فهو الحاسّة المعتمدة والمعوّل عليها أثناء اكتساب الملكات اللغوية، إن المتعلّم الذي يبدأ التعلّم عن طريق الأذن، ويتعرض لمهارات مختلفة حول الاستماع، تنمو مفرداته وتراكيبه وأساليبه اللغوية، وعلى ممر السنين سيصبح لنا جيل يستوعب مضمون ما يسمعه، ويستطيع أن يتفاعل معه مع إبداء الرأي فيه، متصفاً بالاتجاهات السلوكية السليمة كاحترام المتحدث، والصبر عليه، وإبداء الاهتمام بقوله.

الجدير بالإشارة أنّ هناك فرقا جوهريا بين السّماع والاستماع، يقول الدكتور إبراهيم محمد علي: "الاستماع مهارة معقّدة يعطي فيها الشخص المستمع المتحدث كل اهتماماته، ويركّز انتباهه إلى حديثه، ويحاول تفسير أصواته وإيماءاته، وكل حركاته وسكناته، فالسّماع عملية فيسيولوجية تولد مع الإنسان وتعتمد على سلامة عضو السمع وهو الأذن"¹.

ومن هذا الفرق يمكن لنا أن نميز ثلاثة مصطلحات بناء على ما سبق:

1- السّمع: حاسة من حواس الإنسان، أدواته الأذن.

2- السّماع: هو مجرد إدراك الصوت عن طريق استقبال الجهاز السّمعى للأصوات.

3- الاستماع: هو عملية إنصات إلى الرموز المنطوقة ثم تفسيرها وإدراكها.

¹ - د. إبراهيم محمد علي حراشة، المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق، ص142.

لا يخفى علينا أنّ التعليم الثانوي هو إحدى المراحل الهامة في بنية المنظومة التربوية الجزائرية، باعتباره يشكل حلقة وصل بين التعليم الأساسي والجامعي.¹

ومن جهة أخرى يعدّ طوراً مهماً تترسّم فيه شخصية المتعلم كما يتبلور فيه سلوك المتعلّم اللغوي والفكري والتفاعل الاجتماعي والتربوي، إذ من المتوقّع أنّه اكتسب في هذه المرحلة أهم المهارات والملكات العقلية واللغوية التي تؤهله للاستيعاب والطلاقة اللغوية، وهذا نتاج بديهي من الناحية النظرية والمدّة الزمنية التي استغرقها في التحصيل والتعليم.

كما هو معلوم من الأهداف التي تنشدها أيّ دولة من وراء التعليم الثانوي تحقيق القيم والاتجاهات السليمة ومن أهمها:

- تنمية المهارات المتنوعة والمهارات اللّغوية بخاصة حيث يستطيع الطالب كسب المعرفة الذاتية، واختبار ما يقرأ ونقده، واتخاذ موقف نحوه، وتوظيف كل ذلك في المجالات الإبداعية التي يهتم بها.
- تنمية الثروة اللغوية والأسلوبية، وإقدار الطالب على ممارسته القراءة والاطلاع على دوائر المعارف ليستوفي نموّه الذاتي، وتمكينه من استخدام القواميس والمراجع فيما يدرس أو يقرأ أو يعبر عن مجالات المناقشة والحوار والنقد، وليواجه الصعوبات اللّغوية.
- تمكينه من القدرة على الحكم والاختبار والنقد، والميل إلى الموضوعية والنشاط اللغوي لتحقيق ذاته، والتفاعل مع مجتمعه.²

¹ - ينظر : برو محمد، أثر التوجيه المدرسي على التحصيل الدراسي في المرحلة الثانوية، دار الأمل، الجزائر، دط، 2010م، ص260.

² - د. إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس اللغة العربية، مركز الكتاب للنشر، ط2، 2006م، ص58.

وهذا ما أولته مناهج الإصلاح في سعيها إلى "جعل اللغة العربية لغة التواصل وللخروج بها إلى أفق أوسع، وتحريرها من القيود التي كبلتها بها المدرسة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا بعيدة عن ميدان التواصل اليومي الذي هو دور كل لغة بشرية"¹.

ثانيا: التعبير الشفوي

يعرّف التعبير الشفهي على أنه "قدرة الإنسان على أداء ما في عقله ونفسه من معان وأحاسيس بعبارات واضحة صحيحة، فهو الملكة التي تقدح في ذهن الإنسان ليتمكن من الإفصاح عما يجول في خاطره بمرآة عاكسة للمواقف التي يتعرّف إليها في حياته اليومية، كما يعرف بأنه القدرات الكامنة عند الفرد التي يفصح عنها بعبارات متسلسلة ومرتبطة يتمكن القارئ أو المستمع أن يفهم بيسر المسموع والمقروء"².

التعبير الشفوي هو العملية العفوية المنطوقة للغة الفصيحة فيشمل مهارة التحدث ابتداء للوصول إلى الملكة التواصلية وتحقيقها، ولا يكون ذلك إلا بتفعيل المنطوق الفصيح في الوضعيات التواصلية ما بين طرفي العملية التعلّمية أو خارجها" إلا أنّ إهمال التعبير الشفوي في الحياة المدرسية، أو اعتباره نشاطا ثانويا يمارس فقط من خلال الشروح، أو من خلال التمهيد للإنشاء، إن هذا الإهمال هو الذي حرم أبناءنا من ممارسة لغتهم ممارسة فنية وطبيعية ومن ثم أصبحوا عاجزين عن الاسترسال في الحديث ومتهيئين من ممارسته"³.

1 - ينظر: اللجنة الوطنية للمناهج، مناهج التعليم المتوسط، الجزائر، مارس 2016، ص30.

2 - سعد علي زائر، سماء تركي داخل، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان 2015، ط1، ص83.

3 - د.فضيل عبد القادر، من أجل ترقية اللغة والنهوض بتعليمها : بعض الاتجاهات التي تعالج إشكاليات طرائق تعليم اللغة العربية في مدارسنا، إتقان العربية في التعليم، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4 و5 محرم 1424 الموافق ل 9-10 أبريل، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، يونيو 2000، ص97.

لذا فالإهمال التام لهذه المهارة أو اعتبارها ثانوية لا يلتفت إليها إلا تباعاً، ممّا سيساهم في تعقيد اللسان، وتحقيق العجز عن الطلاقة اللغوية وسلامتها، وحل هذه المعضلة لا بد من ردّ الاعتبار للتعبير كمهارة لا تقل عن المهارات الأخرى، بل لا بد من إعطائها الأولوية للأسببية التي تتمتع بها زمنياً لأن "اللغة المحكية سابقة زمنياً للغة المكتوبة، غني عن الذكر أن الإنسان يتعلم لغته قبل أن يتعلم كتابتها"¹.

وفي نفس السياق يؤكد أحد الباحثين على ضرورة الممارسة الكلامية لتفعيل العناصر اللغوية وصقلها على اللسان قائلاً:

"ليس هناك طريقة لبعث الحياة أو الحيوية والنشاط في العناصر اللغوية المكتسبة خير من الممارسة الفعلية الدائمة للكلام بمختلف نشاطاته وأشكاله وأوضاعه الممكنة، واستغلال كل الفرص التي تسمح بها الإمكانيات الفردية الخاصة وظروف الحياة الاجتماعية لتنفيذ هذه الممارسة، فالكلام هو المادة التي تتكون من اللغة وهو الوسيلة التي تحيا بها اللغة وتتأصل وتستمر"².

مع العلم أن المناهج المعاد كتابتها قد اعتمدت المقاربة التواصلية، وأولتها اهتماماً كعملية ضرورية في تعليمية اللغة العربية إدراكاً لفعاليتها في صقل العناصر اللغوية في الأذهان وعلى اللسان "الهدف الأول والأخير والغاية البعيدة والقريبة من تعليمية اللغات هي تحصيل الكفاءة التواصلية وهو هدف شامل... إذ تتكون بدورها من عدة كفاءات أخرى حيث تعكس هذه الكفاءة التمكن من النظام اللغوي"³، قد تُعتبر هذه الاهتمامات حبراً على ورق، لأنها لم تُفعل صورته كالمحادثة، والمناقشة، وحكاية القصص والأخبار، وإلقاء الكلمات والخطب، والإعلانات، والدعوات... ونحو ذلك إلا نسبياً.

¹ - ميشال زكريا، الألسنة (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية 1403هـ-1983م، ط2، ص151.

² - معتوق أحمد، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، اغسطس 1996، ص226.

³ - أحمد سعيد مغزي وآخرون، دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، دار الأوراس للنشر، ص25.

مما سبق يتبين لنا أهمية هذه المهارة المفقودة عمليا فيما يلي:

- كونه مجالا للممارسة الفعلية للغة والتدرب على استخدامها
 - تظهر العلاقات ومدى ارتباطها بين الصورة الرمزية والصورة الفكرية (تطابق الأسلوب والخيال).
 - إظهار العلاقة ومدى ارتباطها بين الدوال والمدلولات (قيمة الكلمة ودقتها).
 - إظهار الرصيد اللغوي والمعرفي والحقل الدلالي.
 - إظهار مدى استرسال في الحديث (الطلاقة اللغوية)، وإبداء المواقف الخاصة.
 - مدى نجاحه في توظيف مهارات التعبير في مواقف الحياة الحقيقية.¹
- كما تُعتبر خادمة للكفاءات والمهارات اللغوية الأخرى كالقراءة والكتابة ومهارة المنطوق ومفهومه.

ثالثا: إجراءات الدراسة الميدانية

1. منهجية البحث

اعتمدنا في هذه الدراسة الميدانية على المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي لأنها الأنسب لهذه الوضعية اللغوية التي تعيشها الساحات التعليمية والتربوية.

2. حدود الدراسة: المقصود بها الجهة المعنية بالدراسة جغرافيا وزمانيا ، وتمثل حدود دراستنا على النحو الآتي:

¹ - ينظر: بن صيد بورني سراب وحلفاية داود وفاء، دليل استخدام كتاب اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (الجزائر)، 2017-2018، ص6.

1.2. الحدود المكانية

تمثلت هذه الحدود المكانية في اقتصارنا على ثانويات ثلاثة، ثانويتين بولاية عين الدفلى إحداهما بالجهة الوسطى الموسومة بثانوية سي احمد بوقرة بدائرة خميس مليانة، والأخرى بالجهة الشرقية المسماة بثانوية الشهداء الإخوة فروج بدائرة بومدفع، أما الثانوية الثالثة فكانت بولاية بومرداس المسماة بـ "ثانوية جناتي علي" بدائرة خميس الحشنة، وقد تم اختيار هذه الثانويات قصداً لما لنا من ممارسة فعلية في هذه المؤسسات بعينها ضمن المجموعة التربوية، برتبة أستاذ ثانوي رئيسي ضمن هذه المجموعة، مما وجدنا تسهيلاً وترحيباً من الطاقم الإداري وعلى رأسهم مفتشي التربية والتعليم.

2.2. الحدود الزمنية

أجريت هذه الدراسة في الفترة الزمنية الممتدة من 8 فيفري إلى 25 ماي من السنة الدراسية 2021/2020م.

3. مجتمع الدراسة*

تعتبر العينة من الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها في المجال البحثي الاجتماعي التربوي، إذ تُبنى عليها النتائج وتترتب عليها الأحكام، وقد تم اختيارها بطريقة مناسبة وبعناية فائقة، قريبة من الاستقرار حيث تصلح لتعميم الأحكام نتائج على ذلك المجتمع ولو نسبياً.

وقد اقتصرنا العينة على صنفين وهما كالآتي:

* والمقصود بها "المجموعة الجزئية التي يقوم الباحث بتطبيق دراسة ما عليها، ومن ثم تكون ممثلة لخصائص المجموعة الكلية" ينظر: بلقاسم سلطانية، حسين جيلالي، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص282، أو "هي مجموعة من وحدات المعاينة تخضع لدراسة تحليلية أو ميدانية ويجب أن تكون ممثلة تمثيلاً صادقاً متكافئاً مع المجتمع الأصلي ويمكن تعميم نتائجها عليه"، ينظر: سمير محمد حسن، دراسات مناهج البحث العلمي وبحوث الإعلام، عالم الكتاب، الدار اللبنانية المصرية للنشر والتوزيع القاهرة 1990، ص293.

أ- صنف الأوّل من العيّنة محوري في العملية البحثية، وقد تمثّل في جمع من التلاميذ للسّنوات الثالثة بمختلف تخصّصاتهم العلمية والأدبية، وقد بلغ عددهم 236 تلميذاً، من ثانويات ثلاث، ومن ولايتين مختلفتين شرقاً وغرباً، إناثاً وذكوراً تتراوح أعمارهم ما بين السابع عشرة إلى عشرين سنة

ب- صنف الثّاني من العيّنة ثانوي مكملّ للعملية الميدانية حيث تمثّلت في جمع من أساتذة التّعليم الثانوي في مادة اللغة العربية وآدابها، إناثاً وذكوراً من خريجي الجامعة والمعاهد العليا، وتراوح خبرتهم بين سنة وخمسة وعشرون سنة وقد بلغ عددهم 25 أستاذاً.

4. الأدوات المستخدمة

لقد اعتمدنا في بحثنا على وسائل ثلاث تمثّلت في :

- استمارة استبيان* للأساتذة واستبيان آخر خاص بالتلاميذ.
- امتحان تشخيصي للتلاميذ.
- الملاحظة والمعاينة المباشرة أثناء عملية التّعلم مع أساتذة اللغة العربية وآدابها.

5. طريقة إجراء البحث

لقد تمّت على الشكل التالي:

- أ- أداة الاستبيان: حيث قمنا بوضع مجموعة من الأسئلة المغلقة وتكون إجابتها دقيقة
- ب (نعم/لا/أحياناً)، وأسئلة مفتوحة تفسح المجال لإبداء الرأي والتعليل، وكانت هذه الأسئلة موزعة

* يعرف الاستبيان بأنه: "مجموعة من الأسئلة المرتبة حول موضوع معين، يتم وضعها في استمارة ترسل للأشخاص المعنيين بالبريد أو يجرى تسليمها باليد تسهيلاً للحصول على أجوبة للأسئلة الواردة فيها"، ينظر: عمار بوحوش، محمد محمود ذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2007، ص67.

على محورين: المحور الأول يخص معلومات عن السائل، أما المحور الثاني وهو الأهم في هذه العملية، إذ يحتوي على العدد الأكبر من الأسئلة المتعلقة بالوسط اللغوي كالممارسات اللغوية والنشاطات المرتبطة بها والعوائق التي تنتابها، وتنتهي الاستمارة بأسئلة تتعلق بنظرة السائل حول هذه الظاهرة واستشرافه لمستقبل اللغة العربية.

وبعد جمع الاستبيانات قمنا بعملية إحصائية لتكرار إجابات الأساتذة والتلاميذ، ثم استخرجنا النسب المئوية، وفق القاعدة التالية: عدد الإجابات $\times 100$ / عدد المستجيبين، وقد نمثل من يستحق التمثيل بأعمدة بيانية لتقريب النتائج المهمة وتجسيدها.

ب- الامتحان التشخيصي: كان عبارة عن إلقاء حادثتين محبكتين في قصتين قصيرتين، إحداهما تعالج موضوعا اجتماعيا، والآخر سياسيا بكيفية واضحة متأنية، وبلغة بسيطة واضحة مسموعة مع احترام مخارج الحروف والأداء المعبر، مراعي الوقف ونبرات الصوت والتنغيم، وطلبنا منهم إعادتها باللغة الفصحى مع حرية التعبير شريطة توفر السلامة اللغوية، وبعد أسبوعين أعدنا عليهم الحادثة نفسها إلا أن الإلقاء كان بالعامية، وطلبنا منهم إعادتها بالعامية (وذلك لمعرفة مخزونه اللغوي ومدى قدرته على تمثيل عملية الاستماع وتأثير الازدواجية على الذهن واللسان).

علما أنه تم إجراء الامتحان التشخيصي في قاعة المحاضرات لكل مؤسسة على حدا، حتى نضيق من دائرة الإرتيابات النسبية للنتائج، ثم اعتبرنا العينات الثلاثة عينة واحدة في تحليل النتائج وتفسيرها لتجنب الإطناب.

وأما القصتان فهي على الشكل الآتي:

القصة الأولى: عالجت موضوعا اجتماعيا وهي كالاتي:

يحكى عن الإمام الكسائي رحمه الله تعالى أنه كان راعيا للغنم حتى بلغ أربعين عاما، وفي يوم من الأيام وهو يسير رأى أمّا تحتّ ابنها على الذهاب إلى الحلقة لحفظ القرآن، والولد لا يريد الذهاب.

فقالت لابنها: يا بني اذهب إلى الحلقة لتعلّم حتى إذا كبرت لا تكون مثل هذا الراعي...

فقال الكسائي: أنا يُضرب بي المثل في الجهل؟

فذهب فباع غنماته وانطلق إلى التعلّم وتحصيله، فأصبح:

- إماما في اللغة

- إماما في القراءات

- وصار يضرب به المثل في العلم وعلو الهمة.

القصة الثانية: وهي قصة سياسية على النحو الآتي:

يُقال أنّ ملكا أمر بتربية 10 كلاب وحشية لكي يرمي لها كل وزير يخطئ فتنهشه، وتأكله بشراهة .

في إحدى الأيام قام أحد الوزراء بإعطاء رأي خاطئ لم يعجب الملك، فأمر برميهِ للكلاب فقال له الوزير أنا خدمتك 10 سنوات وتعمل بي هكذا!!، أمهلي 10 أيام قبل تنفيذ هذا الحكم، فقال له الملك لك ذلك.

فذهب الوزير إلى حارس الكلاب وقال له أريد أن أخدم الكلاب لمدة 10 أيام فقط، فقال له الحارس وماذا تستفيد، فقال له الوزير سوف أخبرك بالأمر لاحقا، فقال له الحارس لك ذلك فقام الوزير بالاعتناء بالكلاب وإطعامها وتغسيلها وتوفير جميع سبل الراحة لها.

وبعد مرور 10 أيام جاء تنفيذ الحكم بالوزير وزجّ به في السجن مع الكلاب والملك ينظر إليه والحاشية، فاستغرب الملك مما رآه وهو أنّ الكلاب جاءت تنبح تحت قدميه فقال له الملك ماذا فعلت للكلاب، فقال له الوزير خدمت هذه الكلاب 10 أيام فلم تنس الكلاب هذه الخدمة، وأنت خدمتك 10 سنوات فنسيت كل ذلك، طأطأ الملك رأسه وأمر بالعفو عنه.

وقد اخترنا القصة للامتحان التشخيصي لعدة أسباب بيداغوجية وتربوية منها:

- لاحتوائها على عنصر التشويق.

- تعالج قضايا عصرية.

- احتوائها على المهارة التواصلية.

- احتوائها على علامات الوقف واختلاف نبرات الصوت.

- قدرتها على التمثل الذهني.

- احتوائها على بعض القيم الموجهة.

- ألفاظها سهلة بسيطة متداولة.

ت- المعاينة والملاحظة المباشرة: كانت تتم أثناء النشاطات الصفية مع أساتذة المادة، وقد تم تدوين ملاحظات حول إجابة التلاميذ ومدى التفاعل الحاصل من الأخذ والرد في عملية الحوار، كما تمت ملاحظة لغة التلاميذ مع بعضهم البعض ومع أساتذتهم خارج النشاطات الصفية.

6. فرضيات البحث

انطلاقاً من نتائج الدراسة النظرية تم بناء هذه الفرضية التالية:

وجود صعوبة وعجز في استرسال الحديث وتأثير الازدواجية على ذهن ولسان المتعلم.

7. إشكال الدراسة

يتمثل إشكال الدراسة في عدة تساؤلات على رأسها من آثار الازدواجية اللغوية على المهارات اللغوية لدى التلاميذ؟ وبخاصة مهاري الاستماع والتعبير الشفوي؟ ما مدى تحقيقهم للملكة التواصلية في ظل الازدواجية؟.

8. أهداف البحث

الهدف من هذه الدراسة الميدانية لدى المتعلمين بالطور الثانوي يتمثل في النقاط التالية:

- الوقوف على مدى إتقان المتعلم للمهارات اللغوية المتوقع تحقيقها في هذه المرحلة خاصة المهارات المتعلقة مباشرة بالملكة التواصلية.
- الوقوف على وضعية تعليم اللغة العربية بالطور الثانوي نظرا للمنزلة التي تتبوؤها هذه المرحلة الفاصلة بين التعليم الأساسي والتعليم الجامعي.
- المساهمة في التخلص من هذا الواقع المظلم الذي يعيشه أهل اللغة من عقدة اللسان وضياع الاستماع وغياب التفاعل والتواصل.

رابعاً: دراسة النتائج وتحليلها

1. نسبة الاستبيانات الموزعة والمسترجعة

الجدول رقم (1): يمثل عدد الاستبيانات الموزعة والمسترجعة من كل مؤسسة للتلاميذ وأساتذة اللغة العربية.

النسبة المئوية	عدد الأوراق المسترجعة	عدد الأوراق الموزعة	المؤسسة
97 %	82	85	سيدي احمد بوقرة دائرة خميس مليانة ولاية عين الدفلى
100 %	73	73	الإخوة الشهداء فروج دائرة بومدفع ولاية عين الدفلى
100 %	95	95	جناتي علي دائرة خميس الخشنة ولاية بومرداس

قراءة وتعليق

من خلال الجدول رقم (1) نلاحظ أن نسبة الأوراق المسترجعة تكاد أن تكون 100% وذلك لكوننا أحد أفراد الأسرة التربوية، ومن جهة أخرى فقد باشرنا العملية التربوية في هذه المؤسسات الثلاثة بصفة أستاذ رئيسي ، مما ساهمت هذه الوضعية في إنجاح العملية الاستقرائية ابتداءً.

حيث استرجعنا من ثانوية "سي احمد بوقرة" بمدينة خميس مليانة 82 استبانة من مجموع 85 أي ما يعادل 97%، أما ثانويتي الإخوة فروج بولاية عين الدفلى، وجناتي علي بولاية بومرداس فقد كانت نسبة استرجاع الأوراق كاملة 100%، إلا أنّ هذا النقص لا يؤثر على عملية النتائج لأنّه في حكم المعدوم.

كما تجعلنا هذه النسبة الكبيرة، والوضعية التي نعم بها في وسط الأسرة التربوية نستأنس بنجاح العمل الاستقرائي ودراسته بموضوعية.

2. تحليل الاستبيانات الموجهة للتلاميذ

المحور الأول: موقف المتعلم من اللغة العربية

1- هل تم توجيهك للشعب الأدبية رغبة أم كرها؟ (خاص بالشعب الأدبية)

تحصلنا على 142 إجابة من مجموع 169 من الشعب الأدبية بـ (الرغبة)، وهو ما يقارب 81%، ونلاحظ أنّ نسبة الإجابة بالرغبة أكبر من نسبة الإجابة بـ "كرها" التي بلغت نسبتها 19%، إلا أنّ هذه النسبة الكبيرة لا تدل على الرغبة التي منشؤها الحب والميول لذات اللغة، وهذا التحليل استفدناه واستنبطناه من خلال أجوبة التلاميذ.

إنما كانت الرغبة بسبب طبيعة امتحاناتها المناسبة للممتحن، لأنّ النجاح في شعبتها مرتبط بعملية الحفظ بدرجة كبيرة، وقد تكون وسائل أخرى يرغب فيها بعض التلاميذ كسهولة عملية الغش في موادها بخلاف المواد العلمية.

أما تفسير نسبة 19% الذين لم يتم توجيههم إلى شعبتهم حسب رغبتهم فذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف معدلاتهم التي لا تتناسب مع طبيعة الشعبة، أو بسبب الاكتظاظ فيتم

توجيههم من طرف مجلس التعليم التوجيهي قصرا، وفي هذه الحالة قد تغيب الدافعية لدى المتعلم فتنعكس عليه سلبا.

علما أن الرغبة من الدوافع القوية لدفع المتعلم إلى تحقيق العملية التعليمية، لأنه محورا أساسيا في تفعيلها، ولتحقيق الدافعية لتعلم اللغة العربية لا بد من العمل على:

- بيان منزلة اللغة العربية وأهميتها في بناء الفرد والمجتمعات.

- تشجيع متعلميها عن طريق الحوافز المادية والمعنوية.

2- ما الغاية من تعلمك للغة العربية؟

واقترحنا عليهم اقتراحين: أحدهما من أجل ذاتها، والآخر من أجل الامتحانات.

حيث صرح معظم التلاميذ الذي بلغ عددهم مائتين وأحد عشر، أي ما يعادل 89% أن الغاية من تعلمهم للغة العربية كانت من أجل الامتحانات، أما النسبة المتبقية والتي تمثل 11% فقد أجابت أن الغاية من تعلمها كان لذاتها، وهي نسبة قليلة جدا لا تبرز اهتمام أبنائها بها.

لا شك أنّ هناك عوامل كثيرة بيداغوجية ونفسية واجتماعية أدت إلى هذا الوضع الذي لا يشرف، ولعلّ أهمها الأسرة والمؤسسات التربوية لم تعط الأهمية اللازمة للغة العربية وتعظيمها، وقد يكون سببا خارجيا متعلقا بالاقتصاديات والإيديولوجيات التي فرضت تميّزا واضحا بين التخصصات العلمية، والتخصصات الأدبية، مما انبثق عنها رؤية غير مشرفة للأدب واللغة العربية.

ينبغي للتلميذ أن يدرك ويعتقد بلا ريب "أنّ أشرف ما عنى به الطالب بعد كتاب الله عز وجل لغات العرب وآدابها، وطرائف حكمها، لأنّ الله تبارك وتعالى : اختارها بين اللغات لخير عترة وأشرف أمة، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته، فهي أفصح لسانا، وأوضحها

بيانا، وأقومها مناهج، وأثقفها أبنية، وأحسنها بحسن الاختصار تألفا، وأكثرها بقياس أفعالها تصرُفا".¹

3- ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟ وقدمنا لهذا السؤال ثلاث اقتراحات:

المتعة: وتحصلنا على ثلاثة وعشرين إجابة بنسبة 10%

الملل: مائة وأربع وتسعون إجابة بنسبة 82%

لاشيء: تسعة عشرة إجابة بنسبة 8%

نلاحظ أنّ نسبة الإجابة بالملل أكبر من الإجابة بالمتعة، وهذا دليل على أنّ المتعلّم لا يلتمس جمال الأدب واللغة، وذلك قد يعود- في نظرنا- إلى أمور منها:

- سوء اختيار النصوص الأدبية والتواصلية وعدم ملاءمتها لواقع التلميذ "إذ قلّما نجد كتباً أو نصوصاً ملائمة في مبنائها ومعناها لأغراض القراءة ولمستويات الطلاب، وتستجيب لاهتماماتهم، وتعالج القضايا التي تحيط بهم، وتشغل عصرهم بأسلوب مشوق مثير وبلغة سلسة تجعلهم يكتشفون ألوان التعبير الراقية وينجذبون إليها"².

- الأستاذ الفاشل في تقديم دروسه دون مراعاته لأهمية أسلوب التدريس.

- المادة اللغوية المقررة في مناهج التدريس بعيدة عن اللغة الوظيفية.

¹ - أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي، كتاب الأفعال، تح: د. حسين محمد محمد شرف، الجزء 1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1359هـ-1975م، ص51.

² - فضيل عبد القادر، من أجل ترقية اللغة العربية والنهوض بتعليمها، بعض الاتجاهات التي تعالج إشكاليات طرائق تعليم اللغة العربية في مدارسنا، إتقان العربية في التعليم، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة أبريل 2000، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، يونيو 2000، ص95.

إنّ لهذه العوامل أهمية بالغة في تحقيق المتعة وظهور حيوية العملية التعليمية، وإلاّ كان الملل مخيماً على نفوسهم جاثماً على صدورهم.

4- ما اللغة التي تريد إتقانها بصراحة؟ ووضعتنا لهذا السؤال أربع اقتراحات وهي كالتالي:

اللغة العربية، أو اللغة الفرنسية، أو اللغة الإنجليزية، أو اللغة الأمازيغية، وكانت نتائج الإحصاء على الترتيب التالي:

- 153 يفضلون الإنجليزية وهو ما يقارب 65%.

- 38 يفضلون الفرنسية وهو ما يقارب 16%.

- 19 يفضلون العربية وهو ما يقارب 8%.

- 21 يفضلون الإنجليزية والفرنسية وهو ما يقارب 9%.

• 5 يفضلون الإنجليزية والفرنسية والعربية والأمازيغية 2%.

نلاحظ من هذه النسب أن اللغة الإنجليزية أخذت حصة الأسد في إجابات المتعلمين، حيث بلغت نسبتها الكلية 71%، ثم تليها الفرنسية بنسبة 20%، ثم العربية بنسبة 8%، وبعدها الأمازيغية بنسبة 1%.

في نظرنا قد يكون تفضيل اللغة العربية واللغة الأمازيغية لدى التلاميذ تعود لتعليقات دينية، وقد تكون لنعرة وطنية صرفة كما نلمسه في تحبي اللغة الأمازيغية، ووقفنا على هذه التخمينات من خلال المحادثة الجانبية مع التلاميذ.

5- إن كنت تفضل اللغات الأجنبية ما دواعي ذلك؟ قد اخترنا هذا السؤال ليتمم ما قبله، ووضعتنا له خيارات ثلاثة:

- مكانة اللغة الأجنبية: مائة وأربعة عشر إجابة بنسبة 48%

- من أجل العمل ومكانتها: ثلاثة وتسعون إجابة بنسبة 39%

- لا جدوى من اللغة العربية: تسعة وعشرون إجابة بنسبة 13%

أثبتت هذه النسب أنّ هناك شريحة كبيرة من التلاميذ يركزون ويهتمون باللغة الأجنبية من أجل العمل ومكانتها، حيث بلغت نسبة الاختيار الأوّل والثاني 87%، وهذا ما يوافق الميول الفكري للأمة العربية، إذ ينظرون إلى اللغة الأجنبية - سواء أكانت اللغة الفرنسية أم اللغة الإنجليزية - اللغة المهيمنة على تكنولوجيا العصر، وخاصة في المجالات العلمية التّفعية كالطب والكيمياء، وكذا المعلومات التي أصبحت هاجس كل فرد من أفراد هذه الأمّة، وهذا التّصور سيقف حائلا بلا شك دون إدراك مكانة لغتهم، والاهتمام بها.

وقد التمسنا من خلال هذه النسب أنّ هناك شريحة لا بأس بها لا يدركون ما للعربية من أهمية ومنزلة متميزة بين لغات العالم، فهم يجهلون العربية أنّها كانت لغة العلم العالمية على مدى قرون عديدة، يوم كانت كتب الفكر الإسلامي تترجم إلى اللاتينية ولغات أخرى (من القرن الثامن الميلادي إلى القرن السابع عشر تقريبا).

وهاهي المستشرقة الألمانية الدكتورة زيغريد هونكة تعترف قائلة: " فلا نغمط العرب حقهم في أنّهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا... حيث مهدوا للمغلوبين الطريق للاندماج في المجتمع العربي لغة وأدبا وعلما ودينا، وأصبح الخلق العربي والطبيعة العربية والثقافة

العربية والعقيدة الإسلامية مثالا يحتذى¹ وهي اليوم واحدة من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والمحافل والمؤتمرات التي تعقد في أرجاء العالم².

6- ما شعورك من السخرية حول اللغة العربية؟ كان الغرض من هذا السؤال معرفة مدى اعتزاز التلميذ بلغته، لما لها من أهمية بالغة في عملية التعلم، واقترحنا عليه اقتراحين:

الغيرية : مائتين وثلاثة عشرة إجابة بنسبة 90%

اللامبالاة : ثلاثة وعشرون إجابة بنسبة 10%

نلاحظ أن نسبة الإجابة بالغيرية أكبر من نسبة الإجابة باللامبالاة، وهذا لا يدل إلا على وجود المحبة والاعتزاز في نفوس أبنائنا لهذه اللغة، ولكن هذه النسبة تتنافى مع ظاهر الأجوبة والنسب الكبيرة في الأسئلة السابقة كالسؤال الرابع والخامس .

وتخريج ذلك الإشكال في اعتقادنا أن هناك مفاصلة بين اللغة العربية كلغة أمة ولغة دين واللغة الموجودة بمقررات التدريس وهذا ما استفدناه من استبانة الأساتذة.

المحور الثاني: حول المهارات اللغوية

1- كم تطالع من الكتب الحرة باللغة العربية، على مدار السنة ؟

أول سؤال وجهناه للمتعلم في هذا المحور حول القراءة الحرة باللغة العربية خلال السنة، واقترحنا عليه أربع إجابات، وتحصلنا على الإحصاء التالي:

لا أقرأ: مائتان وخمس إجابات بنسبة 86%

¹ - زيغريد هونكة، شمس الله التي تشرق على الغرب، تر: بيرام فريدة، مرجع سابق، ص5.

² - ينظر: د. محمد خاقاني، مكانة العربية في إيران، قديما وحديثا، مستقبل اللغة العربية في سوق اللغات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2009، ص163.

على الأكثر كتابا واحدا: اثنان وعشرون بنسبة 9%

أكثر من كتاب: تسع إجابات بنسبة 5%

حيث صرح سبعة وستون متعلما أي ما يعادل 28% أنهم لا يقرؤون، في حين أكد مائة وأحد عشر متعلما بنسبة 47% أنهم يقرؤون كتابا في السنة ، كما صرح البقية بنسبة 25% أنهم يقرؤون كتباً حرة قد تصل إلى خمسة كتب أو أكثر في السنة .

نلاحظ من خلال هذه التصريحات أنّ نسبة المطالعة الحرة ضئيلة جدا، فهي إلى الانعدام أقرب، ولتأكد من هذه النسب قمنا بزيارة إلى المكتبات المدرسية التابعة للمؤسسات التي أجرينا في حدودها الدراسة، حيث أكد لنا المسؤولون عليها بعد اطلاعنا على سجلات رُواد المكتبة أنّه لا يوجد إقبال على الكتب ، إلا نرزا قليلا في فترة الامتحانات حيث يكتفون ببعض الكتب المخصصة للتحضير .

ألا نعلم أنّ "الملكة اللغوية كانت تنحصر أمام كثير من العوامل وعلى رأسها قلة المطالعة والابتعاد شيئا فشيئا عن القراءة للجيل الصاعد، أمل الأمة"¹، فكثرة المطالعة والاحتكاك اليومي بالمفردات الفصيحة تعمل على تضيق دائرة الألفاظ العامية، كما تحسّن من قدراتنا على الاستيعاب والفهم و تعين على تكوين قاموس معجمي بالأذهان، كما "تجعله يطل من خلالها على العالم فتزيد من معارفه وإنتاجه الفكري، كما تمدّه بالمتعة الروحية المتجددة عن طريق التذوق الجمالي لآثار الأدبية"²

وتنقل لنا الباحثة جبروني صليحة عن الباحث عبد الله الدنان من سوريا أن المواطن العربي عامة لا يقرأ مقارنة بالمواطن الغربي، إذ تشير الإحصائيات أنّ "معدل القراءة في إسرائيل 40 كتابا

¹ - شمسية خلوي، تقنية القراءة السريعة، ودورها في تطوير تعليم اللغة العربية واستيعاب مفرداتها، منشورات المجلس 2013، ص10.

² - د. جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية ، الجزائر، ط13، 1433هـ/2012، ص9.

للفرد الواحد - بلغتهم العبرية التي كانت في عداد الأموات - وفي معظم الدول الغربية 35 كتابا للفرد، وفي السنغال 4 كتب للفرد، وفي بلادنا كتابا واحدا لكل 80 فردا - طبعا باللغة العربية وهي لغة حية تميتهما الدول العربية -¹.

حتى وإن كانت هذه الإحصاءات في سنة 2007، فإنّ نسبتها بالنسبة للدول العربية لا ترتفع بل قد تتناقص لطبيعة التلميذ العربي، لأنّ أكثر أوقاته يقضيها على شبكات التواصل الاجتماعية وعلى رأسها "فيسبوك" وهذا لا ينكره أحد منا.

كما وجدنا الأستاذة شمسية خلوي تؤكد على هذه الرّزية التي أصيبت بها هذه الأمة العربية قائلة: "فما كان ابن الجوزي يقول لو علم عن زماننا الذي بلغ فيه متوسط القراءة في الوطن العربي ست دقائق في السنة للفرد الواحد؟! وأن الناشر العربي لا يطبع أكثر من 3000 نسخة للكتاب الواحد غالبا، لأنه يعرف مسبقا لو طبع أكثر من ذلك فإنه سيعجز عن إيجاد من سيشتريها"².

ولعل يوما نجد التلاميذ تستأنس بقول المتنبي:³

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

2- كم مرة تتجاوب مشافهة بالفصحى مع الأستاذ في النشاطات الصفية وغيرها؟ ووضعنا لهذا السؤال اقتراحات ثلاثة:

أكثر من مرة في الحصة: خمسة وأربعون إجابة ما يعادل 19 %

أحيانا: أربعة وعشرون إجابة بنسبة 10 %

لا أتجاوب: مائة وسبعة وستون إجابة ما يعادل 61 %

1 - د. صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو أنموذجا)، مرجع سابق، ص 53.

2 - شمسية خلوي، تقنية القراءة السريعة، مرجع سابق، ص 09.

3 - ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 497.

نلاحظ أن نسبة الإجابة ب "أحيانا" و "لا أتجاوب" أكبر بعشرات المرات من الإجابة ب "المشاركة أكثر من مرة في الحصة"، وهذه النسبة المخيفة تنبؤنا عن خطر عظيم ستصيب ألسنتنا من عُقدة وُعجمة وِجلجة، وقد أكد الدكتور أحمد سعدي على خطورة هذا السلوك المتمثل في الانزواء وعدم المشاركة قائلا: "لا يخفى أن كثرة السكون في أوقات الكلام تبدل العقل وتفضي إلى اضطرابات في التأدية اللغوية على المستويين الفردي والاجتماعي"¹.

3- كم مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟ وقدما للمستوجب ثلاث خيارات

لا أقرأ: مائة وستة وأربعون إجابة ما يعادل 67%

أحيانا: أربعة وخمسون ما يعادل 12%

أكثر من مرة في الأسبوع: تسعة وأربعون إجابة ما يعادل 21%

نلاحظ أن نسبة كبيرة جدا صرحت أنها لا تقرأ، لاسيما إذا أضفنا إليها نسبة الخيار الثاني، وهذا ما ينعكس عليه سلبا، على منطوقه وفكره، وقد أكد أحد الباحثين هذه السلبية الناتجة عن عدم التجاوب قائلا: "...وبالتالي النسبة الكبيرة تفقد جوانب كثيرة للقراءة كتحقيق مهارة الأداء، وفتياته، عملية التثقيف الفكري، التكوين الوجداني وتربية الذوق"².

وقد يعود سبب الانزواء وعدم القراءة إلى أمور منها:

- طبيعة النصوص، قلما نجد نصا معني ومبنى يشغل عصرهم بأسلوب مشوق مثير، وتستجيب لاهتماماتهم، هذا ما ولد ضعف الوعي القرائي مما جعل من التلميذ إما منزويا لا يقرأ، وإن قرأ فقراءته لترديد للحروف والكلمات لا غير.

¹ - د. أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، مرجع سابق، ص 93.

² - ينظر: فضيل عبد القادر، من أجل ترقية اللغة العربية والنهوض بتعليمها: بعض الاتجاهات التي تعالج إشكاليات طرائق تعليم اللغة العربية في مدارسنا، إتقان العربية في التعليم، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، يونيو 2000، ص 94.

- غياب الملكات اللغوية لدى التلميذ مما يجعله يعجز أمام تفعيل موقف تعليمي ما، الذي يفتقد إلى الملكة اللغوية كالنحو، والملكة المنطقية والملكة المعرفية كيف له أن يقرأ؟.

- تعود إلى طبيعة الأستاذ ومكوناته البيداغوجية، لأن الأستاذ الكفاء قد يجعل من الماء الراكد ماء جاريا متحركا، إذ أدرك خطورة هذا الانزواء والركود.

4- هل تحفظ من الكلام الفصيح؟ واقترحنا عليه ثلاث اقتراحات، وكانت نسبة الإجابات على الشكل الآتي:

نعم: ثلاثة عشرة إجابة أي ما تعادل 5%

لا: مائتان وأحد عشرة إجابة بنسبة 89%

قليلًا: أربعة عشر إجابة بنسبة 6%

نلاحظ أن نسبة الإجابة ب "لا" أكبر بكثير من نسبة الإجابة ب "نعم" و"قليلًا" التي بلغت نسبتها 11%، وفي اعتقادنا لا نرى هذه النسبة حقيقية لأنها مخالفة لصريح الواقع التعليمي، وقد تكون حقيقية بالنسبة للمستوجب إلا أن هذا الحفظ لا يبلغ النصاب اللازم لتحقيق الملكة اللغوية.

كما يوحي مجموع النسبتين للاقتراحين "لا" و"نعم" والذي بلغ 95% أن المتعلمين لا يولّون اهتماما للحفظ، ويجهلون أهميته في بناء وتحقيق الملكة اللسانية، وإن حفظوا أشياء لا يعدو أن يكون حفظ العجائز سرعان ما ينسونه إذا ما تجاوزت فترة الامتحانات، ومردّد ذلك أن أولياءهم لا يشجعونهم على الحفظ، ولا يوجهونهم إلى مكانه، وأماكن تحصيله، وما زاد الأمر تعقيدا أن المناهج الحديثة لا تصرف أيّ اهتمام لعملية الحفظ في مقرراتهم بخلاف المناهج القديمة، بل يعتقدون أن هذا الإجراء لا يأتي إلا بنتائج سلبية عديدة، يعود أثرها على اكتساب اللغة ومن أبرزها تعطيل قدرات

المتعلمين على التعبير، وعلى الفهم والاستيعاب، وهذه دعوة لا دليل عليها، بل صريح الواقع يطلها ويزهقها.

في حين صرحت نسبة قليلة جدا تقدر ب 5% - وهؤلاء في حكم النادر والنادر لا يبنى عليه حكم - أنهم يحفظون الكثير من كلام الله، والحديث النبوي كالأربعين النووية وبعض الشعر التعليمي كالبيقونية في مصطلح الحديث والأجرومية في القواعد النحوية، وهذا الصنف جلهم من أبناء المساجد لأنهم يهتمون بحفظ القرآن والحديث والمتون اللغوية والشرعية، وقد أكد ابن خلدون على هاته البقاع بأنها مصدر الإشعاع اللغوي قائلاً: " دور التعليم لمن يتغني هذه الملكة ويروم أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والسنة وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من عاش بينهم ولقن العبارة منهم"¹.

نستشف من كلام ابن خلدون أنه من حفظ كلام العرب الفصيح من المنثور والمنظوم وكلام الله ونبيه يملك لسانا ويُنزل منزلة العرب الأقحاح في كلامهم أي يتكلم بالسليقة، كما كان العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، فقد أصبح لا سبيل لنا لمجاعة القوم في كلامهم إلا بعد التمرس على لسانهم والإطلاع على سلوك لغتهم، واقتفاء أثرهم في أداء المعاني المختلفة.

وقد أشار إلى هذه النظرية في اعتقادنا النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: "العلم بالتعلم والحلم بالتحلم"، حيث تضمن هذا الحديث سلوك التمرس والتكرار، لأنّ هذا السلوك من شأنه أن يجعل الشيء طبيعة في النفس، وكأنّه جُبلت وفُطرت عليه، ولهذا نجد ابن خلدون كثيرا ما يؤكد على هذا السلوك قائلاً: "فالملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأنّ الفعل يقع أولا وتعود منه للذات

¹ - ينظر: صالح بلعيد، ظاهرة ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعات تيزي وزو أمموجا)، مرجع سابق، ص20.

صفة ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"¹.

والجدير بالإشارة أنه ثبت علمياً أنّ ملكة الحفظ عند الصغار كبيرة مقارنة مع الكبار، وقد قيل أن الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، إذ كلما كبر الإنسان قلت نسبة الخلايا العصبية لأنها تشيخ ثم تموت، ولا تعود أبداً " اعتباراً من سن الأربعين نفقد يومياً مائة ألف خلية عصبية"²، لذلك يتوجب على الأولياء ومن يقوم مقامهم أن يلزموا المتعلمين بحفظ النصوص الشعرية، والنصوص الثرية الهادفة بعد كلام الله ولو شيئاً معتبراً منه لإثراء قاموسهم اللغوي الذهني وصقله على اللسان .

وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون قائلاً في موطن آخر: " إنّ حصول ملكة اللسان العربي إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"³، فأثّر للإنسان أن يستقيم لسانه، وأن يملك مخزونا لفظياً فصيحاً، ومنوالاً كمنوال العرب، ولا يحفظ من كلام الله وكلام نبيه -حفظاً معتبراً- وعيوناً من كلام العرب؟ وقد قال أبو العتاهية:

تَرْجُو النِّجَاهَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

وقد وجدنا الأستاذ مدني مختار مفتش التربية والتكوين ينحو هذا المنحى قائلاً: " وإني لا أتفق مع الذين يشفقون على التلاميذ من الحفظ، ويعتبرون الحفظ من الأساليب القديمة... وكأني بهم ينسون أن التلاميذ في إنجلترا يحفظون مسرحيات بأكملها لشكسبير ويتبارون في استظهارها وإلقائها

¹ -المرجع نفسه، ص378.

² - د.جان مارك روبيين وأن درفون، الغذاء لتنمية الذكاء، تر: عبير منذر، دار الفراشة، بيروت، دط، 2005، ص86.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، مرجع سابق، ص386.

وأن التلاميذ والطلبة في الجامعة الفرنسية مطالبون بالحفظ والاستشهاد في الامتحانات في كلية الآداب¹.

ووقفنا كذلك على تقارير الورشة التعليمية لأعمال الندوة المنعقدة عام 2000 تؤكد هذا الإجراء تحت عنوان "إتقان العربية في التعليم" حيث نوهت فيها على: تأكيد حفظ النصوص على اختلاف أنواعها لتقوية الذاكرة وتنمية الرصيد اللغوي والفكري وترقية القدرات المختلفة².

5- (أ) هل تهتم بالاستماع إلى الكلام الفصيح كالاستماع إلى النصوص الشعرية؟ كغيره من الأسئلة أوردنا فيه احتمالات ثلاثة ، وجاء الإحصاء على الشكل الآتي:

لا: مائة وسبع وسبعون إجابة بنسبة 75%

نعم: اثنان وعشرون إجابة بنسبة 9%

أحيانا: سبعة وثلاثون إجابة بنسبة 16%

(ب) هل تهتم بالاستماع إلى الغناء والمسلسلات بالعامية؟ وهو طرح مكمل للطرح السابق، وذلك لمعرفة مدى استعمال هذه الملكة واستحواذها على المسموعات اليومية بالعاميات العربية، وكانت إجابة المتعلمين على النحو الآتي:

- نعم: مائتان وثلاثة وثلاثون إجابة ما يعادل 99%

- لا: ثلاث إجابات بنسبة 1%

¹ - مدني مختار، تحليل النص الأدبي الواقع والآفاق، إتقان العربية في التعليم، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي 4 و5 محرم 1421هـ الموافق 9 و10 أبريل 2000، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2000، ص-59-60.

² - ينظر: إتقان العربية في التعليم، أعمال الندوة الوطنية المنعقدة في أبريل 2000 مرجع سابق، ص144.

من خلال السؤالين نلاحظ أنّ نسبة كبيرة جدا حيث بلغت 75% لا تهتم بالاستماع للكلام الفصيح، وهذا ما ساهم في ظهور عقدة السنة المتعلمين، ومما زاد في عظم شر البلية والرزية عندما صرّح 99% أنّهم يهتمون كثيرا لسماع الغناء والمسلسلات بالعامية، وهذا ما يفسر أنّ "الكثير منهم يواجهون المشاكل بسبب عدم تطويرهم لمهارات الاستماع" أي بسبب عدم استغلال الأذن وتعويدها على سماع وفهم الكلام الفصيح حصل ما حصل في مجتمعاتنا.

كثير من الخاصة والمتعلمين يجهلون أنّ السّماع والاستماع خطوة ضرورية لتحقيق الكفايات اللغوية الأخرى (ملكة إنشاء اللغة أو الكلام، ملكة القراءة، ملكة الكتابة) وقد جمعها ابن خلدون جميعها تحت مهارة السّماع قائلا: "السّماع هو أبو الملكات اللسانية"¹.

كما تعد هذه الكفاية اللغوية إذا أُعطيت حقها، وانتفت موانعها من أهم العوامل لتضييق دائرة العاميات المستفحلة على السنة المتعلمين، وذلك عن طريق تحقيق ما يصبوا إليه صاحب هذه الملكة:

- تنمي ملكة الإدراك عند المتعلم.
- تراحم هذه الملكة العامية، وذلك إذا استُعِلت استغلالا صحيحا فتجعل العامية تتلاشى شيئا فشيئا.
- تُغذي وتطوّر الفهم.
- يعمل على صقل القاموس اللغوي بالذهن واللسان، لأنّ الإنسان إذا أكثر من سماع الشيء ترسخ وعلق في الذهن.
- تحقق الحدس اللغوي* *l'intuition linguistique*

¹ - ينظر : أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكة اللغوية، مرجع سابق، ص 94.

محور الثالث: حول الازدواجية

1- (أ) هل يلتزم أستاذ اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟ وكانت الإجابات على الشكل الآتي:

- نعم: مائة وتسع وثمانون إجابة بنسبة 80%

- بقدر كبير: سبعة وأربعون إجابة ما يعادل 20%

- لا: لا إجابة بنسبة 0%

(ب) هل يلتزم أساتذة غير اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟ وضعنا هذا السؤال مواليا ومتمما لما قبله لمعرفة مدى اهتمام أساتذة المواد الأخرى بالفصحى وكان إحصاء الإجابات على الشكل الآتي:

- لا: مائة وإحدى وتسعين إجابة بنسبة 81%

- بقدر كبير: خمسة وأربعون إجابة ما يعادل 19%

نلاحظ من النسب المثوية أن الإجابة بـ "نعم" في السؤال الفرعي (أ) كانت نسبتها أكبر بكثير من الإجابة بقدر كبير، وهذا دليل على أنّ أساتذة اللغة العربية يلتزمون الفصحى في أغلب الأوقات إلا ما صدر عنهم عفويا، وقد نفسر نسبة الإجابة "بقدر كبير" أن بعض الأساتذة يتهاونون في المجال اللغوي وهذا ما لاحظناه أثناء حضورنا وحضور الندوات البيداغوجية التطبيقية للأساتذة، وخلال الممارسة التعليمية، ولا يصدر هذا التهاون إلا من بعض الأساتذة الذين كان تخصصهم في المجال

* "والحدس اللغوي معرفة عامة غير معقدة عن اللغة تجعل المرء قادرا على إصدار أحكام على الصحة اللغوية للجمل التي سمعها" ينظر: أحمد سعدي، - اللسانيات التطبيقية والملكات اللسانية، مرجع سابق، ص 96.

الأدبي، إذ أنّ جلّهم لا يهتمون باللغويات، واستخدام العامية من طرف بعض أساتذة اللغة ليعتبر ظلماً واعتداءً على قداسة اللغة، وقد يصدق فيهم قول الشاعر:¹

وَظَلْمٌ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ

ونلاحظ من السؤال الفرعي الثاني(ب) أنّ الإجابة بعدم التزام أساتذة غير مادة اللغة العربية نسبتها كبيرة جداً، وهي نسبة تعكس تماماً نسبة اهتمام أساتذة اللغة العربية، وهذا مشاهد من خلال المهنة التربوية، وهذا لا يمنع من وجود نسبة من الأساتذة يحاولون التحدث بالفصحى، ويحافظون عليها، وهذا ما يفسره لنا نسبة اختيار " بقدر كبير " التي بلغت 19 % .

علماً أنّ هذا السلوك اللغوي الذي يصدر من الأساتذة مما يكون سبباً في توسيع الشّرخ بين المنطوق والمكتوب فتكرّس الازدواجية وتثبّت دعائمها، وتصغر من دائرة القاموس اللغوي لدى التلاميذ، وقد أشار إلى نتائجها الدكتور عز الدين الصحرأوي قائلاً: "فلا شك أننا ندرك أنّ كثيراً من الممارسات اللغوية في المحيط التعليمي هي امتداد لأساليب العامية، حيث اتسم دور المعلم في كثير من المواقف التواصلية بتوظيف خطاب لغوي مشبع بكم هائل من الألفاظ والتراكيب العامية، حيث تخلى عن وظيفته الأساسية الكامنة في استعمال لغة عربية فصيحة وهذا ممّا أوقع المتعلم في ممارسات لغوية غير سليمة"².

إنّ أساتذة المواد الأخرى للمواد العلمية والاجتماعيات الذين لا يولّون اهتماماً للغة سيهدمون بذلك ما يحاول أن يبنيه أساتذة اللغة، فإن يكن هؤلاء ضعاف المستوى في اللغة فعلى

¹ - ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ-2002م، ص27.

² - عز الدين الصحرأوي، واقع اللغة العربية في المنظومة التعليمية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، أعمال ملتقى جامعة الحاج لخضر، باتنة1، 17-18مايو 2017، المجلس الأعلى للغة العربية، ج2، ص94.

الإدارة الوصية أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتحسين مستواهم مع سنّ عقوبات رادعة لمن تحوّل له نفسه التعدي على مبادئ الأمة¹.

ومن جهة أخرى هذا السلوك الصادر من الأساتذة سواء أكان عن وعي أم من غير شعور، سيؤدي حتما إلى تصوّر في ذهن المتعلمين والناشئة غير محمود عن منزلة اللغة التي تستوجبها و تستحقها على الألسنة والنفوس، كتصوّرهم بعدم فعاليتها في المجالات العلمية والاحتياجات اليومية، فلا غرو من هذه التصوّرات لأنّ جلّ المعلمين الذين يخالطون التلاميذ ثلث اليوم، ويتحدثون إليهم، لا يتحدثون العربية الفصحى، بل الكثير منهم موغل في استخدام العامية، ومن النادر أن يتحدثوا الفصحى البسيطة، فضلا عن الفصحى المتقدّمة².

2- (أ) هل تتواصل مع الأستاذ أثناء النشاطات باللغة الفصحى أو العامية؟ وكان الهدف من طرح هذا السؤال معرفة طبيعة اللغة التواصلية مع الأساتذة أثناء التدريس، وجاءت نسب الإجابة على النحو الآتي:

- العامية: مائة وخمسة وتسعون إجابة، ما يعادل 83%.

- الفصحى: ما يعادل واحد وأربعون إجابة 17%.

نلاحظ أن نسبة التواصل بالعامية أكبر بكثير من نسبة التواصل بالفصحى وهذا يعود لغياب الملكة اللسانية لدى التلاميذ بسبب عوامل كثيرة نستخلصها من أجوبة الاستبيان المقدمة للتلاميذ والأساتذة، ومنها هذا السؤال الموالي.

¹ - ينظر: أ.يوسف مجايوي، التصور الواضح لأهداف المناهج التعليمية، إزدهار اللغة العربية- الآليات والتحديات-، مرجع سابق، ص610.

² - ينظر: بركات عبد العزيز، الثنائية اللغوية ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية، مجلة الإذاعات العربية، العدد4، 2013، ص24.

(ب) لماذا لا تتواصل مع أستاذك باللغة الفصحى؟ واقترحنا عليه سببين: الشعور بالإحراج، أو الافتقار اللغوي.

اختار سبعة وعشرون مستوجبا "الشعور بالإحراج" ما يعادل 12%، في حين أكدت البقية والتي بلغت نسبتها 88% أنّ عدم التواصل بالفصحى يعود إلى الافتقار اللغوي

نلاحظ أن هذه النسبة تؤكد النسب التي قبلها، أن جلّ التلاميذ يتواصلون مع الأساتذة بالعامية، ومرّد ذلك كما جاء في الاستبيان إلى أنّ التلاميذ يفتقرون إلى القاموس اللغوي، وهذا ما أشار إليه كثير من الباحثين أنّ التلميذ العربي يفتقر إلى القاموس اللغوي الوظيفي¹، إلا أننا لا نراه السبب الوحيد، بل هناك عوامل أخرى وقد أشرنا إليها في طيات هذا البحث.

3- ما الأسباب التي تجعلك تجنح إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟ واقترحنا على المستوجب اقتراحين:

- عدم الاستيعاب: مائة وثلاثة وسبعون إجابة بنسبة 73%

- الأستاذ: اثنان وعشرون إجابة بنسبة 9%

نلاحظ أنّ نسبة الإجابة بالاختيار الأول (عدم الاستيعاب) نسبة كبيرة، وذلك يعود في نظرنا إلى أمرين، وكلاهما سببان قويان لكبح لسان التلميذ:

- المتعلم لا يملك رصيذا كافيا من الألفاظ الفصحى التي تمكنه من الإجابة، لأنّ هناك من يملك الإجابة ولا يمكنه التعبير عنها بلغة سليمة، وهذا ثابت بالتجربة والمعينة.

- خلو ذهن المتعلم من المكتسبات القبلية، التي من المفترض أن يمتلكها المتعلم في نهاية كل مرحلة من مراحل الأطوار التعليمية.

¹ - ينظر: عز الدين الصحراوي، واقع اللغة العربية في المنظومة التربوية، مرجع سابق، ص 98.

في حين نجد نسبة قليلة تلقي اللوم على الأستاذ أنه من الأسباب التي تدفع المتعلم للانزواء والنفور والسأم وعدم التفاعل في القسم، هذا التعليل من بعض المستجيبين نقبله نسبياً لأنّ شرح الأستاذ المحفز على المناقشة التذوقية ، وابتعاده عن الطريقة العقيمة التي تقتصر على المعالجة الشكلية السطحية القائمة على شرح المفردات وتحديد المعنى الإجمالي سببعت النشاط والحيوية في نفوس تلامذته، أما النسبة المتبقية والمقدرة ب 18% لم تقدم لنا إجابة حول هذا الانزواء وتفسير ذلك أنّ هؤلاء لا يعنيه هذا السؤال، وقد يكونون من الفئة النشطة والمتفاعلة مع أساتذتهم، وكان هذا التخمين مبنيًا على الاستجابات السابقة.

4- هل تحاول أن تنتقي ألفاظاً فصيحة وتستخدمها في التداول اليومي خارج النشاطات الصفية؟

هذا السؤال قصدنا به التلاميذ النجباء الذين يهتمون باللغة العربية الفصحى، وإن كان موجهاً للجميع، لأننا نعلم أن جلّ التلاميذ لا يتواصلون بالفصحى داخل القسم ولا خارج أسواره، ووضعنا لهم اختيارين وكانت النتائج على الشكل الآتي:

- نعم: خمسة عشر إجابة بنسبة 7%

- لا: مائتان وواحد وعشرون إجابة بنسبة 93%

نلاحظ أنّ نسبة الإجابة ب "لا" أكبر بأضعاف من نسبة الإجابة ب "نعم" وهذا يدلّ على أن العاميات لا كايح لها فإنها حرّة طليقة لا أحد يضيق من دائرتها بخلاف اللغة الفصحى فإنّ دائرتها تتصاغر مساحتها شيئاً فشيئاً حتى في مواطنها وداخل أسوارها، كما توحى هذه النسب على عدم وجود صدق انتماء حقيقي لهذه اللغة من أبنائها وبني جلدتها، خلافاً ما نجد بالنسبة للغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية والفرنسية، إنّها تحظى برعاية واهتمام وتقديس حتى من أبناء اللغة العربية.

5- عادة ما يقع التلميذ في أخطاء لغوية، ما موقف الأستاذ منها؟ واقترحنا عليه ثلاث اقتراحات:

- يصحح الخطأ: مائة وتسعة عشرة إجابة ما يعادل 51%

- لا: خمس وسبعون إجابة ما يعادل 32%

- أحيانا: اثنان وأربعون إجابة ما يعادل 17%

نلاحظ من هذه النسب المثوية أن نسبة تصحيح الخطأ نسبة ضئيلة جدا بالنسبة للاقتراحين الآخرين، كما تمثل إشكالا كبيرا بالنظر إلى الجهة الصادرة منها هذا السلوك، ولو كان من غيرهم لكان الأمر، وهذا يدل على عدم اهتمام الأستاذ بالأخطاء اللغوية الصادرة من المتعلم، وكذلك لا يدرك آثارها السلبية على سلاسة اللسان، وتوسيع دائرة العامية وتقليص القاموس اللغوي لدى التلاميذ.

إن عدم اهتمام الأستاذ بالتصحيح اللغوي وتدقيقه يعود في نظرنا إلى تَوَقُّر ثلاث احتمالات مجتمعة أو متفرقة وهي كالآتي:

1- عدم وجود الكفاءة الحقيقية لدى الأستاذ، وكما قيل "فاقد الشيء لا يعطيه"، لأن أغلبية الأساتذة تعوزهم الكفاءة اللغوية.

2- جَلَّ الأساتذة لا تهمهم للأخطاء اللغوية بقدر ما تهمهم لسلامة الفكرة، كما أن التقييم يبني على هذه الأخيرة.

3- الأخطاء كثيرة ومتنوعة لا يستطيع الأستاذ أن يحيط بها كلّها، قد يقع التلميذ عند قراءته لفقرة من فقرات النصوص أكثر من سبعة أخطاء صوتية ونحوية.

إن اهتمام الأستاذ بتصحيح الخطأ والحرص على سلامة لسان التلميذ لمن شأنه أن يضيق من دائرة العامية ويعمل على توسيع دائرة الفصاحة والسلاسة اللغوية، وبعض التجارب تؤكد هذا المنحى، مثلما نجد سعيد الأفغاني يشيد بواقع تعليمي حينما تحدث عن الإستراتيجية التي سلكها أساتذة في بلاد الشام قائلا في هذا الصدد: "والفضيلة التي ينبغي أن تسجل على هؤلاء الأساتذة في جملتهم

عنوا بالكشف عن الملكات الأدبية واللغوية وتنقيحها مع عنايتهم بتدريس المناهج المقررة، وكانوا يأخذون طلابهم بالكلام العربي الصحيح في قاعات الدرس ويقومون ألسنتهم عند كلّ لحنة قراءة ومحادثة أو كتابة، وكلهم لا يضع درجات الامتحان إلاّ بوزن وحساب، فعلى قدر سلامة اللغة وصحة الملكة يقدر الطلاب، فعاد ذلك على الطلاب أنفسهم بالخير العميم حتى صاروا يتعايرون باللحن ويتباهون بالفصاحة والسلامة¹.

6- أتستطيع التحدّث بطلاقة لغوية سليمة؟

- نعم: أربع إجابات بنسبة 2%

- لا: مائتان وتسعة عشرة إجابة بنسبة 93%

- بتكلف: ثلاثة عشر إجابة بنسبة 5%

نلاحظ أن نسبة الإجابة ب "نعم" شبه معدومة، في حين نجد نسبة الإجابة "بتكلف" نسبة ضئيلة جدا، أما نسبة الإجابة ب "لا" فكانت جد مرتفعة، وهذه الصبغة شملت جميع الأجيال الحديثة "فنحن حين نستقري هذا الواقع اللغوي في المؤسسة التعليمية نسجل ضعفا جليا وواضحا في اللغة العربية لدى المتعلمين يظهر في كثرة الأخطاء الإملائية والتركيبية والأسلوبية وفي قدراتهم التعبيرية حيث يعانون في كثير من المواقف التواصلية من التعبير الوظيفي غير المنسجم مع طبيعة الاستعمالات السليمة للغة العربية"².

وهذا دليل على أنّ التلميذ لم يستفد كثيرا في الطورين السابقين للمرحلة الثانوية، واستمر ذلك الضعف مصاحبا معه إلى الطور الثانوي، ومن المتوقع أن يصاحبه إلى الجامعة وما بعد الجامعة إذا لم يسع للتكوين وصقل لسانه بالفصحى والتعود عليها، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين قائلا: "

1 - سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1971، ص82.

2 - د.عز الدين الصحراوي، واقع اللغة العربية في المنظومة التعليمية بين الاستعمال والإهمال، مرجع سابق، ص64-95.

إنّ الطالب ينتقل من التعليم الثانوي إلى الجامعي وهو لا يملك تحصيلًا ذا بال في علوم اللغة وسلامة التعبير بها...¹

7- هل تخرج من النشاطات الصفية برصيد كاف من الألفاظ اللغوية الفصحى؟ حيث اقترحنا عليهم ثلاث اقتراحات وجاءت الأجوبة على الشكل التالي:

- نعم: سبعة عشر إجابة بنسبة 5%

- لا: مائتان 5 وأربعة عشر إجابة بنسبة 0%

- شيئًا ما: خمس إجابات بنسبة 5%

نلاحظ أنّ نسبة الإجابة بـ "لا" أكبر بكثير من نسبة الإجابة بـ "نعم" وهذا دليل أنّ جلّ التلاميذ لا يستفيدون من الألفاظ اللغوية المتداولة في الكتب المدرسية، وقد يعود ذلك في نظرنا إلى أمور منها:

- إنّ موضوعات النشاطات لا تستميل قلوب وأذهان المتعلّمين، وهذا ما لمسناه من خلال إجاباتهم عن السؤال السابع في المحور الأول "ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟ واقترحنا عليهم ثلاث اقتراحات "المتعة"، "الملل"، "لاشيء"، وقد بلغت نسبة الملل 82%.

- وجود انفصام ما بين المادة اللغوية المقرّرة في مناهج التدريس والواقع التداولي، معنى ذلك أنّ هناك هوة كبيرة بين القاموس اللغوي الموجود بمقررات التدريس، والواقع الاجتماعي التداولي الفعلي للمتعلم مما يلزم أنّ المادة اللغوية التي يتفاعل معها بعض التلاميذ في النشاطات الصفية، وبخاصة لدى الطور الثانوي بعيدة عن اللغة الوظيفية مما يشعرهم بعدم فعاليتها ولا جدوى من الاهتمام بألفاظها، وقد أشار إلى هذه الهوة الباحث عز الدين الصحراوي أنّ هناك انفصام بالنسبة للمتعلم ما بين الواقع

¹ -أ.عبد الكريم بكري، ملاحظات حول الدرس النحوي في برامجنا التعليمية، إتقان العربية في التعليم، مرجع سابق، ص24.

اللغوي التعليمي ومعجم التداولي اليومي قائلاً: "أن المتعلم لا تربطه علاقة استعمال لغوي تواصلية متين بالحياة اليومية لعدم وجود رابط لغوي بين الواقع التعليمي والواقع التواصلية الأسري أي بين المؤسسة التعليمية والمحيط الاجتماعي"¹.

8- أتشعر أنّ العامية تعيق سلامتك اللغوية الشفهية؟ طرحنا هذا السؤال لأهميته في معرفة التنافس اللغوي العميق الذي يعيشه المتعلم، ووضعنا له خيارين، وكان الإحصاء على النحو التالي:

- نعم: مائتان وستة وثلاثون إجابة بنسبة 100%

- لا: لا شيء 0%

أجاب جميع التلاميذ بنسبة 100% أنهم يشعرون أنّ العاميات تعيقهم عن السلامة اللغوية، وكانت هذه النسبة هي المتوقعة في نظرنا، لأن الصورة اللغوية في شكلها المنطوق مماثلة تماما لما سمعناه وشهدناه من خلال الممارسة المهنية، ومن خلال الحضور والمعاناة مع الأساتذة في النشاطات الصفية. إن العامية لا شك أنّها تؤثر سلبا على تعلم اللغة الفصحى، لأنّها طبع بحكم أنّها -لغة أم- فعملت على طبعها في اللسان والأذهان.

وهذا ما عللت به إحدى الباحثات على وجود الاضطراب في السلاسة اللغوية قائلة: "...فلهذا نجد الطفل الجزائري أو القبائلي يعيش صراعا لغويا في ترجمة مفاهيم اللغة العربية الفصيحة انطلاقا من حمّامه اللغوي المهجين"².

كما وجدنا الدكتور صالح بلعيد يتحدث عن العلاقة بين الاكتساب والتعلم والآثار التي تترتب عن وجودها قائلاً: "فاكتساب اللغة عملية ملازمة لعملية التنشئة الاجتماعية ولذا فمن البديهي أنّ الطفل يكتسب في مرحلة تنشئته اللهجة التي تتكلم بها الأسرة، ومن ثمّ يتعلم اللغة العربية

1 - أ. عبد الكريم بكري، ملاحظات حول الدرس النحوي في برامجنا التعليمية، إتقان العربية في التعليم، مرجع سابق، ص 98.

2- ينظر: صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو أمودجا)، مرجع سابق، ص 35.

القياسية، وهي مرحلة تالية لهجة بعدما تمكّن نظامها في ذاكرة الطفل اللغوية، وينشأ من ذلك صراع بين نظام اللغة ونظام اللهجة ومن هنا تأتي ازدواجية اللغة (فصيحة وعامية)¹.

بناء على ما تقدّم يظهر لنا مكمّن الداء الحقيقي حيث أنّ أغلب التلاميذ يحاول التعبير بالفصحى في حين يفكر بالدارجة، لذلك فإنّ العامية أو أيّ لغة تمكنت من اللسان، ولم تجد مدافعة لغوية قصّرت بصاحبها عن التمكّن من الفصحى، وقد أشار إلى هذه العلة ابن خلدون لما تحدث عن تأثير اللغة العجمية على اللسان العربي.

3. تحليل استبيانات الأساتذة

محور حول الملكة اللغوية

1- ما مستوى المكتسبات القبلية للتلميذ عند التلميذ عند التحاقه بالطور الثانوي؟

- جيد: لا شيء بنسبة 0%

- ضعيف: واحد وعشرون إجابة ما يعادل 88%

- متوسط: ثلاث إجابات بنسبة 12%

نلاحظ أن نسبة الإجابة بالاختيار الثاني "ضعف المكتسبات القبلية" كبيرة جدا بالنسبة للاقتراح "الجيد" والاقتراح "المتوسط"، وهذا دليل على أنّ الأهداف المفترضة من طرف الوزارة غير محققة جملة ولو كانت موجودة نسبيا، لأنه من المفترض أن يصبح المتعلم بعد استكمال له للطور الأول من التعليم المتوسط أن يكون قادرا على التواصل بلغة سليمة منسجمة، ويفهم معاني الخطاب

¹ - المرجع نفسه، ص15.

المنطوق، وينتج خطابات شفوية مختلفة الأنماط، ويقراً قراءة مسترسلة بأداء حسن منغم محترماً علامات الوقف، ويقراً ويفهم نصوص نثرية وشعرية متنوعة من أنماط مختلفة¹.

2- (أ) ما المجال الذي تهتم به في حصة النشاطات اللغوية؟ وقد اخترنا هذا السؤال لما له من أهمية في تكوين الملكة اللسانية بصورها النطقية والكتابية، إذ يحتوي على ثلاث مجالات وهي:

أ- في مجال المعارف: تمرين يعتمد على استخراج والتعيين والتبيين.

ب- في مجال المعارف الفعلية: تمرين على الإنشاء والتضمين والبناء.

ث- في مجال إدماج أحكام الدرس: يتمحور حول كتابة فقرة تامة الأفكار مع توظيف وإدماج لأحكام الدرس، وتحصلنا على الإحصاء التالي:

- مجال المعارف: أربعة عشر إجابة بنسبة 58%

- مجال المعارف الفعلية: خمس إجابات بنسبة 21%

- إدماج أحكام الدرس: ثلاث إجابات بنسبة 13%

- جميع المجالات: إجابتان بنسبة 8%

نلاحظ من هذه النسب أنّ الأساتذة لا يفعلون جميع المجالات الموجودة بالكتاب المدرسي، فهم يقتصرون على أحدها في غالب الأحيان كما تفسره نسبة 8% الذين يزعمون بأنهم يهتمون بجميع المجالات، وإن تحقق الاهتمام لكان نسبياً في نظرنا، ويظهر لنا أنّ المقصور عليه الذي يعتمد عليه جل الأساتذة التي بلغت نسبتهم 92% لا يأخذ منهم جهداً، ولا وقتاً يتعارض مع التوزيع الزمني.

¹ - ينظر: أحمد سعيد مغزي وآخرون، دليل استخدام كتاب اللغة العربية - السنة الثانية من التعليم المتوسط -، مرجع سابق، ص11.

(ب) لماذا لا تهتم بالمجالات الثلاثة كلها؟ اخترنا هذا السؤال والذي قبله لعلنا المسبق أنّ الأساتذة لا يفعلون جميع المجالات، واقترحنا عليهم تعليلين وتحصلنا على الإجابات التالية:

- الوقت: اثنان وعشرون إجابة بنسبة 92%

- الصعوبة النسبية: إجابتان بنسبة 8%

نلاحظ من خلال هذه النتائج أنّ الأساتذة يكادون يتفقون على تعليل واحد، حيث علّل جلّهم بضيق الوقت، وبعد المعاينة والمناقشة، والأخذ والرّد معهم أكدوا أنّ الحصة الواحدة في حدود خمسين دقيقة غير كافية لتدوين الأمثلة وقراءتها وشرحها وبناء أحكام قاعدتها مع تفعيل إحكام موارد المتعلم وضبطها، وأساند هذا التعليل الذي لا ريب فيه، إلاّ أنّه قد يكون مع ذلك سببا آخر والذي يتمثّل في الصعوبة الكامنة في بعض مجالاتها، فيعجز بعض الأساتذة عن الإجابة عن بعضها، وذلك يتوقف على طبيعة تكوين الأستاذ وشهادة تخرجه، وقد يتوقف على جدية البحث والتنقيب للإجابة عنها، وهذا ما لا يملكه أستاذ اليوم، لذلك لا تزال نتائج تعليم النشاطات متدنية لا تؤتي أكلها.

وعليه لا بد من إعادة النظر في هذه النشاطات اللغوية وما يتفرع عنها من المجالات لأهميتها في صقل المهارات اللغوية إذ "يكسب الطلاب المهارات الإعرابية والقراءة المتنوعة وبمكّنهم من السيطرة قدر الإمكان على الفصحى وظيفية أدائية وحيوية، ويعالج الأخطاء النحوية والإملائية المتكررة في كتاباتهم وكلامهم، ويساعدهم على تجنّب ما نراه من لحن ونطق أعجمي"¹.

بناء على أهمية الرافد اللغوي "إحكام موارد المتعلم وضبطها في النشاطات اللغوية" كان لزاما أن يُخصّص له وقتا كافيا، ولا أراه إلاّ ثلاث ساعات متتاليات لتكافأ الفرص بين التلاميذ لبناء أحكامها ومناقشتها بطريقة بيداغوجية تستميل النفوس، وتجانب الملل.

¹ - سيد أحمد عبد الواحد أبو الخطب، أثر المجتمع في الازدواج بين الفصحى والعامية، مجلة بحوث، ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، مج1، ص170.

كما يتعيّن على واضع هذه المعارف الثلاثة أن يفرد لها كتابا يحتوي على أجوبتها مفصّلة تشمل جميع المستويات ليستعين به الأستاذ، سدا لأبواب الصّعوبة والتهاون ومسألة ضيق الوقت.

3- أتفعل نشاط التعبير الشفهي؟ لماذا؟

طرحنا هذا السؤال لوجود هوة واضحة للعيان ما بين التوزيعات السنوية لجميع الشعب في مادة اللغة العربية، وخلوّها من حصص التعبير الشفهي، ووثيقة كشف النقاط التي تحتوي على خانة مخصصة لنشاط التعبير الشفهي، وكذلك لأهميته ودوره في تضيق دائرة العامية ومساهمة في تحقيق الملكة اللسانية، واقترحنا عليهم الإجابة بأحد الخيارين، وجاءت على الشكل الآتي:

- نعم: أربعة وعشرون إجابة بنسبة 0%.

- لا: لاشيء بنسبة 100%.

نلاحظ من النتائج السابقة أنّ جميع الأساتذة أجابوا بالنفي، حيث صرّحوا أنهم لا يفعلون هذا النشاط، وجاءت تعليقاتهم متقاربة المشرب الذي يدور حول عدم ذكره في التوزيعات السنوية، وأنّه يحتاج إلى وقت معتبر.

كانت هذه الإجابة والتعليقات متوقّعة، والعجب الذي يحوم حول هذه الملكة اللغوية أنّ لديها خانة تقييم على وثيقة كشف النقاط، مثلها كمثل خانة نقطة الفرض، أو نقطة المراقبة المستمرة، أمّا بالنسبة لتفعيلها كانت تُعطى للتلميذ نقطة عشوائية في كثير من الأحيان، إلّا بعضا من الأساتذة يفرضون على التلميذ تلخيص نص من نصوص المطالعة، أو تعتمد على استظهار قصيدة من القصائد المقرّرة عليهم ولا تُمارس إلّا في فترة الامتحانات فقط.

لا شك أنّ هذا السلوك سينعكس سلبا على مستوى التواصل اللغوي للمتعلمين، مما أدى إلى ضعف هذه الكفاية ومصاحبتهما للسان المتخرجين من الجامعات والمدارس العليا، ولعل المشكلة

الأساسية التي أبقت التلميذ عاجزا عن الاستخدام اللغوي السليم هي قلة الاهتمام بالتعبير الشفهي، وخاصة في الطور الأخير من التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية¹.

إنّ التعبير الشفهي يعتبر من تدريبات المنطوقة، وهي من المهارات الضرورية التي تمكّن الطالب من تعليم الفصحى، وأني أرى قول الدكتور رشدي طعيمة يفيد كثيرا في هذا الطور وإن كان كلامه على مرحلة الأطفال قائلا: "وإنّ الكلام أو الحديث أمر أساسي بالنسبة للأطفال لبناء ثروة كبيرة من المفردات والأفكار، قبل أن نبدأ تعليمهم القراءة، كما ثبت أنّ الطفل إذا تعلّم القراءة دون خلفية كافية في اللغة المتكلّمة فإنّ القراءة سوف تفقد أهميتها وفائدتها"².

علما أنّ هذا النشاط لا يزال مقرّرا في طور المتوسط على مدار أربعة سنوات في بداية كل أسبوع بيداغوجي، وذلك ضمن ميدان فهم المنطوق وإنتاجه، ويتناول خلال حجم زمني أسبوعي يساوي ساعة واحدة، إلا أنّ ثمراته لا تظهر على ألسنة أبنائنا في الطور الثانوي، مما يدلّ على أن هناك خللا ما في كيفية ممارسته وفي فترته الزمنية المخصصة له !

4- هل المعرفة كافية لتحقيق المهارة اللغوية؟ وضعنا له احتمالين، وكانت الإجابة على النحو التالي:

- كافية: لا شيء نسبة 0%

- غير كافية: أربعة وعشرون إجابة ما يعادل 100%

نلاحظ أنّ جميع الأساتذة بدون استثناء يرون أنّ المعرفة غير كافية لتحقيق الكفايات اللغوية، وهذا الذي نميل إليه، لأنّ امتلاك المهارة اللغوية التي هي هدف من أهداف التعليم لا تكفي فيها

¹ - ينظر: فضيل عبد القادر، إتقان العربية في التعليم، مرجع سابق، ص 97.

² - د.رشدي أحمد طعيمة ود.محمد السيد مناع، تدريس العربية في التعليم العام، دار الفكر العربي، الأردن، 2000م، ط1، ص100.

المعرفة لأنها ليست أشياء مجردة، بل هي أشياء حيّة قابلة للنمو والتطور، ولتحقيق هذا الهدف لا بدّ من توفر الشروط وعلى رأسها شرطان لازمان وهما: الممارسة والتدريب.

لا يخفى أنّهما شرطان لعملية تثبيت أي موقف تعليمي وهذه العملية كثيرا ما تحدّث عنها ابن خلدون مؤكّدا أنّ اكتساب الملكة لا يتحقق بمجرد حصول المعرفة وحدوث عملية التعلم، إذ اللغة معرفة ومهارة، فالجانب المعرفي يكتسب بالتعلم القاصد، والجانب المهاري يكتسب بالممارسة المتكررة¹.

محور حول الازدواجية

1- ما مدى اهتمامك وتفعيلك للفصحى والسّلامة اللغوية في عملية التّدريس؟ وقدّمنا لهذا السؤال اقتراحين:

- جيد: سبع إجابات بنسبة 29%.

- حسن: سبعة عشر إجابة ما يعادل 71%.

نلاحظ من هذه الإجابة أنّ نسبة الاهتمام الجيد باللغة العربية الفصيحة وتفعيلها أقلّ بمرتين من نسبة الاهتمام الحسن بها، وهذا يدل على أنّ النسبة الكبيرة من الأساتذة لا يدركون الخطورة التي تُحاكّ ضدها، واعتقادهم أنّ الاهتمام الحسن يكفي لمولاتها، وفي نظرنا أنّه لا يكفي في هذه الأوضاع المزرية التي تعيشها على ألسنة أبنائها، لا بد من التفاني في هواها وحماها لتحقيق صدق الانتماء الجيد باعتبار اصطفاؤها.

علما أنّ ممارسة الفصحى وتحرّي سلامة اللفظ ودقة الأسلوب، والالتزام بذلك من جانب المدرسين، تعين على ترسيخها في أذهان الطلّاب، وتساعد على الفهم والتعبير الصحيحين، وتحوّلها إلى مهارة من المهارات، وعادة صحيحة من العادات، وبذلك تكون قد هيأ مناخا صحيحا جماعيا

¹ - ينظر: فضيل عبد القادر، إتقان العربية في التعليم، مرجع سابق، ص 89.

للطلاب ينقلهم من العامية ويدفعهم إلى ممارسة الفصحى في أحاديثهم وأنشطتهم داخل القاعات وخارجها، وإلى اكتسابهم طلاقة في الحديث وصحة في التعبير، بحيث يستطيعون الإفصاح عن أفكارهم في وضوح ودقة وسلامة لغة وينبغي أن نهيئ المناخ نفسه للطلاب في مرحلة ما قبل الجامعة¹

2- أتعتمد في التدريس على المناقشة والحوار؟ وقدما ثلاث اقتراحات:

- نعم: سبع إجابات بنسبة 29%.

- لا: ست إجابات بنسبة 25%.

- أحيانا: أحد عشر إجابة ما يعادل 46%.

نلاحظ أن نسبة الإجابة ب "لا" و "أحيانا" أكبر من الإجابة ب "نعم" مما يدل على أن الأستاذ لا يعمل بهذه الطريقة إلا نسيبا على العموم، فهو لا يزال يعتمد طريقة التلقين والشرح... وقد يعود ذلك لأسباب نستنتجها من الإجابات الأخرى وهي كالآتي:

- عدم وجود مكتسبات قبلية التي يجب أن يتحلى بها المتعلم، وخاصةً أنه المحور للعملية التعليمية التعلمية.

- التدريس بالكفاءات لا تتحقق إلا بتوفر شروط وانتفاء موانع ، وهذه نفتقدها في مؤسساتنا لأن المقاربة بالكفاءات أسلوب تربوي نتاج الحضارة الراهنة، فيه القوة وفيه الضعف، ويكون على درجة كبيرة من الضعف إن لم تتوفر شروطه ولوازمه النظرية والعلمية والتقنية، ويصبح شكلا من أشكال الهيمنة والتسلط إن لم تراعى فيه قيم الأمة وهويتها².

¹ - ينظر: صالح بلعيد، ظاهرة ضعف اللغة العربية في الجامعات الوطنية، مرجع سابق، ص19.

² - مسعودي سليمان ، المتعلم في إطار الإصلاح التربوي بالجزائر من المفعولية إلى الفاعلية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، مرجع سابق، ص19.

3- (أ) ما موقفك من التدريس بالعامية؟ اقترحنا عليهم اقتراحين، وكانت الإجابة على الشكل الآتي:

- الرفض: أربعة وعشرون إجابة بنسبة 100%

- القبول: لا شيء بنسبة 0%

نلاحظ من هذه النتائج أنّ جميع الأساتذة من مختلف المؤسسات التربوية الثلاثة يتفقون على عدم التدريس بالعامية، وفي الحقيقة أنّ هذه النسبة الكاملة لم نتوقعها لوجود شيئاً من التهاون، أو شبهه عند بعضهم، وهذا التخمينُ تأكّده بعضُ النسب للاستجابات.

(ب)- إذا كان موقفك الرفض، ما تعليقك؟ طرحنا هذا السؤال والذي قبله لتخميننا المسبق أنّ أكثر الأساتذة يبنون فكرة التدريس بالعامية، وجاءت تعليقاتهم متقاربة يخدم بعضها بعضاً منها:

- أنّ العامية عاميات، والعاميات أجناس بأي عامية ندرّس؟

- الفصحى لا تفهم إلاّ بالفصحى، والعاميات ألفاظها محدودة.

- العامية تحمل في بعض ألفاظها بذاءة، كما تختلف ألفاظها و بعض معانيها من حيّز إلى حيّز، قد تقبل اللفظة في مكان، وتُنبذ في مكان آخر.

- التدريس بالعاميات لها خلفية استعمارية.

نلاحظ من هذه التعليقات والنسبة المئوية التامة التي جاءت بالرفض لهذا السلوك اللغوي واستعماله في التدريس، لشيء متوقع من أكثر الأساتذة لمادة اللغة العربية، وهذا الموقف يتبناه ويؤكّده كثير من الباحثين، حيث أنّ العامية لا تصلح للرسالة العلمية لأنها باللّغة الفصحى، ومتى كان التماثل ما بين الرسالة ووسيلتها التبليغية كانت الأهداف محققة والنتائج باهرة، لأنّ العامية في حدّ ذاتها ليست ثابتة لأنها تتغير بسرعة... وأنّ التخاطب باللّغة العامية يظهر تديني المستوى الثقافي العام

وضعفا للمستوى اللغوي وهما أمران ينبغي أن ينأى عنهما المدرّس الذي لا بدّ أن يبدو أمام طلبته كمتثقف ومفكر بما يليق بمستواه العلمي"¹.

4- ما أسباب التلوث اللغوي واستثرائه على ألسنة المتعلّمين؟ وضعنا لهذا السؤال اقتراحات ثلاثة، وتحصلنا على الإجابات التالية:

المجتمع والأسرة: تسع إجابات بنسبة 38%

الإعلام والمدرسة: لا شيء بنسبة 0%

المجتمع والأسرة، الإعلام والمدرسة: خمسة عشر إجابة بنسبة 62%

يظهر لنا من هذه النسب أن سبب التلوث اللغوي مرده إلى المجتمع والأسرة، وقد بلغت هذه النظرة والتي تمثل 100% باعتبار الاختيار الأوّل والثالث، كما نلاحظ أنّ نسبة الإجابة حول الاختيار الثاني "الإعلام والمدرسة" قد تصل إلى نسبة أكثر من 62% إذا اعتبرنا الاختيار الثالث مع الاختيار الأوّل ضمنياً.

يتجلى لنا أنّ نسب الإجابة قد تكون متقاربة، وذلك يعود لاشتراك هذه العناصر في استثناء التلوث اللغوي، وإن كانت شدة مساهمتها تختلف من عنصر إلى عنصر وتتجلى في المظاهر الآتية:

- مزاحمة العامية وقوة نفوذها، وبسط سلطاتها في البيت والشارع، حتى أصبحت تُستخدم في السياسة، والفن، وعلى المنابر اللغوية، وفي مختلف نواحي الحياة.

- وجود شيئاً من التهاون من مدرّسي اللغة العربية، وغياب العناية من مدرّسي المواد الأخرى للاستخدام اللغوي الفصيح.

¹ - سميح أبو مغلي، التدريس باللغة الفصيحة لجميع المواد في المدارس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997، ص39.

- تراجع الفصحى وظهور العامية في الساحات الإعلامية بشتى صورها.
- عدم اهتمام الأسر العربية بمادة اللغة العربية، بخلاف المواد العلمية التي يشجعونها.
- عدم اهتمام المؤسسات التربوية بمادة اللغة العربية، ولا يولّون لها اهتماما كبيرا بخلاف المواد العلمية، واللغات الأجنبية.

ومردُّ تلك المظاهر كلها عدم وجود سياسة لغوية صارمة، وتخطيط منظم "ولعلّ ضعف الخطط اللغوية أو انعدامها أحيانا كثيرا ما كان سببا في تردّي الوضع اللغوي الفصيح لدى المتعلمين وفي مستويات متقدمة، أي حتى المرحلة الجامعية، مقابل ذلك الانتشار الرهيب والغير مبرر للعاميات واللهجات خصوصا في البرامج والمؤسسات التعليمية"¹، إنّ مزاحمة اللغة العامية مشكلة اجتماعية عامة وعلينا جميعا أن نسهم في تضييق دائرتها.

5- أعمل جاهدا على تضييق الشرخ ما بين الفصحى والعامية؟ واقترحنا عليهم إجابتين اثنتين وتحصلنا على الإحصاء الآتي:

نعم: سبعة إجابات بنسبة 29%

لا أهتم: سبعة عشر إجابة بنسبة 61%

نلاحظ أن نسبة الإجابة بعدم الاهتمام تفوق نسبة الإجابة بـ "نعم" وهذا يدل على عدم استشارهم للخطورة التي تشكلها الهوّة بين الفصحى والعامية، والمنافسة المفروضة بينهما، وبالتالي يجهلون ما يترتب عن هذه الظاهرة التي سخرت لها الأقلام وعقدت لها المؤتمرات والندوات منذ عقود.

¹ - ينظر: أ. حدة روبايش، انعكاسات الازدواجية اللغوية في القنوات الفضائية على اللغة العربية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ص 381-382.

أمّا الذين أجابوا بـ "نعم" في اعتقادنا أنّهم لم يفهموا مجاهدة الشّرخ ما بين الفصحى والعامية إلاّ بمفهومها الضيق، كحرصهم على السّلامة اللغوية خلال النشاط الصّفي، وهذا مفهوم قاصر لا يغني شيئاً من تمّدّد العاميات واستشرائها وإغارتها.

وقد وقفنا على قول يمثّل أحسن تصوير لمجاهدة الشّرخ والتّضييق من دائرة العامية في حيّز المؤسسات التعليمية وساحتها، بل يمثّل قمة صدق الانتماء اللغوي للمفكر الراحل مولود قاسم نابت بلقاسم - وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية سابقاً- وفي هذا الصّدّد يقول موجهها وممثلاً لهذه الصورة: " نريد من المعلّمين والمعلّمات أن يفرضوا على التلاميذ ألاّ يتكلّموا إلاّ بالفصحى في المدارس وحتى في أوقات اللعب، فقد كان معلّمو اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية الفرنسية في الجزائر يفرضون على الأطفال عدم التكلّم إلاّ بالفرنسية داخل وجوار المدرسة، وكانوا يعاقبون التلميذ الذي يتلفظ بلفظة واحدة غير الفرنسية، وذلك لتعويد الطفل التدرّب بالفرنسية، لم لا نقلدهم في هذا ونطبقه على لغتنا نفسها؟ أي أن يفرض التكلّم بالفصحى، وبالفصحى وحدها في جميع معاهد التعليم بمختلف درجاته-على أن يشمل ذلك المعلمين والمعلّمات والأساتذة"¹.

6- (أ) أتقف على آثار العاميات في ألسنة التلاميذ؟ واقترحنا عليهم إجابتين اثنتين، وجاءت النسب على النحو التالي:

نعم: أربعة وعشرون إجابة بنسبة 100%

لا: لا شيء بنسبة 0%

أجاب جميع الأساتذة بدون استثناء بنسبة 100% أنّ هناك آثاراً للعامية تظهر على ألسنة المتعلمين، وقد كانت هذه الإجابة متوقعة لاستشراء الظاهرة.

¹ - مولود قاسم، الإنية والأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص114.

(ب) إذا كانت الإجابة ب "نعم" ما نوعها؟ واقترحنا عليهم عدة مستويات، صرفية، صوتية، نحوية تركيبية، معجمية وجود هنيئات بين الألفاظ والجمل للبحث عن الكلمة المناسبة، وذلك ليسهل علينا تصنيفها، ويسهل عليهم إحصاؤها، وجاءت النتائج متقاربة شكلا ومضمونا، وهي عل النحو التالي:

* صرفية: مثل الباب مغلق

* صوتية: مثل مخارج بعض الحروف كالضاد تنطق ظاء..

* نحوية: مثل الوقوف على السكون، التزام الجمع المذكر السالم بالياء.

* إملائية: مثل حذف الألف واللام

* وجود هنيئات بين الألفاظ والجمل للبحث عن الكلمة المناسبة: مثل الاستعانة بالعامية ليتمم بها ما عجز عن إتمامه.

نلاحظ من خلال الإجابة على هذه الأخطاء ووجودها على ألسنة أبنائنا بشتى أشكالها، لدليل على تداخل المستوى العامي بالمستوى الفصيح وتأثيره عليه، ممّا انعكس جليا على الجانب الشفوي كثيرا، لأنّ كثيرا منها يختفي في الجانب الكتابي، وإن كانت هذه الآثار تشترك معهما أحيانا.

7- (أ) هل تلمس عدم إدراك التلاميذ لبعض الأسئلة خلال النشاطات؟ واقترحنا عليهم إجابتين

اثنتين ، وكانت النتائج على النحو الآتي:

أحيانا: أربعة وعشرون إجابة بنسبة 100%

لا: لا شيء بنسبة 0%

نستشف من هذه النسبة الكاملة على وجود الخلل الإدراكي عند بعض المتعلمين من خلال الاختيار الأول " أحيانا "، والذي يوحي على بعض الأشياء المتخلفة عن المتعلمين، كعدم المعرفة اللازمة للغة العربية أو عدم تصور بعض المعاني التي تلفظ بها الأستاذ سائلا.

(ب) إذا كانت الإجابة متعلقة بالإثبات، ما تعليقك على هذه الظاهرة؟ وتركنا السؤال مفتوحا للمستوجب، لعله يذكر لنا عللا خفية نجعلها.

بعد إحصاء الإجابات تحصلنا على تعليقات متقاربة المعنى والمشرب، كقولهم " عدم الاستيعاب "، " عدم الفهم "، " غياب الكفاية اللغوية "...، فهي تدور على مدار واحد يعود على الفهم، وقد نميل في كثير من الحالات إلى هذه العلة، لأنّ الفهم باب من أبواب الإدراك، وقد اشتهر على الألسنة أنّ الفهم نصف الإجابة.

إذا من الأسباب والعلل القويّة التي حالت دون الإدراك هي غياب الفهم، فبوجوده تتحقق الكفايات اللغوية كما أشار إلى هذا أحد الباحثين قائلا عن الفهم أنّه: " قدرة لغوية عقلية ترتبط بكل القدرات اللغوية الأخرى، إذ يرتبط الفهم بالسمع، وبالكلام، وبالقراءة، وبالكتابة"¹، لا شك أنّه يرتبط بالمنطوق والمفهوم .

8- (أ) هل ترى أنّ الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى وتجسيدها؟ واقترحنا عليهم

إجابتين اثنتين بالنفي أو الإثبات، وكانت النتائج على النحو الآتي:

نعم: تسعة عشرة إجابة بنسبة 79%

لا: خمس إجابات بنسبة 21%

¹ - د.أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، مرجع سابق، ص95.

نلاحظ من هذه الإجابات أنّ النسبة الكبيرة تُثبت لهذه الظاهرة عرقلة الاكتساب اللغوي، أما النسبة المتبقية فإنّها لا ترى عرقلته، وفي نظرنا أنّ هؤلاء لم يدركوا خطورتها وحقيقتها، ولا الأدبيات السياسية التي أنشئت من أجلها، وقد أشار إلى شيء من هذه الأدبيات التي تحملها هذه الظاهرة العلامة محمود محمد شاكر مبيّنا ومؤكّدا خطورتها، ومكارة أصحابها، قائلاً أنّها: "من أعقد القضايا التي ابتلي بها العالم العربي خاصة، والعالم الإسلامي عامة، ولا تزال حيّة إلى اليوم، بل بلغت عنفوانها في هذه السنين الأخيرة، وليس لها شبيه في العالم كله... والكشف عن حقيقة هذه القضية، وهي الفصحى والعامية كشف عن أعظم مؤامرة خبيثة بدأت خافتة ثم علا صوتها... والمشركون في القضية بين غافل لا يدري ماذا يقول ولا ماذا يُراد به، وبين ماكر خبيث يضم النار في الحطب لتأكل الأخضر واليابس بعد قليل"¹.

أما الذين أثبتوا العرقلة التي تسببها هذه الظاهرة فإنّنا نوافقهم الرأي لأنّ كثيرا من الباحثين يؤكّدون سلبيتها على التّحصيل اللغوي، مثلما وجدنا الدكتور علي القاسمي ينحى هذا المنحى قائلاً: "اللغة العربية تعاني حالة ازدواجية تتمثل في وجود مستويين فيها هما: الفصحى للكتابة والمناسبات الرسمية، والعامية للاستعمال اليومي... وهذه الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى واستعمالها بصورة فاعلة"²، ويذهب في نفس السياق الباحث د. إبراهيم براهمي موضحا سلبياتها على التّحصيل اللغوي قائلاً أنّ: "هذا الوضع اللغوي الذي لا تكاد تسلم منه جميع اللغات في العالم له آثاره السلبية في تحصيل اللغة العربية، فالتلميذ يعيش هذه الثنائية في حياته اليومية، فهناك لغة معيار نموذج... وهناك لغة مستعملة على نطاق واسع في المحيط الاجتماعي مع الأصدقاء، والمنزل، والشارع،

¹ - ينظر: فتحي علي يونس، التواصل اللغوي والتعليم، يناير 2009، ص 24.

² - د. علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها في السياسة اللغوية، الفصحى وعاميتها لغة التخاطب بين التقريب والتهديب، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس 2008، ص 194.

وربما تسللت معهم إلى المدرسة مع الأحاديث الجانبية وشروحات الدروس وتحاليلها فتعلق بأذهانهم دون غيرها"¹.

(ب) - إذا كانت الإجابة بالنفي أو الإثبات، ما تعليقات التي ترونها؟

بعد إحصاء الإجابات كانت تعليقات النفاة متقاربة المعنى مدارها حول طبيعية الظاهرة، وأنّ هناك أسباب أخرى سياسية بيداغوجية أعاققت الاكتساب اللغوي وتحصيله، أمّا تعليقات المثبتين لهذا المانع من الاكتساب فهي على النحو التالي:

- وجود مستويين لغويين متنافسين من شأنه إحداث تشويش للذهن، وبالتالي سينقلب على الاكتساب اللغوي سلبيًا.

- طغيان العاميات، واقتحامها المجالات الحيوية للفصحى.

9- ما الحلول التي تراها ناجعة لهذه الظاهرة؟ وتركنا السؤال مفتوحا للمستوجبين لعلنا نقف على اقتراحات تفيدنا في هذا المضمار.

كانت معظم إجابات الأساتذة وعددهم سبعة عشر أستاذًا، وهو ما يمثل 68% متجهة إلى أنّ الوسيلة المثلى للحدّ من هذه الظاهرة تتمثل في إصلاح البيئة اللغوية، في حين كان رأي ثلاثة أساتذة، وهو ما يمثل 12% موجهًا إلى أنّ الحلول المناسبة للتضييق من هذه الظاهرة يتمثل في حسن أداء الأساتذة وتفعيل الفصحى باعتبارهم الأسوة الحسنة للمتعلّمين، ووقوف الأسرة إلى جانب ذلك، كما يجب على المؤسسات اللغوية من تكثيف نشاطاتها، ونجد النسبة المتبقية من الأساتذة والتي تمثل 20% تقترح وسيلة الإصلاح الجذري للمناهج التربوية، واهتمام السلطات بها.

¹ - د. إبراهيم براهيم، السوق اللغوية في الجزائر-تحديات الاستعمال اللغوي ورهاناته-، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، الجزء 02، المجلس الأعلى للغة العربية، 17-18 مايو 2017، ص 143.

نلاحظ من خلال هذه الإجابات أنها حلول تكمل بعضها بعضاً، وإن كانت تتفاوت في الأهمية والأولوية فيما بينها، وعين الصواب من اقتراح صناعة وإنشاء وتحقيق بيئة لغوية فصيحة، كما يظهر لنا في نسبة الإجابات 68%، وذلك لطبيعة اللغة لكونها كائناً من الكائنات التي لا حياة لها إلا في الوسط الذي تعيش فيه وتنمو فيه، وقد أكدت جميع البحوث على "أن وجود اللغة يشترط وجود المجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي في اللغة فليس هناك نظام لغوي يكمن منفصلاً عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به"¹.

ومن جهة أخرى أن البيئة اللغوية الفصيحة تكون منبتاً ووسطاً يظهر فيه الإبداع والابتكار اللغوي "وكم من ملكات في النثر والشعر ماتت في مكانها لأنها لم تلق ما يفتح براعمها ويبيّن أعوادها"².

لا يمكن بأي حال أن نتعلم الفصيحة ونتمكن منها قضمًا، وهضمًا، وخضمًا، إلا بوجود مجتمعها الذي تترعرع وتنمو فيه عن طريق الاعتياد والسّمع والممارسة والتكرار، وهذه الخصال لا يمكن توفّرها إلا في بيئة فصيحة، يقول ابن خلدون: "...فالمتمكّم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأسالبيهم في مخاطبتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً ثم يسمع لتراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كل لحظة، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرّر إلى أن تصير ملكة وصفة راسخة"³.

هذا القول والذي يليه - في نظرنا - يستحق أن يكتب بماء الذهب لاحتوائهما على نصف علاج لسان هذه الأمة ابتداء بتوفر البيئة اللغوية الفصيحة، وقد أشار قبله العلامة أحمد ابن فارس إلى

1 - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات، مرجع سابق، ص6.

2 - محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية، مرجع سابق، ص94.

3 - ولي الدين عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج2، مرجع سابق، ص378.

أهمية البيئة قائلًا: "تؤخذ اللغة اعتيادًا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ عنهم على مر الوقت"¹.

حتى وإن كانت البيئة اللغوية ضرورية لمحاربة هذه الظاهرة إلا أنّها - في معتقدنا - تبقى مع الاقتراحات الأخرى حلولاً ترقيعية من باب الاستعجال الأولى، ما لم تتوفر على سند كامل من السلطة الصادقة الانتماء بأي وجه من الوجوه لهذه اللغة، وقد أشار بعض الأساتذة التي بلغت نسبتهم 20% إلى هذا الاقتراح، الذي يُعد في نظرنا الركن الأول للإصلاح اللغوي، ومن علامات صدق هذه السلطات:

- أن تجعل المسألة اللغوية ضمن أمهات القضايا وأولويتها، وتعتقد أنّ الأمن اللغوي جزء لا يتجزأ من لأمن العام للدولة، فلا يقل أهمية عن الأمن الغذائي والأمن المائي.
- أن تكون لديها سياسة لغوية وتشريع لغوي واضح مواكب للأحداث والمستجدات.
- أن لا تقتصر على إنشاء النصوص كما هو الحال بالبلاد العربية ، بل لا بدّ من الإجراءات الفعلية والقبولية والرادعة.
- أن تكون هذه السلطة قدوة وصورة حقيقية لهذا التصور اللغوي.

وحجّة هذا الشرط لا تخفى على ذوي الألباب، أما سمعنا بالتجربة اللغوية الصينية والكورية، ألم نسمع بالظاهرة اللغوية ونجاح اليهود في إحياء لغتهم الميته، واتخاذها لغة الأدب والعلم والحياة، هل كانت هذه التجارب ونجاحها من غير سلطة؟ ومن غير رادع؟

أليس لنا أسوة حسنة في خلفاء بني أمية وخلفاء العباسيين وملوك الأندلس ومساهماتهم في تحصيل الكفاءات اللسانية وتكريسها على أرض الواقع، إنّ للسلطات تأثير بالغ في الظواهر اللغوية

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصّاحبيّ في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها، مرجع سابق، ص34.

بدون منازع، وقد عُلم أنّ الناس على دين ملوكهم، يقول ابن خلدون: "...لأنّ الناس تبع للسلطان وعلى دينه"¹.

لا بد من وجود سلطة حاملة اللواء اللغوي وحامية له، وإلاّ ستبقى تلك الحلول والتوصيات من المؤسسات اللغوية أو من غيرها ترقيعية لا تجدي نفعا مع وجود عوامل الهدم وغياب السلطة التنفيذية الرادعة، وقد ثبت عن عمر ابن الخطاب أنّه قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "...فإنّّه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له..."²، لذلك فإنّ قوام اللغة العربية متوقف على وجود مؤسسات لغوية تهدي، ومجتمعات تجسد، وسلطة تحمي.

4. المعايينة والملاحظة

بعد الاستئذان من المدراء حضرنا بعض النشاطات الصفية مع بعض الأساتذة، واخترت نشاطات مقصودة، كالنص الأدبي والنص التواصلية، لأنهما موطنان للتفاعل والمشاركة، ومن الأشياء التي عاينّاها ووقفنا عليها ما يلي:

- 1- مزاحمة صور العامية في إجابة التلاميذ.
- 2- إجابات عشوائية لبعض التلاميذ غير مطابقة للأسئلة.
- 3- المشاركة محدودة جدا على عناصر لا تفوق في كثير من الأحيان خمسة تلاميذ أو ستة.

¹ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص283.

² - ينظر: محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (1099هـ-1182هـ)، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م، ط1، ص878.

- 4- بين الفينة والفينة الأخرى يزلّ لسان بعض الأساتذة بألفاظ عامية، وهناك من لا يتحرّج منها ألبته.
- 5- استعمال بعض الأساتذة لكلمة "يعني" كثيرا في حديثه مع التلاميذ.
- 6- تغاضي جل الأساتذة على كثير من الأخطاء، لاسيما النحوية منها.
- 7- بعض الأساتذة يسترسل في الشرح، وبالتالي يأخذ جزءا كبيرا من الوقت.

تحليل وتفسير النتائج

قبل الشروع في تحليل وتفسير هذه الملاحظات يتبين لنا أنها متقاربة جدا مع إجابة المستجوبين من التلاميذ والأساتذة مما يدل على الصدق والموضوعية بنسبة كبيرة في كثير منها.

نستشف من هذه الملاحظات أنّ الأستاذ قد يكون سببا في تعقيد ظاهرة الازدواجية اللغوية، وذلك من خلال تهاونه وسكوته وتجاهله عن الأخطاء اللغوية بشتى أصنافها، لاسيما الظاهرة منها التي تعمل على توسيع دائرة العاميات كما ذكرنا في الملاحظة الرابعة هذا من جهة، و من جهة أخرى قد يكون طرفا مباشرا في تعميق حدّة الازدواجية من حيث يدري أو لا يدري.

الأستاذ الكفاء ينبغي أن يكون محيطا بالعملية التعليمية من كلّ جوانبها مدرك كلّ الإدراك للنقائص التي يعاني منها المتعلمون، فنجدّه يتحكّم في اللغة جيدا يوظفها في مختلف المواقف، يحفز بها المتعلمين ويحاول بناءهم من كل المستويات¹.

5. تحليل وتعليق على اختبار تشخيصي

1- المرحلة الأولى

¹ - ينظر : أ. يوسف بجاوي، التصوّر الواضح لأهداف المناهج التعليمية، أعمال الملتقى الوطني، ازدهار اللغة العربية- الآليات والتحديات-، ص609.

في هذه المرحلة أجرينا الاختبار التشخيصي على العينة بأجمعها دون تصريف، إلا أنّ الممارسة الفعلية للاختبار كانت في كلّ مؤسسة على حدا، وفي أزمنة مختلفة ليتسنى لنا اختبار كلّ متعلّم على انفراد، حتى لا تتأثر النتيجة بعملية السّماع، وبعد قراءتنا على مسامع المتعلمين القصتين باللغة الفصحى بقاعة المحاضرات ، وكانت قراءتنا للقصتين قراءة متأنية واضحة، وذلك في كل مؤسسة من المؤسسات الثلاثة، وطلبنا منهم إعادتها بالفصحى، ووعدناهم بتحفيز مادي لمن استطاع المحاكاة الصحيحة بلغة سليمة، وجاءت إحصاءات الإجابة الشفهية لهذا الاختبار بعد جمعها من المؤسسات الثلاث على النحو التالي:

- سبعة عشر متعلما ما يمثل تقريبا نسبة 7% حيث أعادوا القصة كاملة بأسلوب سليم مع المحافظة على كثير من ألفاظها.
- واحد وعشرون متعلما ما يعادل نسبة 9% حيث أعادوا القصة باختصار مخل، لأنهم نسوا بعض أفكارها مع بعض الأخطاء اللغوية.
- مائة وثمان وتسعون متعلما ما يعادل نسبة 84% قد أحجمت عن المنطوق ولم تحاول.

نلاحظ من هذه النسب أنّ النسبة الأكبر التي بلغت 84% لم تحاول، في حين أن نسبتين ضئيلتين جدا حاولتا المحاكاة، إحداهما وُفقت في إعادة القصة مع المحافظة على كثير من ألفاظها وأسلوبها، أمّا الأخرى فقد حاولت إلا أنّ إعادتها كانت مع تقليص وتلخيص لأسلوب القصة وظهور بعض آثار العامية على ألسنتها، كالاستعانة ببعض ألفاظ العامية لإتمام ما عجز عنه اللسان تعبيرا بالفصحى، كما وُجدت فترات انقطاع بين العبارات من أجل استحضر القصة، وللحفاظ على عباراتها، وهذا دليل على أنّ أكثر التلاميذ يفتقدون للمجالات الدلالية والألفاظ المعجمية، وفاقده الشيء (للحصول اللغوية) لا يعطي، وهذه الظاهرة أُصيب بها الجميع، وصارت عند الكثير عادة مقبولة، وركن الكثير واستأنسوا بالقاعدة " إذا عمت البلوى خفت".

2- المرحلة الثانية

أجرينا هذه المرحلة بعد شهر على عدد من العينة بخلاف المرحلة الأولى، وكانت هذه الفترة كافية لنسيان عبارات وأسلوب القصة، اللتان ذكرتا في المرحلة الأولى، وأخذنا من كل فوج عشرة متعلمين عشوائيا من غير المجتهدين لغاية تهدف إليها الدراسة، حيث أصبحت العينة الاستثنائية كذلك مكوّنة من ثلاثين متعلّما في كل مؤسسة من المؤسسات الثلاثة من غير المتفوقين، ليتسنى لنا اختبار كلّ متعلّم على حدا، حتى لا تتأثر النتيجة بعملية التكرار، وبعد قراءتنا على مسامع المتعلم القصتين بالعامية المتداولة في حدود الدراسة، وطلبنا منهم إعادتها باللهجة العامية، وجاءت نتائج المرحلة الثانية بعد إحصائها من المؤسسات الثلاثة لهذا الاختبار التشخيصي على النحو التالي:

- اثنان وسبعون متعلما بنسبة 80% أعادوا القصة بألفاظها العامية، وبأريحية تامة في محاكاتها.
- ثمانية عشرة متعلما بنسبة 20%، أعادوا القصة بأريحية، إلا أنهم نسوا بعضاً من أفكارها.

نلاحظ من هذه النسبة الكبيرة جدا أن المتعلّم استطاع إعادة القصة بأريحية مع الحفاظ على كلّ أفكارها، وهذا يدل على وجود علاقة قوية بين اللغة التداولية والاستيعاب والتفكير وغياب الانفصام بينهما، كما نستشف أنّ اللغة التداولية عامل قوي في استرجاع المعلومات واستحضارها "قد يجد المتكلم نفسه في كثير من الأحيان عاجزا عن التعبير عن أغراضه، والسبب في ذلك ليس قصورا في المعجم العام للجماعة اللغوية، بل عائد بصورة مباشرة لضآلة الرصيد المعجمي للفرد"¹.

أما النسبة المتبقية التي تمثّل 20% هي الأخرى كذلك استطاعت إعادة القصة بأريحية مع حذف بعض الألفاظ، وتفسير ذلك أنّ هؤلاء قد جاءهم هذا الخلل من الجهة الفزيولوجية، أو من الناحية النفسية، وليس من ناحية اللغة التداولية.

¹ - د. حاج هني محمد، المكانز وأهميتها في ترقية الحصيلة اللغوية للمتعلمين من التنظير إلى التطبيق، ازدهار اللغة العربية - الآليات والتحديات -، ص441.

6. وقفة مع النتائج السابقة

قد شدّ انتباهي نتائج الامتحان التشخيصي، وأجوبة بعض الأسئلة في استبيان التلاميذ، كالأسئلة التالية:

كم مرة تتجاوب أثناء النشاط الصفي باللغة الفصحى؟

كم مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟

ما الأسباب التي تجعلك تجنح إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟

حيث تبين لنا ملحوظتان مهمتان من خلال هذه النظرة، وحرري الوقوف عندهما، وهما كالآتي:

الملحوظة الأولى: تتمثل في انعدام مهارة المنطوق الفصيح لدى أكثر المتعلمين، الذين تفوق نسبتهم عن 70%، مقارنة مع المكتوبات التي يدونونها، ولتقريب هذه الصورة نأخذ على سبيل المثال فئة من السنة الثالثة آداب وفلسفة، وتعرف على عدد عباراتهم المنطوقة باللغة الفصيحة، وعدد العبارات المكتوبة على كراس أحدهم في مادة اللغة العربية فقط داخل القسم على مدار السنة الدراسية (22 أسبوعاً).

الواحد من هؤلاء المجتهدين يشارك بمقدار (10) عشر مرات خلال ثلاثة حصص أسبوعياً، أي ما يعادل عشرة أسطر على الأغلب أو مائة كلمة مكتوبة خلال أسبوع، وهذا ما يقابل على الأقل تسعون سطراً من مكتوباتهم خلال أسبوعي دراسي في مادة اللغة العربية، وتكون إحصاءات مكتوباتهم ومنطقاتهم خلال السنة الدراسية (أي 22 أسبوعاً) على النحو التالي:

أ- عدد عباراتهم المنطوقة خلال 22 أسبوعاً:

$$10 \text{ أسطر} \times 22 \text{ (أسبوع)} = 220 \text{ سطراً}$$

ب- عدد عباراتهم المكتوبة خلال 22 أسبوعاً:

$$90 \text{ سطراً} \times 22 \text{ (أسبوع)} = 1980 \text{ سطراً}$$

نلاحظ من خلال إحصاء مهارتي المنطوق والمكتوب على مدار السنة (22 أسبوعاً) أنّ ممارسة المكتوب - وفي معظم أوقاته يكون من عقل غافل لاه- تفوق ممارسة المكتوب بتسع مرات، مع العلم أن هذا التمثيل خاص بالتلاميذ المجتهدين، ناهيك عن التلاميذ الذين لا يتفاعلون، أو قلّما يشاركون فما نقول؟

بناء على هذا المفهوم، تخيل معي بل تصوّر كم كتب هذا التلميذ من بداية تعلّمه إلى نهاية تخرجه الجامعي وكم نطق بالفصيح؟ فأنتى لنا أن نتحلّى بالطلاقة اللغوية، و أن نحصل على الملكة اللسانية!

علما أنّ هذا السلوك مخالف للطبيعة التواصل التي جُبل عليها الإنسان، إذ المنطوق أصل والمكتوب فرع عليه إذا كان مبنياً على الوعي والاستيعاب فالتلميذ يتعلم اللغة وسيطر على مفاصلها في مظهرها المنطوق أولاً وقد أكّد الدكتور تواتي بن تواتي هذا المنحى قائلاً "إنّ اللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرع عليها، فالمنطوق ومن ثمّ المسموع هو المنبع الأول الذي يستقي منه الإنسان"¹، فكلّ الكتابات المتداولة في العالم قديماً وحديثاً هي مجرد محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتي لهذه اللغات، فالقارئ العادي لا يقرأ الكلمات المكتوبة حرفاً حرفاً، ولكنّه ينظر إلى الرموز المكتوبة فيتذكر الكلمة فينطقها²، هذا دليل على تصوّر الألفاظ وتواجدها بالذهن أولاً، وبعد ذلك يقرأها أو يكتبها.

1 - د. التواتي بن تواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص35.

2 - ينظر : محمود فهمي حجازي، مدخل إلى اللغة، دار قباء للطباعة والنشر عبده غريب، طبعة جديدة ومنقحة، 1998، ص29.

فالمكتوب في أفضل صورّه هو محاولة للتعبير عن اللغة المنطوقة ومعرفتهم المسبقة لها، لذا نجد المدارس الحديثة تعتمد على الصورة الشفهية في تعليم اللغات.

الملحوظة الثانية : تتمثل في النسبة شبه المعدومة لمهارتي المنطوق والمسموع الفصيحيان مقارنة مع المنطوقات والمسموعات العامية في التداولات اليومية في شتى المجالات بناء على إجابات الاستبيان والاستعمال اللغوي اليومي.

وقد ثبت أنّ " الإنسان يقضي حوالي 75% من ساعات يقظته في أنشطة اتصال شفهي، 45% منها في الاستماع، ويتحدّثون الناس حوالي 30%...¹، وقد أثبتت استجابات الاستبيان أنّ هناك نسبة كبيرة من المتعلمين تفوق 80% لا يتواصلون باللغة الفصحى لا داخل المؤسسة ولا خارجها، إضافة على ذلك أكّدوا على اهتمامهم بالبلغ بالمسموعات العامية، وقد بلغت 99%

نلاحظ من خلال هذه النسب أنّ استعمال المنطوق والمسموع الفصيحيان ضئيلة جدا تكاد تنعدم أمام المنطوق والمسموع العامي في الاستعمال اليومي، لأنّ المتعلم "ينمو وينضج محاطا بالدارجة من كلّ جانب وفي كل مكان، فالدارجة لا تزياله حتى في الفصل الدراسي يسمعها إمّا من زميله وإمّا من مدرّسه"².

كيف للتلميذ ألا يتأثر فكرا وتعبيرا بالعامية وهو مغمور في وسطها بعيدا عن القدر المنحني من الفصيحة، ألقاه في اليمّ وقال له إياك أن تبتل بالماء؟!

علما أنّ هذه النسبة الضئيلة من المسموع والمنطوق الفصيحيان المتواجدان في الساحة التعليمية في حكم المعدوم تماما، لأنّهما معرّضان للاضمحلال والزوال بسبب الوضع اللغوي المزري وغياب المدافعة اللغوية "إذ أنّ ما يبينه معلم اللغة العربية معرض للهدم بسبب استثناء العامية في مرافق

1 - أ.د مصطفى رسلان الشبلي، د محمد محمود موسى، مهارات الاتصال اللغوي، دار القلم، دبي، ط1، 2007، ص54.

2 - ينظر : د. صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، مرجع سابق، ص55.

الحياة، في البيت والشارع، حتى إن كثيرا من المسلسلات التلفزيونية والإذاعية تقدّم برامجا بالعامية، ومن هنا نجد أنّ المتعلم لا يسمع إلى العربية إلا في ساعات قليلة، وهذه الساعات المحدّدة غير كافية لاكتساب المهارات اللغوية، يضاف إلى ذلك أنّ أغلب المعلمين حتى لمن جدران الأقسام يستخدمون العامية في تدريسهم وشرحهم، ولا يعلمون على تشذيب إجابات المتعلمين إذا ما كانت بالعامية فيرسخ الخطأ على الألسنة والأقلام¹.

التلميذ يعيش ازدواجية غير متوازنة في التداول اليومي للمنطوق وللمسموع مما ينقلب سلبا على التحصيل اللغوي الفصيح، وإضعاف ملكة التواصل حيث " يعيش هذه الثنائية في حياته اليومية، فهناك لغة معيار نموذج لا يتفاعل بها إلا داخل أسوار المدرسة، وهناك لغة غير خاضعة لقواعد مضبوطة مستعملة على نطاق واسع في المحيط الاجتماعي مع الأصدقاء، والمنزل، والشارع، وربما تسلت معهم إلى المدرسة مع الأحاديث الجانبية وشروحات الدروس وتحليلها، فتعلق بأذهانهم دون غيرها"².

وقد أكد العديد من الباحثين على خطورة هذا النمط من الاتصال الشفهي باللهجات العامية، ومدى أثره على اكتساب مهارة التواصل باللغة الهدف، لأنّ العاميات وطغيانها تعرقل نمو المعجم اللغوي الفصيح وتفعيله لدى المتعلمين، كما يحرمهم من السّلاسة والطلاقة اللغوية الفصيحة، ويجعل اللغة ميّنة في نفوس أبنائها.

7. النتائج العامة للدراسة التطبيقية

عقب الانتهاء من البحث الميداني الذي أجريناه مع التلاميذ والأساتذة تبين لنا كثير من الملاحظات أهمها:

¹ - د. عز الدين صحراوي، واقع اللغة العربية في المنظومة التعليمية بين الاستعمال والإهمال، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص102.

² - د. إبراهيم براهمي، السوق اللغوية في الجزائر - تحديات الاستثمار اللغوي ورهاناته - ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، مرجع سابق، ص143.

- المتعلم يتحلى بقاموس معجمي عامي مما يساعده على التركيز وضبط المعلومات واسترجاعها والتعبير عنها بلغة المنشأ بأريحية تامة.
 - المتعلم يفتقر إلى القاموس المعجمي الفصيح في المجال التداولي، وهذا الافتقار من الأسباب القوية في السلاسة اللغوية عند المتعلم.
 - العاميات صارت ملكة في ألسنة التلاميذ، بينما الفصحى ما هي إلا ألفاظ معدودات يتعلمها المتعلم لا ترقى إلى منافسة العاميات ومدافعتها.
 - وجود صراع لغوي في أذهان المتعلمين، إذ يفكر بالملكة المكتسبة، ويحاول التعبير بالمهارة أو شبهها التي حصلها عن طريق العملية التعليمية، والتي لا ترقى على زحزحة الملكة المكتسبة من اللسان والأذهان، لذلك جلّ التلاميذ يفكرون بالعامية، ويحاولون التعبير بالفصحى.
 - ما يكتسبه المتعلم ويمارسه من اللهجات العامية أضعافا مضاعفة مما يتعلمه من الفصحى فالمهارة اللغوية المكتسبة من لغة المنشأ تؤثر بشكل مباشر على تعلمه، وذلك لعدم وجد التوازن بينهما.
 - صعوبة التعبير الشفهي وعدم الاتّصاف بالطلاقة اللغوية وسلاستها اللسانية يعود إلى خلل التوازن الموجود بين هذه الثنائيات التالية:
- * بين مهارتي المنطوق والمكتوب في الساحات التعليمية، والمجالات الحيوية.
- * بين ظاهرتي الاستعمال اليومي للعامية والاستعمال الفصيح.
- صعوبة التحوّل ممّا هو موجود مطبوع - لغة المنشأ- إلى ما هو مرجو - التحدث بالفصحى دون عقدة- لأسباب سياسية، بيداغوجية ونفسية.
 - نسبة قليلة من المتعلمين يحاولون الحديث بالفصحى أثناء النشاطات الصفية، والنسبة الكبرى منزوية لا تتجاوب في العملية التعليمية.

- كثيرا من أساتذة غير اللغة العربية يستعملون العامية في التدريس دون إحراج، ومما لا شك فيه أنّ هذا السلوك يساهم في إبعاد الفصحى عن دائرة الاهتمام، وشمولية تطبيقها في الساحة التعليمية.
- المقررات الثانوية لا تهتم بمهارتي المنطوق والاستماع بتاتا، وإن وجدت بعض النشاطات فإنها غير معتبرة كوجود خانة في كشف النقاط خاصّة بالتعبير الشفهي إلا أنّها غير مفعّلة، وتُعطي نقطة عشوائية للمتعلم من طرف أكثر الأساتذة بناءً على اجتهاداتهم.
- مناهج تعليم اللغة العربية ومقرراتها لا تشد الناشئة إلى ما ينمي ملكتهم اللغوية بقدر كاف ولا تربي فيهم الإحساس بثناء لغتهم الفصحى وجمالها أو تشجعهم على الانجذاب الطوعي لما يمكن أن يُرقي سليقتهم وحسهم اللغوي، خاصة النصوص الشعرية.
- الوسط التعليمي لا يولي اهتماما للممارسة اللغوية الفصيحة، لاسيما المنطوق منها.
- وجود ظاهرة الازدواجية اللغوية على ألسنة المتعلمين، وتتجلى في المستويات الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية.
- الأستاذ سلاح ذو حدين بإمكانه أن يساهم في تكريس الازدواجية اللغوية كما يمكنه التضييق من دائرتها.
- عدم التحكم الجيد في الأداء اللغوي وتوظيفها من طرف بعض الأساتذة.
- أغلب الأساتذة لا يهتمون بتشذيب إجابات التلاميذ وتواصلهم أثناء النشاطات إذا ما تخلّلتها مظهر من مظاهر الازدواجية، لأسباب قد تكون مقبولة في بعض الأحيان.
- غياب صدق الانتماء اللغوي لبعض أبنائها الذين خذلوها بقصد أو بدون قصد، ويتجلى في كثير من التصرفات الموحية بعدم وجود صدق الانتماء.

خامسا: التوصيات

- 1- تنقية لغة الخطاب من المهجين اللغوي لثلاثا تكون كما قال حافظ إبراهيم "ثوبا مرّعا ضمّ سبعين رقعة".
- 2- الاقتصار على استعمال الفصحى في جميع مراحل التعليم ومستوياته وتخصصاته، ومنع استخدام العاميات في جميع وسائل الإعلام بأنواعها، وفرضها على بعض الإدارات السياسية والتجارية.
- 3- الأولى للأمة العربية أن تتمثل لهذا البيان الذي وُجّه للفرنسيين "أيها المواطنون فليدفع كلّ منكم تسابقا للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا لأنّ تلك اللهجات إنّما هي من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد".
- 4- ضرورة تخصيص نشاطات صافية للتعبير الشفهي ومنحه ساعات تطبيقية أكثر، وإثراء محتوياته بجعلها مناسبة مع التداول اليومي للمتعلّم مع تسخير الوسائل الحديثة الخادمة له، وإقحامه مع جميع النشاطات كمحور أساسي في العملية التعليمية لأهمية المنطوق في الحياة الاجتماعية.
- 5- من الضروري الاستفادة من البرامج التكنولوجية الحديثة كاستعمال الحاسوب والشاشة الضوئية في تدريس اللغة العربية في مختلف المؤسسات التعليمية والتكوينية، والساحات البحثية
- 6- الاهتمام بحفظ الكلام الفصيح من القرآن والحديث النبوي والشعر القديم من الحكم والأمثال.
- 7- إنشاء بيئة لغوية أخطبوطية، وإحداث أسواق لغوية وأدبية لإنماء الرصيد اللغوي واعتياد اللسان على تقلّبها، لأنّ اللغة العربية الفصحى لها وسط لا تعيش ولا تنمو بدونه.
- 8- تفعيل التوصيات التي أصدرتها المؤتمرات العلمية والمجامع والمجالس العليا للغة.

- 9- تعزيز الوعي اللغوي، وتحذير الأمة من بعض الظواهر اللغوية التي قد تكون سببا في تمزّقها باسم العلم والتحضّر.
- 10- حتمية التخطيط اللغوي الذي يرمي إلى تنمية الفصحى وتوسيع مجالاتها، والتضييق من دائرة العاميات، وسد الذرائع التي تعمل على استفحالها واستشرائها.
- 11- العمل على تضييق استعمال اللغة الأجنبية في الحياة اليومية، وإيجاد متنفس لتوسيع مجال اللغة العربية.
- 12- تعلّم اللغة العربية الفصيحة ليست مسؤولية أستاذ اللغة العربية وحده، فلن يصلح العطار ما أفسده الدهر، وإنّما هي مسؤولية جميع شرائح المجتمعات.

خاتمة

- وهكذا بعد البحث والتنقيب واستشارة ذوي اللسان نصل إلى خاتمة البحث عارضا لأهم نتائجه ومجملها إياها في في إنجاز من غير إطناب، تترك التفاصيل في ثنايا البحث وهي كما يأتي:
- 1- اللغة العربية في الوطن العربي عامة، وفي الجزائر خاصة تعيش حالة من الحصار الخانق المضروب حولها من عدة جهات منذ عصر الاستعمار، فهي اليوم رهينة لمؤامرة استعمارية فرانكفونية خفية محبوكة باتقان.
 - 2- غياب صدق الانتماء اللغوي لجلّ أبنائها الذين خذلوها بقصد أو بدون قصد، ويتجلى في كثير من التصرفات الموحية بعدم وجود صدق الانتماء.
 - 3- تعدد ظواهر لغوية بالساحة الجزائرية وعلى رأسها ظاهرة الازدواجية -الفصحى والعاميات- وبروزها على الألسنة، المؤسسات التعليمية لا تستطيع مواجهة هذه الظاهرة وحدها ما لم يدعمها المجتمع بمفاصله.
 - 4- الازدواجية تعرقل اكتساب وتعلم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية، وتضييق عليها في الاستعمالات اليومية.
 - 5- نلمس شرخا واضحا بين الطرح النظري والأهداف المقترحة التي نصت عليها المناهج والتوجيهات التربوية، والممارسة الميدانية للأساتذة والمربون، والأهداف المرجوة للتلاميذ، لذلك نلمس هوة كبيرة بين النظري المطروح والفعلي الموجود.
 - 6- عدم الأخذ بالسياسة اللغوية الجادة أفضى إلى شيوع العاميات على حساب اللغة العربية، إذ أصبحت الفصيحة منحصرة في دائرة ضيقة جدا حتى في مظاهرها.
 - 7- الازدواجية اللغوية بهذه الصورة المتمثلة في حجم شرخها الكبير بين اللغة العربية ولهجاتها ليست طبيعية، لذا لا بد من حلول فورية لعلاجها قبل استفحالها.

- 8- إذا كانت الازدواجية تساهم في تدني المستوى اللغوي في جميع جوانبه، فإنّ هناك عوامل أخرى ساهمت في التدني مثل المناهج والكتب والطرائق المتبعة في التدريس، كما يتحمل قسطاً منها الأستاذ والمعلم.
- 9- اللغة العربية لغة حية عمرها قرون لا يتغير أصلها، وهي محفوظة بفضل الله تعالى التي اختارها لغة لكتابه قائلاً عز وجل: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف: الآية 02).
- 10- العامية عاميات، فالدعوة إليها دعوة إلى التجزئة والتحلل خاصة في سياق حرب اللغات والعملة الموجهة.
- 11- إذا كانت الازدواجية في عصرنا الحالي تجعل التحوّل إلى الفصحى في خانة الاستحالات، إلّا أنه بإمكان أبنائها التّضييق من دائرتها.
- 12- اللغة العربية لها وسط لا تعيش ولا تنمو بدونه.
- 13- عامية اليوم خرجت عن إطارها الضيق والاعتقاد أنّ العامية ما هي إلّا تغيير بسيط طرأ على الكلمة أو أواخر الكلمة.
- هذا ما استطعنا الوصول إليه في دراستنا ونحال أننا قاربنا السداد، وإنّ المقلّ مثلي ممن جاء ببضاعة مزجاة في طلب التأليف في هذا العلم الحديث -علم اللسانيات- لا يسعه إلّا أن يُسلم لأهله كي يسلم، ومن وجد خللاً فعليه بقول القائل:
- وإنّ تجد عيباً فسُدّاً الخللاً
فَجَلِّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
- وإن يكن بد من توجيه كلمة الشكر، فلا يفوتنا أن نتقدّم ثانية بأرقى كلمات الشكر والاحترام للأستاذ المشرف، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى السادة الأساتذة الفضلاء في اللجنة المخوّل لها مناقشة هذه الأطروحة، ونلمس لها حسن الظن في تقويمها وتقييمها على الوجه الأحسن للخروج بها في صورة تليق بالمستوى المنشود.

ونسأل الله أن يجعلنا ممن ينافح عن هذه اللغة ويزيل الشبهات عنها، فتنبعث انبعاثاً قويا على
ألسنة أبنائها، كما أتبرأ أمام الله من كل قول، أو فكرة، تخالف تعاليم الإسلام وأصوله، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

الباحث محمد بن حاج

الطاهر

الملاحق

يوم: لا فيفري ٢٠١٤

طالب دكتوراه: محمد بن حاج الظاهر

المؤسسة الجامعية: جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

كلية: الآداب والفنون

التخصص: الدراسات اللسانية

وآفاقه الدرس اللغوي

على السيد مدير ثانوية

جناحي علي خميس حشنة

و طيب بومنداس

الموضوع: رخصت دراسة ميدانية

يسعدني أن أتقدم على سيادتك المحترمة

بطلبى هذا المتضمن طلب الموافقة على إجراء

دراسة ميدانية بمؤسستكم - ثانوية جناحي علي

من أجل القيام أطروحة الدكتوراه الموسومة ب: الازدواج

وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أمودج

وكلنا أمل في تعاونكم معنا من خلال موافقتكم

التي تمنّى البحث العلمي

لمرضاء المدير

موافق
بومنداس

لمرضاء المديني
بومنداس

يوم: ٢٤ مارس ٢٠١٨

طالب دكتوراه: محمد بن صالح الطاهر
المؤسسة الجامعية: حسنية بن بوعلي-السلف
كلية: الآداب والفنون
التخصص: الدراسات اللسانية وآفاقه
الدرس: اللغوي

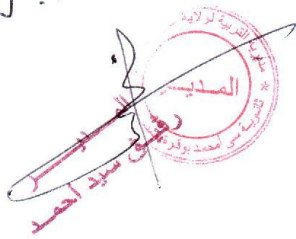
إلى السيد: مدير ثانوية
سي أحمد بوقرة بخميس مليانة
والتعيين الدفلي

الموضوع: رخصت دراسة ميدانية

يستدعي أن أتقدم إلى سيادتكم المحترمة بمطلبي هذه
المشغلة من طلب الموافقة على إجراء دراسة ميدانية
لمؤسستكم - ثانوية سي أحمد بوقرة بخميس مليانة - من
أجل إتمام أطروحة الدكتوراه الموسومة ب: الأزود واجبية
وأثرها على تعليم اللغة العربية - المرحلة الثانوية النموذجية -
وكلنا أمل في تعاونكم معنا من خلال موافقتكم
التي نؤمن بالبحث العلمي

إلى: محمد بن صالح الطاهر

إلى: محمد بن صالح الطاهر



بن صالح

يوم: ٢٦ أفريل ١٤٤٥

طالب دكتوراه: محمد بن صالح الظاهر
المؤسسة الجامعية: جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية: الآداب والعلوم
التخصص: الدراسات اللسانية وآفاق
الدراس اللغوية

إلى السيد مدير ثانوية شهداء
الإخوة قردج - بومدفع
ولاية عين الدفلى

الموضوع: رخصت دراست ميدانية

يسعدني أن أتقدم إلى سيادتكم المحترمة بطالبي
هذا المذمّن طلب الموافقة على إجراء دراسة ميدانية
بمؤسستكم - ثانوية شهداء الإخوة قردج - من أجل
إتمام أطروحة الدكتوراه المرسومة به؛ الازدواجية وأثرها
على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية النموذجيا -
وكلنا أمل في تعاونكم معنا من خلال موافقتكم
التي تُمّن البحث العلمي

إلى السيد المدير

إلى السيد المعلن

مدير الثانوية
عبدالقادر علي

جامعة حسبية بن بوعلبي الشلف

كلية الفنون وآداب

قسم اللغة العربية



استبانة موجهة لتلاميذ الطور الثانوي

للشعب العلمية والأدبية بالمؤسسات التعليمية

في ولايتي عين الدفلى ولاية بومرداس

تلاميذنا وأبناءنا الأعزاء - السنة الثالثة ثانوي- بين أيديكم هذه الاستبانة التي تمثل جزءا متمما لأطروحة دكتوراه الموسومة بـ: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أنموذجا- لذا نلتبس منكم التكرم بملء هذه الاستبانة بموضوعية وصدق، وذلك للوقوف على معلومات دقيقة ولأهداف تعليمية بحثية، سائلا الله لي ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.
شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: محمد بن حاج الطاهر

- هل تم توجيهك للشعب الأدبية رغبة أم كرها؟ (خاص بالشعب الأدبية)

رغبة كرها

- ما الغاية من تعلّمك للغة العربية؟ من أجل:

ذاتها الامتحانات

- ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟

المتعة الملل لا شيء

- ما اللغة التي تريد إتقانها بصراحة؟

العربية الفرنسية الانجليزية الأمازيغية

- إن كنت تفضل اللغات الأجنبية ما دواعي ذلك؟

مكانة اللغة الأجنبية من أجل العمل ومكانتها لا جدوى من اللغة العربية

- ما شعورك من السخرية حول اللغة العربية؟
 الغيرة اللامبالاة
- كم تطالع من الكتب الحرة باللغة العربية، على مدار السنة؟
 لا أقرأ كتاب واحد على الأكثر أكثر من كتاب
- كم مرة تتجاوب مشافهة بالفصحى مع الأستاذ في النشاطات الصفية وغيرها؟
 أكثر من مرة في الحصة أحيانا لأتجاوب
- كم مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟
 أكثر من مرة في الأسبوع أحيانا لا أقرأ
- هل تحفظ من الكلام الفصيح؟
 نعم لا قليلا
- هل تهتم بالاستماع إلى الكلام الفصيح كالاستماع إلى النصوص الشعرية؟
 نعم لا أحيانا
- هل تهتم بالاستماع إلى الغناء والمسلسلات بالعامية؟
 نعم لا
- هل يلتزم أستاذ اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟
 نعم بقدر كبير لا
- هل يلتزم أساتذة غير اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟
 بقدر كبير لا
- هل تتواصل مع الأستاذ أثناء النشاطات باللغة الفصحى أو العامية؟
 الفصحى العامية
- لماذا لا تتواصل مع أستاذك باللغة الفصيحة؟
 الشعور بالإحراج الافتقار اللغوي

- ما الأسباب التي تجعلك تجنح إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟
 عدم الاستيعاب الأستاذ
- هل تحاول أن تنتقي ألفاظاً فصيحة وتستخدمها في التداول اليومي خارج النشاطات الصفية؟
 نعم لا
- عادة ما يقع التلميذ في أخطاء لغوية، ما موقف الأستاذ منها؟
 يصحح أحياناً لا
- أتستطيع التحدّث بطلاقة لغوية سليمة؟
 نعم لا بتكلف
- هل تخرج من النشاطات الصفية برصيد كاف من الألفاظ اللغوية الفصحى؟
 نعم لا شيئاً ما
- أتشعر أنّ العامية تعيق سلامتك اللغوية الشفهية؟
 نعم لا

جامعة حسبية بن بوعلبي الشلف

كلية الفنون وآداب

قسم اللغة العربية



استبانة موجهة لأساتذة التعليم الثانوي

في مادة اللغة العربية بالمؤسسات التعليمية

في ولايتي عين الدفلى وولاية بومرداس

تحية طيبة وبعد:

أساتذتنا الأفاضل للغة العربية وآدابها أتوجه إلى الله ملتئمة منكم العون بالإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة لغرض إعداد أطروحة دكتوراه الموسومة بـ: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أنموذجا-" لذا أرجو منكم الإجابة الموضوعية بغرض الوقوف على معلومات دقيقة ولأغراض علمية بحتة.

شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: محمد بن حاج الطاهر

التعرف على المستجوب:

جنس:.....الدرجة العلمية:.....

الأقدمية:.....

- ما مستوى المكتسبات القبليّة للتلميذ عند التحاقه بالطور الثانوي؟

جيد متوسط ضعيف

- ما المجال الذي تهتم به في حصة النشاطات اللغوية؟

في مجال المعارف في مجال المعارف الفعلية في مجال إدماج أحكام الدرس

- لماذا لا تهتم بالمجالات الثلاثة كلها؟

الوقت الصعوبة

- أتفعل نشاط التعبير الشفهي؟ لماذا؟

نعم لا

- هل المعرفة كافية لتحقيق المهارة اللغوية؟

كافية غير كافية

- ما مدى اهتمامك وتفعيلك للفصحى والسلامة اللغوية في عملية التدريس؟

جيد حسن

- أتعتمد في التدريس على المناقشة والحوار؟

نعم أحيانا لا

- ما موقفك من التدريس بالعامية؟

الرفض القبول

- ما أسباب التلوث اللغوي واستشرائه على ألسنة المتعلمين؟

المجتمع والأسرة المدرسة والإعلام

- أتعلم جاهدا على توضيق الشرح ما بين الفصحى والعامية؟

نعم لا أهتم

- أتقف على آثار العاميات في ألسنة التلاميذ؟

نعم لا

- إذا كانت الإجابة ب "نعم" ما نوعها؟

صرفية صوتية نحوية تركيبية معجمية

- هل تلتمس عدم إدراك التلاميذ لبعض الأسئلة خلال النشاطات؟

لا أحيانا

- إذا كانت الإجابة متعلقة بالإثبات، ما تعليقك على هذه الظاهرة؟

.....
.....

- هل ترى أنّ الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى وتجسيدها؟

نعم لا

- إذا كانت الإجابة بالنفي أو الإثبات، ما التعليلات التي تراها؟

.....
.....
.....
.....

- ما الحلول التي تراها ناجعة لهذه الظاهرة؟

.....
.....
.....
.....

الملاحق

جامعة حسيبة بن بوعللي الشلف

كلية الفنون وآداب

قسم اللغة العربية



استبانة موجهة لعينة من تلاميذ الطور الثانوي
للشعب العلمية والأدبية ببعض المؤسسات
التعليمية في ولايتي عين الدفلى وبومرداس

تلاميذنا وأبناءنا الأعزاء - السنة الثالثة ثانوي- بين أيديكم هذه الاستبانة التي تمثل جزءا متمما لأطروحة دكتوراه الموسومة بـ: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أئموذجا- لذا نلتمس منكم التكرم بملء هذه الاستبانة بموضوعية وصدق، وذلك للوقوف على معلومات دقيقة ولأهداف تعليمية بحتة، سائلا الله لي ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.
شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: مُجَّد بن حاج الطاهر

- هل تم توجيهك للشعب الأدبية رغبة أم كرها؟ (خاص بالشعب الأدبية)

رغبة كرها

- ما الغاية من تعلّمك للغة العربية؟ من أجل:

ذاتها الامتحانات

- ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟

المتعة الملل لا شيء

- ما اللغة التي تريد إتقانها بصراحة؟

العربية الفرنسية الانجليزية الأمازيغية

- إن كنت تفضل اللغات الأجنبيةة ما دواعي ذلك؟

الملاحق

مكانة اللغة الأجنبية □ من أجل العمل ومكانتها ☒ لا جدوى من اللغة العربية □

- ما شعورك من السخرية حول اللغة العربية؟

الغيرة ☒ اللامبالاة □

- كم تطالع من الكتب الحرة باللغة العربية، على مدار السنة؟

لا أقرأ ☒ كتاب واحد على الأكثر □ أكثر من كتاب □

- كم مرة تتجاوب مشافهة بالفصحى مع الأستاذ في النشاطات الصفية وغيرها؟

أكثر من مرة في الحصة □ أحيانا ☒ لا أتجاوب □

- كم من مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟

أكثر من مرة في الأسبوع □ أحيانا ☒ لا أقرأ □

- هل تحفظ من الكلام الفصيح؟

نعم □ لا □ قليلا ☒

- هل تهتم بالاستماع إلى الكلام الفصيح كالأستماع إلى النصوص الشعرية؟

نعم □ لا ☒ أحيانا □

- هل تهتم بالاستماع إلى الغناء والمسلسلات بالعامية؟

نعم ☒ لا □

- هل يلتزم أستاذ اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟

نعم ☒ بقدر كبير □ لا □

- هل يلتزم أساتذة غير اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟

بقدر كبير □ لا ☒

- هل تتواصل مع الأستاذ أثناء النشاطات باللغة الفصحى أو العامية؟

الفصحى □ العامية ☒


- لماذا لا تتواصل مع أستاذك باللغة الفصيحة؟

الملاحق

- الشعور بالإحراج الافتقار اللغوي
- ما الأسباب التي تجعلك تجنح إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟
عدم الاستيعاب الأستاذ
- هل تحاول أن تنتقي ألفاظا فصيحة وتستخدمها في التداول اليومي خارج النشاطات الصفية؟
نعم لا
- عادة ما يقع التلميذ في أخطاء لغوية، ما موقف الأستاذ منها؟
يصحح أحيانا لا
- أتستطيع التحدّث بطلاقة لغوية سليمة؟
نعم لا بتكلف
- هل تخرج من النشاطات الصفية برصيد كاف من الألفاظ اللغوية الفصحى؟
نعم لا شيئا ما
- أتشعر أنّ العامية تعيق سلامتك اللغوية الشفهية؟
نعم لا

بسم الله الرحمن الرحيم

استبيان موجه لتلاميذ الطور الثاني



جامعة حسينية بن بوعلي الشلف
كلية الفنون وآداب
قسم اللسانيات

تلاميذنا وأبناءنا الأعزاء - السنة الثالثة ثانوي- بين أيديكم هذا الاستبيان الذي يمثل جزءا متما لبحثنا الموسوم ب: " الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية -المرحلة الثانوية أنموذجا- لذا نلتمس منكم التكرم بملاء هذا الاستبيان بموضوعية وصدق، وذلك للوقوف على معلومات دقيقة ولأهداف تعليمية بحثية، سائلا الله لي ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: محمد بن حاج الطاهر

- هل تم توجيهك للشعب الأدبية رغبة أم كرها؟ (خاص بالشعب الأدبية)
- رغبة كرها
- ما الغاية من تعلّمك للغة العربية؟ من أجل:
- ذاتها الامتحانات
- ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟
- المتعة الملل لا شيء
- ما اللغة التي تريد إتقانها بصراحة؟
- العربية الفرنسية الإنجليزية الأمازيغية
- إن كنت تفضل اللغات الأجنبية ما دواعي ذلك؟

الملاحق

مكانة اللغة الأجنبية من أجل العمل ومكانتها لا جدوى من اللغة العربية

- ما شعورك من السخرية حول اللغة العربية؟

الغيرة اللامبالاة

- كم تطلع من الكتب الحرة باللغة العربية، على مدار السنة؟

لا أقرأ كتاب واحد على الأكثر أكثر من كتاب

- كم مرة تتجاوب مشافهة بالفصحى مع الأستاذ في النشاطات الصفية وغيرها؟

أكثر من مرة في الحصة أحيانا لا أتجاوب

- كم من مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟

أكثر من مرة في الأسبوع أحيانا لا أقرأ

- هل تحفظ من الكلام الفصيح؟

نعم لا قليلا

- هل تسمي به سماع إن الكلام الفصيح كالاستماع إلى المصروف الشعرية؟

نعم لا أحيانا

- هل تهتم بالاستماع إلى الغناء والمسلسلات بالعامية؟

نعم لا

- هل يلتزم أستاذ اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟

نعم بقدر كبير لا

- هل يلتزم أساتذة غير اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟

بقدر كبير لا

- هل تتواصل مع الأستاذ أثناء النشاطات باللغة الفصحى أو العامية؟

الفصحى العامية

- لماذا لا تتواصل مع أستاذك باللغة الفصيحة؟

الملاحق

- الشعور بالإحراج الافتقار اللغوي
- ما الأسباب التي تجعلك تجنب إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟
عدم الاستيعاب الأستاذ
- هل تحاول أن تنتقي ألفاظا فصيحة وتستخدمها في التداول اليومي خارج النشاطات الصفية؟
نعم لا
- عادة ما يقع التلميذ في أخطاء لغوية، ما موقف الأستاذ منها؟
يصحح أحيانا لا
- أستطيع التحدّث بطلاقة لغوية سليمة؟
نعم لا بتكلف
- هل تخرج من النشاطات الصفية برصيد كاف من الألفاظ اللغوية الفصحى؟
نعم لا شيئا ما
- أتشعر أنّ العامية تعيق سلامتك اللغوية الشفهية؟
نعم لا

ملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

استبيان موجه لتلاميذ الطور الثاني

جامعة حسبية بن بوعلوي الشلف

كلية الفنون وآداب

قسم اللسانيات

تلاميذنا وأبناءنا الأعزاء - السنة الثالثة ثانوي- بين أيديكم هذا الاستبيان الذي يمثل جزءا متما لبعثنا الموسوم ب: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية -المرحلة الثانوية أنموذجا- لذا نلتمس منكم التكرم بملء هذا الاستبيان بموضوعية وصدق بغرض الوقوف على معلومات دقيقة ولأهداف تعليمية بحثية، وأسأل الله لي ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: بن حاج الطاهر محمد

- هل تم توجيهك للشعب الأدبية رغبة أم كرها؟ (خاص بالشعب الأدبية)
- رغبة كرها
- ما الغاية من تعلّمك للغة العربية؟ من أجل:
- ذاتها الامتحانات
- ما شعورك أثناء النشاطات الصفية في اللغة؟
- المتعة الملل لاشيء
- ما اللغة التي تريد إتقانها بصراحة؟
- العربية الفرنسية الإنجليزية الأمازيغية
- إن كنت تفضل اللغات الأجنبية ما دواعي ذلك؟
- مكانة اللغة الأجنبية من أجل العمل ومكانتها لاجدوى من اللغة العربية

ملاحق

- ما شعورك من السخرية حول اللغة العربية؟
الغيرة اللامبالاة
- كم تطالع من الكتب الحرة باللغة العربية، على مدار السنة؟
لا أقرأ كتاب واحد على الأكثر أكثر من كتاب
- كم مرة تتجاول مشافهة بالفصحى مع الأستاذ في النشاطات الصفية وغيرها؟
أكثر من مرة في الحصة أحيانا لا أتجاول
- كم من مرة تقرأ قراءة جهرية في النشاطات الأدبية والتواصلية؟
أكثر من مرة في الأسبوع أحيانا لا أقرأ
- هل تحفظ من الكلام الفصيح؟
نعم لا قليلا
- هل تهتم بالاستماع إلى الكلام الفصيح كالأستماع إلى النصوص الشعرية؟
نعم لا أحيانا
- هل تهتم بالاستماع إلى الغناء والمسلسلات بالعامية؟
نعم لا
- هل يلتزم أستاذ اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟
نعم بقدر كبير لا
- هل يلتزم أساتذة غير اللغة العربية باستعمال الفصحى في التدريس؟
قدر كبير لا
- هل تتواصل مع الأستاذ أثناء النشاطات باللغة الفصحى أو العامية؟
الفصحى العامية
- لماذا لا تتواصل مع أستاذك باللغة الفصيحة؟
الشعور بالإحراج الافتقار للغوي

الملاحق

- الشعور بالإحراج الافتقار اللغوي
- ما الأسباب التي تجعلك تجنح إلى الصمت والانطواء وعدم المشاركة؟
- عدم الاستيعاب الأستاذ
- هل تحاول أن تنتقي ألفاظا فصيحة وتستخدمها في التداول اليومي خارج النشاطات الصفية؟
- نعم لا
- عادة ما يقع التلميذ في أخطاء لغوية، ما موقف الأستاذ منها؟
- يصحح أحيانا لا
- أتستطيع التحدّث بطلاقة لغوية سليمة؟
- نعم لا بتكلف
- هل تخرج من النشاطات الصفية برصيد كاف من الألفاظ اللغوية الفصحى؟
- نعم لا شيئا ما
- أتشعر أنّ العامية تعيق سلامتك اللغوية الشفهية؟
- نعم لا

الملاحق

جامعة حسبية بن بوعلي الشلف

كلية الفنون وآداب

قسم اللغة العربية



استبانة موجهة لأساتذة التعليم الثانوي
في مادة اللغة العربية ببعض المؤسسات
التعليمية في ولايتي عين الدفلى وبومرداس

تحية طيبة وبعد:

أساتذتنا الأفاضل للغة العربية وآدابها أتوجه إلى الله ملتئما منكم العون بالإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة لغرض إعداد أطروحة دكتوراه الموسومة بـ: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أمودجا-" لذا أرجو منكم الإجابة الموضوعية بغرض الوقوف على معلومات دقيقة ولأغراض علمية بحثية.

شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: مُجَّد بن حاج الطاهر

التعرف على المستجوب:

جنس: أ.
الدرجة العلمية: أ.
الأقدمية: أ.

- ما مستوى المكتسبات القبلية للتلميذ عند التحاقه بالطور الثانوي؟

جيد متوسط ضعيف

- ما المجال الذي تهتم به في حصة النشاطات اللغوية؟


في مجال المعارف في مجال المعارف الفعلية في مجال إدماج أحكام الدرس

- لماذا لا تهتم بالمجالات الثلاثة كلها؟

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

استبيان للأساتذة



جامعة حسية بن بوعلي - الشلف
كلية العلوم والفنون
قسم اللسانيات
تحية طيبة وبعد:

أساتذتنا الأفاضل للغة العربية وآدابها أتوجه إلى الله ملتتمسا منكم العون بالإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة لغرض إعداد أطروحة دكتوراه الموسومة بـ: "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أنموذجا" - لذا أرجو منكم الإجابة الموضوعية بغرض الوقوف على معلومات دقيقة ولأغراض علمية بحتة.

شكرا مسبقا على تعاونكم.

الباحث: محمد بن حاج الطاهر

التعرف على المستجوب:

جنس: أ. أنثى ب. ذكر
الدرجة العلمية:
.....

الأقدمية:
.....

- ما مستوى المكتسبات القبلية للتلميذ عند التحاقه بالطور الثانوي؟
- جيد متوسط ضعيف
- ما المجال الذي تهتم به في حصة النشاطات اللغوية؟
- في مجال المعارف في مجال المعارف الفعلية في مجال إدماج أحكام الدرس
- لماذا لا تهتم بالمجالات الثلاثة كلها؟
- الوقت الصعوبة

الملاحق

- أتفعل نشاط التعبير الشفهي؟ لماذا؟

نعم لا

لماذا؟ .. يحتاج إلى وقت ممتد مما يتعارض مع الحجم الزمني

للقول .. السنوي ..

- هل المعرفة كافية لتحقيق المهارة اللغوية؟

كافية غير كافية

- ما مدى اهتمامك وتفعيلك للفصحى والسلامة اللغوية في عملية التدريس؟

جيد حسن

- أتعتمد في التدريس على المناقشة والحوار؟

نعم أحيانا لا

- ما موقفك من التدريس بالعامية؟

الرفض القبول

- ما أسباب التلوث اللغوي واستثرائه على ألسنة المتعلمين؟

المجتمع والأسرة المدرسة والإعلام

- أتعلم جاهدا على توضيح الشرح ما بين الفصحى والعامية؟

نعم لا أهتم

- أتقف على آثار العاميات في ألسنة التلاميذ؟

نعم لا

الملاحق

- إذا كانت الإجابة ب "نعم" ما نوعها؟
 صرفية صوتية نحوية تركيبية معجمية
 من أمثلة ذلك... إلى... لتسببه... إلى... حسن... من... في... كما يدل... اللفظ... بصرف... الدال...
 ... ليفكر... أليس... لينتشي... جملة... فصيحة...
 ... الموقوف... هناك... المسكون... في... أليس... هذا... لفظ...
 هل تلمس عدم إدراك التلاميذ لبعض الأسئلة خلال النشاطات؟
 لا أحيانا
 إذا كانت الإجابة متعلقة بالإثبات، ما تعليقك على هذه الظاهرة؟
 يتقدم... في... معارضة... لا...
 ... عدم... الفهم... وعدم...
 هل ترى أنّ الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى وتحسيدها؟
 نعم لا
 إذا كانت الإجابة بالنفي أو الإثبات، ما تعليقات التي تراها؟
 ... وأخيرا... من... المعجميات... العا... ميسرة... حتى... في... المجالات... الجيوب...
 ... صوت... إلى... فمط...
 ما الحلول التي تراها ناجعة لهذه الظاهرة؟
 تدجيل... إلى... فتس...
 ... والك...
 ... والك...
 ... والك...
 ... والك...

الملاحق

- إذا كانت الإجابة ب "نعم" ما نوعها؟

صرفية صوتية نحوية تركيبية معجمية

من أمثلة ذلك... المجلس... بين... الإسم... الفعل... والإسم المشعوب
كقولهم: «البايس... مخلوق...»
... يلمن... نيا... السكون... جميع الألفاظ...

- هل تلتبس عدم إدراك التلاميذ لبعض الأسئلة خلال النشاطات؟

لا أحيانا

- إذا كانت الإجابة متعلقة بالإثبات، ما تعليقك على هذه الظاهرة؟

... عيب... الكفاية... اللغوية...
... عدم... الفهم... الجيد...

- هل ترى أنّ الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى وتجسيدها؟

نعم لا

- إذا كانت الإجابة بالنفي أو الإثبات، ما تعليقات التي تراها؟

... من جهة... العامية... وسيطر... على... مقابل...
... الحياة...
... عدم... الإهتمام... بها... من طرف... المؤسسات... التدريبية...

- ما الحلول التي تراها ناجعة لهذه الظاهرة؟

- إصلاح... البيئة... اللغوية...
- الإهتمام... السلطات... بها...

الملاحق

- أتفعل نشاط التعبير الشفهي؟ لماذا؟

نعم لا

لماذا؟... عدم وجود... في البورجيات السورية

- هل المعرفة كافية لتحقيق المهارة اللغوية؟

كافية غير كافية

- ما مدى اهتمامك وتفعيلك للفصحى والسلامة اللغوية في عملية التدريس؟

جيد حسن

- أتعتمد في التدريس على المناقشة والحوار؟

نعم أحيانا لا

- ما موقفك من التدريس بالعامية؟

الرفض القبول

- ما أسباب التلوث اللغوي واستشرائه على ألسنة المتعلمين؟

المجتمع والأسرة المدرسة والإعلام

- أتعلم جاهدا على تضييق الشرح ما بين الفصحى والعامية؟

نعم لا أهتم

- أتقف على آثار العاميات في ألسنة التلاميذ؟

نعم لا

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المعاجم:

1. إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1996، 2.
2. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.
3. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، علم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
4. أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار دمشق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
5. بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.
6. مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، علّق عليه: الشيخ أبو الوفا نصر الهوييني، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2008.
7. الجوهري، الصحاح، تحقيق إميل بديع يعقوب، محمد نبيل طريقي، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.
8. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوي، ج1، دار القلم، دار الشامية، بيروت، ط1.
9. سامي عياد حنا وآخرون، انكليزي_عربي، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، 1997.
10. عبد الهادي بوطالب، معجم تصحيح لغة الإعلام، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، 2006.
11. أبو العزم عبد الغني، المعجم الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.
12. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان.

13. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عين السود، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1998.
14. مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
15. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، 1986.
16. محمد التوينجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، المجلد 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
17. محمد التوينجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1999.
18. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

الدراسات العربية:

1. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992.
2. إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ-1996م.
3. إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس اللغة العربية، مركز الكتاب للنشر، ط2، 2006م.
4. إبراهيم محمد علي حراشة، المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق، دار الخزامة للنشر والتوزيع، 2008.
5. ابن سنان الخفاجي (1352هـ-1952م)، سر الفصاحة، الرحمانية، مصر، ط1.
6. ابن سيده الأندلسي، المخصّص في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث العرب، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

7. أحمد جمعة أحمد نايل، الضعف في اللغة تشخيصه وعلاجه، دار الوفاء، مصر، ط1، 2006.
8. أحمد حقي الحلبي، اللغة العربية وطرائق تدريسها، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، لبنان، 1984.
9. أحمد زغب، لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث.
10. أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، حدود الواقع وآفاق التوقع، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2017.
11. أحمد سعيد مغزي وآخرون، دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثانية من التعليم المتوسط، دار الأوراس للنشر، الجزائر.
12. أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور.
13. أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
14. د. أحمد صومان، أساليب تدريس اللغة العربية، زهران للنشر، عمان، 2009.
15. أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
16. أحمد طعيمة، محمد السيد مناع، تدريس العربية في التعليم العام (نظريات وتجارب)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1421هـ/2001م.
17. أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983م.
18. أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1.
19. أحمد مومن، عن اللسانيات والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م.
20. أحمد نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

21. أحمد هاشم السامرائي، الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى واللهجات الحديثة، جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، سلطنة عمان.
22. إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت،، لبنان، ط1، 1982م.
23. أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م.
24. أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ-1989م.
25. أنيس فريجة، نظريات في اللغة، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
26. أنيس فريجة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
27. بدرأوي الزهران، محاضرات في علم اللغة العام، ج1، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2008.
28. برو محمد، أثر التوجيه المدرسي على التحصيل الدراسي في المرحلة الثانوية، دار الأمل، الجزائر، 2010م.
29. بسام عمار، وشهادة الخوري، التعريب في الوطن العربي-واقعه ومستقبله-، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، تونس، 1996.
30. البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلام، الجزائر، ط1، 1997.
31. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، القاهرة، ط2، 1984.
32. أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب)، صححه وعلق حواشيه: لجنة من أفاضل العلماء، مطبعة محمد علي صبحي وأولاده، مصر، 1963.
33. أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، 1971م.

34. بلقاسم سلطانية، حسين جيلالي، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
35. بن صيد بورني سراب وحلفاية داود وفاء، دليل استخدام كتاب اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (الجزائر)، 2017م-2018م.
36. تواتي بن تواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
37. جعفر دك الباب، نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، دار الأهالي، دمشق، ط1.
38. جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، ط13، 1433هـ/2012م.
39. جورج كفوري، اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، رابطة القدماء في الكلية العلمانية الفرنسية، بيروت، 1948.
40. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1986م.
41. حاتم صالح الضامن، نحو لغة عربية سليمة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات جمهورية العراقية، 1981م.
42. حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، العراق 1360هـ - 1989م.
43. الحاج كمال، في فلسفة اللغة، دار النهضة للنشر، بيروت، ط2، 1972.
44. حافظ إسماعيل علوي، وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

45. حسن ظاظا، اللسان والإنسان معرفة إلى مدخل اللغة، دار دمشق، دار الشامية بيروت، ط2، 1410هـ-1990م.
46. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصّاحيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997.
47. حسين عبد القادر، فن البلاغة، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
48. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، الجزء01، مكتبة مصر، ط4، 1988م.
49. حفيظة تازروقي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، كلية لسانيات تطبيقية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003م.
50. حمزة بن قبالان المزيني، التحيّز اللغوي وقضايا أخرى، كتاب الرياض، 2004م.
51. خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2007م.
52. ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، جمعه: سامي الدهان، مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت، 1363هـ-1944م.
53. ديوان البحترى، دار المعارف، مصر، 2009م.
54. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987م.
55. ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ-2002م.
56. ديوان العجاج، رواية وشرح: عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م.
57. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م.
58. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ-1983م.

59. ديوان المرقشين، تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.
60. راتب قاسم عاشور، محمد فؤاد الحوامدة، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2009م.
61. رثيف خوري، التعريف في الأدب العربي، لجنة التأليف المدرسي، بيروت، لبنان، ط1، 1951.
62. رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2000 م.
63. رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982م.
64. الزغلول محمد راجي، الازدواجية اللغوية، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مجمع اللغة العربية الاردني، الأردن، 1980.
65. سامي سليمان أحمد، البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004 م.
66. سعد علي زائر، سماء تركي داخل، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م.
67. سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1971م.
68. سعيد عبد الله لافي، التعامل بين التقنية واللغة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.
69. سمر روجي الفيصل، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2009م.
70. سميح أبو مغلي، في فقه اللغة وقضايا العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م.

71. سميح أبو مغلي، التدريس باللغة الفصيحة لجميع المواد في المدارس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997م.
72. سمير محمد حسن، دراسات مناهج البحث العلمي وبحوث الإعلام، عالم الكتاب، الدار اللبنانية المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990م.
73. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، الايبار، الجزائر، 2011.
74. شحده فارغ وآخرون، المقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل، الأردن، ط3، 2006م.
75. شهاب الدين محمد الأبشيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، تح: محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط5، 1429هـ-2008م.
76. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر.
77. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر.
78. صالح بلعيد، الأعلى للغة دفاعا عن لغة الإعلام، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس العربية، الجزائر، 2004م.
79. صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، 2010م.
80. صالح بلعيد، ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
81. صليحة مخلوفي، الأخطاء الإعلامية الشائعة في وسائل الإعلام الجزائرية نماذج من (الإذاعة التلفزة الصحافة المكتوبة)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011.
82. عائشة عبد الرحمان، لغتنا والحياة، دار المعارف، مصر، 1975م.
83. عادل خلف، اللغة والبحث اللغوي، مكتبة الآداب القاهرة، 1994م.
84. عامر رشيد السامرائي، آراء في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1965م.

85. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الفاضل، تح: عبد العزيز الميمنى، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1995.
86. عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، دراسة وتحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا.
87. عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، بحث قدّم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1990م، ونشر في محاضر هذا المجمع عام 1992م.
88. عبد الرحمان حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: الأولى، كانون الثاني/يناير 2013م.
89. عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2011م.
90. عبد السلام المسدي، اللسانيات في خدمة اللغة العربية، المطبعة المصرية، تونس، 1983م.
91. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
92. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط6، 1413هـ-1993م.
93. عبد العزيز محمد حسن، في تطوير اللغة العربية، بحوث جمعية في الأصول والألفاظ والأساليب، مكتبة الآداب، الكويت، 2007م.
94. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ-1993م.
95. عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1997م.
96. عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، سبتمبر 2013م.
97. عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط2، 1988م.

98. عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
99. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013م.
100. عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1977م.
101. عبد الله علي مصطفى، مهارات اللغة العربية، دار المسيرة، ط1، عمان، 2002م.
102. عبد المالك مرتاض، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين في المؤسسات التعليمية في الجمهورية الجزائرية: الواقع والتحديات واستشراف المستقبل، الموسم الثقافي الثالث والعشرون، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 2005م.
103. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981م.
104. عبد المحسن بن فراج القحطاني، أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية، ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية (17-10-1995م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية 82/1.
105. عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، قرأه واعتنى به: محمود عبد الصبور الجيار، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2012م.
106. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996م.
107. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: محمد عبد السلام هارون، ج1، منشورات مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1965م.

108. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
109. عزة حسين غراب، المعاجم العربية رحلة في الجذور، التطور، الهوية، مكتبة نانسي، دمياط، مصر، 2005م.
110. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر.
111. علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.
112. علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971م.
113. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2004م.
114. علي عقلة، وقفات مع المسرح العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1996م.
115. علي ناصر غالب، اللهجات العربية- لهجة قبيلة أسد-، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1989م.
116. عمار بوحوش، محمد محمود ذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1999م.
117. عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف، البليدة، 2001م.
118. فاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ط1، 1993م.
119. فؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة ولنحو، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1969م.
120. فتحي علي يونس، التواصل اللغوي والتعليم، القاهرة، مصر، يناير 2009.

121. أبو الفتح عثمان ابن جني (1374هـ-1935م)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1952.
122. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1862)، ج8، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
123. كاصد الزيدي، دراسات نقدية في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2003م.
124. الكرملي أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتماها، المطبعة العصرية، القاهرة، 1938م.
125. كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999م.
126. كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، ط2، 1978م.
127. لويس جان كالفني، علم الاجتماع اللغوي، دار القصبه للنشر، الجزائر، د ط، 2006م.
128. مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط2.
129. مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، اللهجات العربية، دراسة وصفية تحليلية في الممنوع من الصرف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2005م.
130. محجوب عباس، مشكلات تعليم اللغة العربية حلول نظرية وتطبيق، دار الثقافة، دوحه، قطر، 1986م.
131. محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م.
132. محمد الأروغاي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 2002م.

133. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه-موضوعاته-قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ/2005م.
134. محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المديولي، القاهرة، ط3، 1411هـ-1991م.
135. محمد بن ادريس الشافعي، الأم، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ج1، طبعة الوفاء.
136. محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني(1099هـ-1182هـ)، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.
137. محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، القاهرة، 1956م.
138. محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.
139. محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-، الرباط، المغرب، 2016م.
140. محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007م.
141. محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1990م.
142. محمد عبد الله عطوات، اللغة الفصحى والعامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2003م.
143. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية، مطابع الفردوس، الرياض، السعودية، ط1، 1988م.
144. محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى اللهجات، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
145. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1983.

146. محمد مصطفى هدارة، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
147. محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟..ومتى تموت؟، دار نهضة مصر للنشر، طبعة يناير 2016م.
148. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.
149. محمد المعموري، عبد اللطيف عبيد، تأثير تعلّم اللغات الأجنبية في تعلّم اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1983م.
150. محمود أحمد عمر النشوي، نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجتمع اللغوي، مكتبة المعاهد العليا بالصادقية، مصر، ط1، 1353هـ.
151. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.
152. محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء، القاهرة، مصر، د ط، 1998م.
153. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.
154. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1963م.
155. محمود عكاشة، علم اللغة، مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006م.
156. محمود علي السيد، اللغة...تدريسا واكتسابا، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1988م.

157. محمود محمد الطناحي، في سبيل اللغة العربية، مقالات من أجل نهضة العربية وثقافتها، أروقة للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1991م.
158. أبو منصور بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، الدار المصرية للتأليف.
159. أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
160. محيسن، محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مكتبة القاهرة، ط1، 1978م.
161. مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية: اللغة هويّة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2020م.
162. مروان عبد المجيد إبراهيم: أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل العلمية، مكتبة الوراق، عمان، ط1، 2000م.
163. مصطفى صادق الرفاعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط3، 1981م.
164. مصطفى صادق الرفاعي، وحي القلم، راجعه: د. درويش الجويدي، ج3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
165. مصطفى غلفان، اللسانيات العربي في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2002م.
166. مصطفى النحاس، مشكلة العامية والفصحى في تعليم اللغة العربية للأجانب، مطبعة التمدن المحدودة، الخزطوم، 1977م.
167. مطر عبد العزيز، لحن العامة في ظل الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة، 1996م.
168. معتوق أحمد، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة 2012، الكويت، اغسطس 1996م.
169. منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991م.

170. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الفصحى وعاميتها، 2008م.
171. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج 1، 2017م.
172. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج2، 2017م.
173. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ازدهار اللغة العربية-الأليات والتحديات-، 2017م.
174. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب "الأسباب والعلاج"، 2010م.
175. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، اللغة العربية في عيون الشابكة - بين الاستعمال والإهمال-، الجزائر، 2017م.
176. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية التخطيط اللغوي-اللغات ووظائفها-، الجزائر، 2012م.
177. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ج1، الجزائر، 2014م.
178. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دور وسائل في نشر اللغة العربية وترقيتها، الجزائر، 2002م.
179. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، إتقان العربية في التعليم، الجزائر، 2000م.
180. منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، السعودية، ط1، 1421هـ/2001م.
181. مولود قاسم، الإنية والأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.
182. ميشال زكريا، الألسنة (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية، ط2، 1403هـ-1983م.

183. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
184. نادية مرابط، علوم اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2011م.
185. نايف معروف، خصائص العربية وطرق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط1، 1985م.
186. النجار عبد المجيد، قضايا البيئة من منظور إسلامي، وزارة الأوقاف، قطر، ط1، عام 1400هـ/1999م.
187. نشوي محمود أحمد، الناشر: الحاج محمد أحمد رمضان المدني، نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجمع اللغوي، ط1، 1353هـ.
188. نصر الدين الشيخ بوهني، ألفاظ عربية فصحي حفظتها العامية الجزائرية صراع البقاء، جامعة حائل، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية.
189. نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، مصر، ط1، 1964م.
190. نهاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، دار الشرق، عمان، ط1، 2003م.
191. نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م.
192. نهاد الموسى، الازدواجية في العربية، ما كان وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، "ندوة الازدواجية في اللغة العربية"، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1988م.
193. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث-قيم الثبوت وقوى التحول-، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.
194. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، ط1، 1988م.
195. وليد محمد مراد، المسار الجديد في علم اللّغة، مطبعة الكوكب دمشق، ط1، 1986م.

196. وليد العناتي، د. عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007م.

197. وليد العناتي، اللسانيات التطبيقية وتعليم العربية لغير الناطقين بها، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م.

200. ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، مكتبة الهداية، ط1، 2004م.

الدراسات الأجنبية المترجمة:

1. أندريه مارتينه، الثنائية الألسنية والازدواجية الألسنية دعوة إلى رؤية دينامية للوقائع"، ترجمة: نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، العدد.

2. أندري مارتني، مبادئ في اللسانيات، ترجمة: سعدي لالزبير.

3. برنارد صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة: ستقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

4. بروكلمان كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، 1397هـ/1977م.

5. ت.س. إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ترجمة: شكري عياد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 2014م.

6. جان مارك روبين وآن درفون، الغذاء لتنمية الذكاء، تر: عبير منذر، دار الفراشة، بيروت، دط، 2005م.

7. جورج مونان، معجم اللسانيات، ترجمة: جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012م.

8. جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، عزّبه: د.خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، تشرين الأول 1990م.
9. جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، تر: محمد أسليم، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2011م.
10. جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة: د.مصطفى التوني.
11. شارل بوتون، اللسانيات التطبيقية، ترجمة: قاسم المقداد، ومحمد رياض المصري، دار الوسيم للخدمات الطباعةن دمشق.
12. فرديناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985م.
13. فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد، تر:د.أحمد عوض، مراجعة:عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، 2000م.
14. فندريس، اللغة تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
15. لويس جان كالفلي ، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
16. هيجل ومكاي، التعليم وثنائية اللغة، ترجمة: إبراهيم بن محمد القعيد، ومحمد عاطف، عمادة شؤون الجامعات، جامعة الملك سعود، الرياض، 1994م.

الدراسات الأجنبية:

1. Baylon cristion et poul fabre1984 la semantique avec des travaux pratique d application et leurs corriges collction nothon universite Ed ferband Nathn France .

2. :Cristol David : dictionary of linguistics and phonetics
2nded,Basil Blackwell, B.U.K,1980.
3. dictionnaire de linguistique,larousse,Paris. Dubois.J ,1973.
4. Khaoula Taleb Ibrahimimi , les Algeriens et leur(s) langue(s),
2éme Ed, Alger, Elhikma , 1997.
5. Marouzeau in Renzo Titone, le bilinguisme précoce,
CharlesDessart, Bruxelles 1974.
6. Tabouret Keller, le bilinguisme à l'age scolaire, PUF, Paris
1969.
7. Vincent Monteil, l'arbre moderne,librairie C-Kinkseick,
Paris, 1960.

الأطروحات الجامعية:

1. أحسن عمران، الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية،
دراسة نظرية ومسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة، رسالة لنيل
شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة
الجزائر، 1997/1998م.

2. حسن بن زروق، العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، إشراف: مصطفى حركات، (2005-2006).

3. حامة صندرة، هباش ليديّة، أثر الازدواجية اللغويّة على تحصيل اللغة العربية لتلاميذ السنة الأولى ابتدائي-أمّودجا-، مذكرة تخرج ماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر، إشراف: سيواني عبد الملك، السنة الجامعية 2016/2017م.

4. حذيفة عزيزي، اللغة العربية في المجال الاقتصادي بين الوظيفة والإبداعية- حقل الإشهار نموذجاً- أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، الجزائر، إشراف: د. أحمد سعدي، السنة الجامعية 2020/2021م.

5. حكيم رحمون، مستويات استعمال اللغة العربية الفصحى بين الواقع والبديل، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، إشراف: صالح بلعيد، 2011م.

6. عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللّغة العربيّة بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، إشراف: الأستاذ الدكتور/بكري أحمد الحاج، 2010م.

7. عواريب حنان، أثر التعددية اللغوية في التعبير الشفوي والكتابي لدى متعلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية -مدينة ورقلة عينة-رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، 2015-2016.

8. بن علة بختة، التداخل اللغوي وإشكالية التواصل في الوسط التربوي، رسالة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2018م.

9. ميمون مجاهد، تعليمية اللغة بين الأحادية والتعدد، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، اللغات والفنون، جامعة وهران، إشراف: د. عبد الحليم بن عيسى، 2008/2009م.

الدوريات والمجلات والجرائد الرسمية والتقارير:

1. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ب/قسم الآداب والفلسفة، الجزائر، العدد10، جوان 2013،
2. جريدة صوت الأحرار، الجزائر، العدد 5334، الأربعاء 12 أوت 2015.
3. اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج التعليم المتوسط، الجزائر، مارس 2016.
4. مجلّة الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد2010، 11.
5. مجلّة الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ع1، 1994.
6. مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 4، الأردن، العدد01، 2007.
7. مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، السنة الخامسة، العدد 20، صيف العام1993م.
8. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، بغداد، العراق، العدد201، سنة1433هـ- 2012م.
9. مجلة اشكالات في اللغة والأدب، تمارست، الجزائر، العدد08، ديسمبر 2015م.
10. مجلة الأصالة الجزائرية، العدد 17-18، سنة 1974م.
11. مجلة التواصلية، مج06، جامعة يحي بن فارس المدية، الجزائر، ع18، ديسمبر202م..
12. مجلة الثقافة، العدد 90، نوفمبر- ديسمبر1985م.
13. مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، الجزائر، مج2، ع8، 2016م.
14. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد7، الجزائر، العدد1، 2019م.
15. مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد2، 1975م.
16. مجلة الداعي، العدد08، 2010م.

17. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمدة لخضر-الوادي، العدد22، جوان2017م.
18. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج39، ع1، 2012م.
19. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، الجزائر، ع8، 2015م.
20. مجلة دراسات في العلوم الانسانية، الجزائر، ع22، 2015م/1434هـ.
21. مجلة العربي، الجزائر، ع115، 2001م.
22. مجلة العربي، الكويت، العدد528، نوفمبر2002م.
23. مجمع العلمي العربي، المجلد3، الجزء8، دمشق، 1923م/1341هـ.
24. المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الانسانية والادارية)، المجلد الثالث، السعودية، العدد الأول، ذو الحجة 1422 (مارس 2002م).
25. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، مج5، ع2، جوان2021م.
26. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، لجزائر، ع2، 2017م.
27. مجلة فكر ونقد، العدد24، السنة الثالثة، 1999م.
28. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد:2، عدد:2، السنة2020م.
29. مجلة كلية العلوم الإنسانية-الصراط-، الجزائر، السنة الخامسة، العدد العاشر، ذو القعدة1425هـ، ديسمبر2004م.
30. مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، ع11، 2006م.
31. مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 35
32. مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 30، السداسي الأول، 2013م.

33. مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد9، خريف 2002م.
34. مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد35.
35. مجلة اللغة الأم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
36. مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، العدد 54، ديسمبر 2002م.
37. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة الثالثة، العدد المزدوج 9-10، آب كانون الأول، 1980م.
38. مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 2005م.
39. مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المؤتمر السنوي السادس، 2007م.
40. مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 66، 1990م.
41. مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، العدد08، 1953م.
42. المجلة العلمية بجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية والإدارية، ذو الحجة 1422هـ، مارس 2002م.
43. مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، مصر، العدد07، 1953م.
44. مجلة المجمع، العدد08، 2014م.
45. مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد3، ج8، 1341هـ/1923م.
46. مجلة المخبر-أبحاث في اللغة والأدب الجزائري-، بسكرة، الجزائر، ع5، مارس 2009م.
47. مجلة المستقبل العربي، العدد130، ديسمبر 1989م.
48. مجلة المعرفة العددان 222-223، سنة 1980م.
49. مجلة المعرفة، دمشق، العدد403، 1997.
50. مجلة الممارسات اللغوية، مخابر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع1، 2010م.

51. مجلة الناص، جامعة جيجل، الجزائر، العدد 11، جوان 2012م.

52. مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، 2000م.

53. مجلة الصوتيات جامعة البليدة، الجزائر، ع19.

54. مجلة جسور المعرفة، المجلد 7، العدد 5 (ديسمبر 2021).

المواقع الإلكترونية:

1. [https:// www.elbilad.net/Article/detail?id=41816](https://www.elbilad.net/Article/detail?id=41816)

2. أحمد هاشم السامرائي، الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى واللهجات الحديثة،

<https://icls2016.medi.u.edu.my/sites/2017/03>

3. حمزة عساس، الزوايا تثور ضد بن غبريط للتدريس بالدارجة

4. <https://www.ennaharonline.com/2p=417662>.

5. <https://www.echoroukonline.com>

6. إبراهيم زيد الكيلاني، اللغة العربية وهوية الأمة، خزانة اللغة والأدب، الإصدار : 68،

2007/09، <http://www.hoffaz.org/alforqan/details.php?id=307>

7. [3rb.info/ Article.asp ID=3447](http://3rb.info/Article.aspID=3447)

8. محمود عمار: 2007/04/20/09:41 www.alviyodh.com

9. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

10. <https://WWW.DW.COM/AR.29.04.2010>.

11. وفاء مرزوق، محنة التعريب في الجزائر، مسيرة نصف قرن.

[https://www.facebook.com/cultureuniversiteAlgeriennes/posts/3](https://www.facebook.com/cultureuniversiteAlgeriennes/posts/386552148121164)

86552148121164

12. يوسف القرضاوي، لغتنا الجميلة والإعلام، -<https://www.al>

[qaradawi.net/node/3443](https://www.al-qaradawi.net/node/3443)

13. الحبيب مباركي، نورية بن غبريط وزيرة تنطلق من الأنثروبولوجيا لفهم أثر التدين على .
<https://alarab.co.uk> الناس، 2017/10/14.

14. أ.د. أمارة...، العربية ودورها في بناء المعرفي العربي، تحديات القرن 21 (الحلقة الثانية)، اللغة العربية وتحدياتها الداخلية،

https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=839

15. الدكتور عمر ديدوح، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزم هوية، تاريخ: 16-11-2009-28-
11-1430،

[http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/04/blog-
post_1787.html](http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/04/blog-post_1787.html)

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ - ز	مقدمة
2 - 65	الفصل الأول: مراحل التاريخية اللغة العربية ومنزلتها
2	أولاً: لمحة تاريخية عن أطوار اللغة العربية
3	1. اللغة العربية قبيل الإسلام
9	2. اللغة العربية أثناء صدر الإسلام
12	3. المستويات اللغوية وطبيعتها في العصرين السابقين
17	4. اللغة العربية في الفترة الأموية والعباسية
21	5. الإرهاصات الأولية للغة العامية
32	ثانياً: الوضعية اللسانية بالجزائر والفكر اللّوي الفرانكفوني
44	ثالثاً: مكانة اللغة ومنزلتها
46	1. منزلة اللغة عموماً ونظرة العلماء والباحثين إليها
49	2. منزلة اللغة العربية وشرف قدرها عند الباحثين والعلماء
51	1.2. نظرة علماء الدين والفقهاء
53	2.2. نظرة علماء الدين والفكر
53	3.2. نظرة علماء اللغة واللسانيين المحدثين العرب
58	رابعاً: وظائف اللغة
61	خامساً: خصائص الانفرادية للغة العربية
67 - 132	الفصل الثاني: مصطلحات الدراسة وتحديد المفاهيم
68	أولاً: اللّغة الفصحى (la langue arabe classique)
68	1. اللّغة واللّسان
75	2. تعريف اللغة
75	1.2. لغة
75	2.2. اصطلاحاً

77	3.2. اللغة عند المحدثين
80	3. تعريف الفصحى
80	1.3. الفصحى لغة
82	2.3. اصطلاحا
85	4. مستويات اللغة في المشهد المعاصر
86	1.4. فصحى التّراث
87	2.4. الفصحى المعاصرة
92	ثانيا: تعريف اللهجة
92	1. لغة
92	2. اصطلاحا
96	ثالثا: تعريف العامية
96	1. لغة
97	2. اصطلاحا
102	3. علاقة اللغة بالعاميات
104	4. مظاهر العاميات
106	5. أسباب ظهور العاميات
106	1.5. صعوبة الفصحى والمغالطة النفسية
107	2.5. اختلاف البيئات الجغرافية
107	3.5. الاحتكاك الإنساني
108	4.5. اللحن
109	5.5. علماء اللغة المحدثون
110	6.5. الاستدمار
112	رابعا: أحادية اللّغة (unilinguisme)
114	خامسا: التعدد اللّغوي

117	سادسا: التداخل اللغوي
121	سابعا : المصطلحات اللسانية للازدواجية اللغوية
121	1.المستويات اللغوية
122	2.الثنائية اللغوية
123	3.الثنائية الرأسية أو (الثنائية اللهجية) (bidialectalism)
124	4.الازدواجية اللسانية/اللسنية/الألسنية
125	5.التعددية اللسانية
126	6.المشكلة اللغوية
126	7.التعدد اللغوي
127	8.تعدد اللهجات
128	9.الازدواجية العربية
128	10.الازدواجية اللغوية أو(الازدواج اللغوي)
129	ثامنا: معايير اختيار مصطلح الازدواجية اللغوية عن الثنائية اللغوية
206 - 135	الفصل الثالث: الثنائية والازدواجية
134	أولا: الثنائية اللغوية Bilingualism
138	1.الثنائية اللغوية الفردية individual bilingualism
138	1.1.مفهومها
141	2.الثنائية اللغوية الاجتماعية social bilingualism
141	1.2.مفهومها
141	3.الثنائية الإيجابية
142	4.الثنائية السلبية
142	5.عوامل وجود ظاهرة الثنائية اللغوية
143	6.آثار الثنائية على الفرد والمجتمع
146	ثانيا: الازدواجية Diglossia

146	1. لغة
147	2. اصطلاحا
150	3. خصائص الازدواجية اللغوية عند أصحابها
150	1.3. خصائص الازدواجية عند فيرغيسون
152	1.1.3. التخصص الوظيفي
153	2.1.3. التراث الأدبي والاحترام
154	3.1.3. خاصية الثبات والاستقرار (stability)
154	4.1.3. خاصية المفردات (Lescicon)
160	2.3. خصائص الازدواجية عند وليم مارسي
160	1.2.3. خاصية التنافس
162	2.2.3. وجود شكلين للغة المكتوب والمنطوق
162	3.2.3. خاصية الوظيفة
163	4. أسباب ظهور الازدواجية اللغوية وتكريسها
163	1.4. الابتعاد عن المنبع الأول للغة
163	2.4. وسائل الإعلام
164	3.4. الاستدمار
164	4.4. وضع الأسرة العربية الحديثة
165	ثالثا: التمايز بين الازدواجية والشائبة
172	رابعا: ظاهرة الصراع الفكري واللساني في الازدواجية
173	1. أنصار العامة
190	2. أنصار النظرة المحايدة
191	3. أنصار الاستسلام

194	4. أنصار الفصحى المخففة
195	5. أنصار الفصحى
198	6. أنصار تفصيح العامية
208 - 274	الفصل الرابع: آثار الازدواجية على المهارات اللغوية في الطور الثانوي
208	أولاً: الاستماع
208	1. لغة
209	2. اصطلاحا
211	3. مهارات الاستماع
214	ثانياً: التعبير الشفوي
216	ثالثاً: إجراءات الدراسة الميدانية
216	1. منهجية البحث
216	2. حدود الدراسة
217	1.2. الحدود المكانية
217	2.2. الحدود الزمنية
217	3. مجتمع الدراسة
218	4. الأدوات المستخدمة
218	5. طريقة إجراء البحث
221	6. فرضيات البحث
222	7. إشكال الدراسة
222	8. أهداف البحث
223	رابعاً: دراسة النتائج وتحليلها

223	1. نسبة الاستبيانات الموزعة والمسترجعة
224	2. تحليل استبيانات الموجهة للتلاميذ
247	3. تحليل استبيانات الأساتذة
264	4. المعاينة والملاحظة
265	5. تحليل وتعليق على اختبار التشخيصي
267	6. وقفة مع النتائج السابقة
271	7. النتائج العامة للدراسة التطبيقية
273	خامسا: التوصيات
276	خاتمة
280	الملاحق
308	قائمة المصادر والمراجع
335	فهرس الموضوعات
	ملخص بالعربية والانجليزية

ملخص

تناقش هذه الأطروحة إشكال "الازدواجية وأثرها على تعليمية اللغة العربية - المرحلة الثانوية أنموذجا- وفي سبيل تحقيق ذلك اقتضى أن يتوزع البحث على مقدمة، وقد تضمنت الخطوات المنهجية المعروفة أكاديميا، ثم تلتها أربعة فصول، وسمي الأول بمراحل اللغة العربية ومنزلتها، وقد شمل لمحّة تاريخية عن أطوار اللغة العربية ومنزلتها، أمّا الفصل الثاني وسمناه بمصطلحات الدراسة وتحديد المفاهيم، وقد تضمن على ذكر أهم المصطلحات وشرحها مع شيء من النقد والتحليل ، وأسمينا الفصل الثالث الثنائية والازدواجية اللغويتان، وتحدثنا عن كل واحدة منهما بشيء من التفصيل، وجاء الفصل الرابع معنونا بآثار الازدواجية على المهارات اللغوية في الطور الثانوي، حيث تضمن تمهيدا وبعض المفاهيم الضرورية للإجراء التطبيقي، ثم ختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم وأبرز النتائج .

وخلص الباحث إلى أنّ ازدواجية اليوم تشكل خطرا للتحوّل الحادث بين ركنيها (العامة والفصحى) من الجوار والتألف إلى الصراع والتنافس، كما عدت هذه الظاهرة من أهم المشكلات الفكرية والسياسية التي تواجهنا لارتباطها بوجود اللوي الفرانكفوني.

وأياً كان الأمر فهي ظاهرة موجودة، وآثارها السلبية ملموسة على ألسنة وأذهان المتعلمين، حيث سجّل الباحث ميدانيا تراجعا مخيفا على مستوى الملكات اللغوية، وخاصة مستوى الخطاب الشفوي وذلك بسبب طغيان اللهجات العامة فيها على الفصحى فضيقت عليها الممارسة الفعلية حتى في المجالات الحيوية كالمؤسسات التربوية، كما جعلت المتعلم في اضطراب فكري لغوي.

كما يرى الباحث إمكانية التخلص من هذه الإشكالات المترتبة عن هذه الظاهرة والحدّ من طغيانها عبر إنشاء بيئة لغوية سليمة برعاية قرارات سياسية صارمة، وبدون ذلك يبقى تعليمنا للعربية يسير مخفوفاً بمخاطر وسلبيات جمّة تحول دون ما ننشده ونهدف إليه.

Abstract

This thesis discusses the problematic of “The duality and its impact on the teaching of the Arabic language - secondary school as a model. In order to achieve this, it was necessary that the research be divided into an introduction which includes the basic academic methodology steps. Then, it was followed by four chapters. The first one is called “the stages of the Arabic Language and its status” that include a brief history of the stages of the Arabic Language and its status. The second chapter is about “the terms of study and defining concepts”. The third chapter speaks about “bilingualism and duality of language” which I discuss about in detail. However, the fourth chapter is titled “ the impact of duality on language skills in the secondary cycle. This chapter includes a preamble and some necessary concepts for the applied procedure. Finally, the conclusion includes the important and outstanding results.

The researcher concluded that today’s duality is considered as a danger to the transformation that occurs between its two supports (colloquial and formal) from neighborhood and harmony to conflict and competition, and this phenomenon is considered one of the most important intellectual and political problems facing us because it is related to the existence of the Francophone lobby.

Anyway, it is an existing phenomenon, and its negative effects are perceptible on the tongues and minds of the learners, as the researcher recorded a frightening decline in the field of language abilities, especially at the level of oral discourse, due to the tyranny of colloquial dialects over classical. So, it tightens the actual practice even in its vital areas such as educational institutions, as it put the learner in an intellectual and linguistic disorder.

The researcher believes that the possibility of getting rid of these problems arising from this phenomenon and limiting its tyranny, is by creating a sound linguistic environment under the auspices of strict political decisions. Without that, teaching of Arabic will remain in vain, and it will always be fraught with many risks and disadvantages that prevent what we seek and aim for.